- ۱۲۸ -

جواهرُ البلاغة

(متن درسی)

تألیف

احمد هاشمی

هاشمی ، احمد ، ۱۸۷۸ – ۱۹۴۶

جواهر البلاغه (متن درسی) / تألیف احمد الهاشمی، با تحقیق و تصحیح جمعی از اساتید حوزه، [ویرایش؟]. قم: مرکز مدیریت حوزه علمیه قم، دفتر انتشارات، ۱۳۸۱، ۳۵۴ص.

ISBN: 964 _ 6918 _ 33 _ 6 ۲۲۰۰۰ ریال:

فهرست‌نویسی براساس اطلاعات فیپا.

۱ـ زبان عربی ـ معانی و بیان. ۲. زبان عربی ـ بدیع.

الف. مرکز مدیریت حوزه علمیه قم . جمعی از اساتید حوزه. ب. عنوان.

۹ج ۲ هـ / PJA ۲۰۲۸ ۸۰۸ / ۰۴۹۲۷

۱۳۸۱

ـ ۱۲۸ـ

نام کتاب : ..... جواهر البلاغة

تحقیق و تنظیم : ..... جمعی از اساتید حوزه

ناشر : ..... انتشارات مرکز مدیریت حوزه علمیه قم

شمارگان : ..... ۱۵۰۰ نسخه

تعداد صفحات : ..... ۳۵۴ صفحه

نوبت چاپ : ..... پنجم

تاریخ چاپ : ..... مرداد ماه ۱۳۸۶/ رجب ۱۴۲۸

چاپ : ..... ظهور

قیمت : ..... ۲۲۰۰ تومان

شابک : ۹۶۴-۶۹۱۸-۳۳-۶

* * *

مرکز نشر و توزیع :

قم ـ خیابان حضرتی ـ مدرسه عالی دارالشفاء ـ انتشارات مرکز مدیریت حوزه علمیه قم

تلفن : ۳-۷۷۴۰۹۷۱ نمابر : ۷۷۴۸۳۸۳

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تمهيد	١٣
مقدمة في معرفة الفصاحة والبلاغة	١٥
فصاحة الكلمة	١٦
فصاحة الكلام	٢٣
فصاحة المتكلم	٣٠
البلاغة	٣١
بلاغة الكلام	٣٢
بلاغة المتكلم	٣٤
أقوال ذوي النبوغ والعبقرية في البلاغة	٣٥
ملاحظات	٤٠
علم المعاني	
تعريف علم المعاني، وموضعه، وواضعه	٤٤
الباب الأول في تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء	
المبحث الأول في حقيقة الخبر	٥١
المقاصد والأغراض التي من اجلها يلقى الخبر	٥٢
المبحث الثاني في كيفية إلقاء المتكلم الخبر للمخاطب	٥٥
المبحث الثالث في تقسيم الخبر إلى جملة فعلية وجملة اسمية	٦٢
الباب الثاني في حقيقة الإنشاء وتقسيمه	٦٥
المبحث الأول في الأمر	٦٧
المبحث الثاني في النهي	٧٠
المبحث الثالث في الاستفهام	٧٣
المبحث الرابع في التمني	٨٤
المبحث الخامس في النداء	٨٦
تطبيق عام على الباب الثاني	٩٤
الباب الثالث في أحوال المسند إليه	٩٧
المبحث الأول في ذكر المسند إليه	٩٧
المبحث الثاني في حذف المسند إليه	٩٩
المبحث الثالث في تعريف المسند إليه	١٠٣
في تعريف المسند إليه بالإضمار	١٠٣
في تعريف المسند اليه بالعلمية	١٠٥

الموضوع	الصفحة
في تعريف المسند إليه بالاشارة	١٠٦
في تعريف المسند إليه بالموصولية	١٠٧
في تعريف المسند إليه بأل	١٠٩
في تعريف المسند إليه بالإضافة	١١١
المبحث العاشر في تعريف المسند إليه بالنداء.....	١١٢
المبحث الرابع في تنكير المسند إليه	١١٣
المبحث الخامس في تقديم المسند إليه	١١٤
المبحث السادس في تأخير المسند إليه	١١٧
تطبيق عام على احوال المسند اليه وما قبله .	١١٨
الباب الرابع في المسند وأحواله	١٢١
المبحث الأول في ذكر المسند أو حذفه	١٢١
المبحث الثاني في تعريف المسند أو تنكيره .	١٢٥
المبحث الثالث في تقديم المسند أو تأخيره	١٢٦
تطبيق عام على احوال المسند	١٢٩
الباب الخامس في الاطلاق والتقييد	١٣١
المبحث الاول في التقييد بالنعت	١٣٢
المبحث الثاني في التقييد بالتوكيد	١٣٣
المبحث الثالث في التقييد بعطف البيان..	١٣٣
المبحث الرابع في التقييد بعطف النسق ..	١٣٣

الموضوع	الصفحة
المبحث الخامس في التقييد بالبدل.....	١٣٥
المبحث السادس في التقييد بضمير الفصل ..	١٣٥
المبحث السابع في التقييد بالنواسخ	١٣٥
المبحث الثامن في التقييد بالشرط	١٣٦
المبحث التاسع في التقييد بالنفي	١٣٩
المبحث العاشر في التقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها	١٤٠
تطبيق عام على الاطلاق والتقييد	١٤٢
الباب السادس في أحوال متعلقات الفعل	١٤٥
الباب السابع في تعريف القصر	١٤٩
المبحث الأول في طرق القصر.....	١٥٠
المبحث الثاني في تقسيم القصر باعتبار الحقيقة والواقع	١٥٣
المبحث الثالث في تقسيم القصر باعتبار طرفيه ..	١٥٥
المبحث الرابع في تقسيم القصر الإضافي .	١٥٦
تطبيق عام على القصر وانواعه	١٥٨
الباب الثامن في الوصل والفصل	١٥٩
تعريف الوصل والفصل في حدود البلاغة ...	١٥٩
بلاغة الوصل	١٦١
المبحث الأول في إجمال مواضع الوصل...	١٦١

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني في مجمل مواضع الفصل ..	١٦٥
المبحث الثالث في تفصيل مواضع الفصل	١٦٦
الباب التاسع في الإيجاز، والإطناب، والمساواة .	١٧٧
المبحث الأول في الإيجاز وأقسامه	١٧٨
المبحث الثاني في الإطناب وأقسامه	١٨٢
المبحث الثالث في المساواة	١٨٨
تطبيق عام على الايجاز و الاطناب والمساواة	١٨٩
خاتمه	١٩٢

علم البيان

الموضوع	الصفحة
الباب الأول في التشبيه	١٩٩
تعريف التشبيه وبيان أركانه الأربعة	١٩٩
المبحث الأول في تقسيم طرفي التشبيه إلى حسي، وعقلي	٢٠٠
المبحث الثاني في تقسيم طرفي التشبيه باعتبار الإفراد، والتركيب	٢٠٣
المبحث الثالث في تقسيم طرفي التشبيه: باعتبار تعددهما	٢٠٤
المبحث الرابع في تقسيم طرفي التشبيه باعتبار وجه الشبه	٢٠٧
المبحث الخامس في تشبيه التمثيل	٢١١
المبحث السادس في أدوات التشبيه	٢١٣
المبحث السابع في تقسيم التشبيه باعتبار أداته	٢١٤
المبحث الثامن في فوائد التشبيه	٢١٦
التشبيه الضمني	٢١٩
التشبيه المقلوب	٢١٩
المبحث في تقسيم التشبيه باعتبار الغرض إلى مقبول وإلى مردود	٢٢١
تطبيق عام على انواع التشبيه	٢٢٤
بلاغة التشبيه وبعض ما أثر منه عن العرب والمحدثين	٢٢٧
الباب الثاني في المجاز	٢٣١
المبحث الأول في تعريف المجاز وأنواعه .	٢٣٢
المبحث الثاني في المجاز اللغوي المفرد المرسل وعلاقاته	٢٣٣
المبحث الثالث في تعريف المجاز العقلي وعلاقاته	٢٣٧
بلاغة المجاز المرسل والمجاز العقلي	٢٤١
المبحث الرابع في المجاز المفرد بالاستعارة	٢٤٢

الموضوع	الصفحة
تعريف الاستعارة وبيان أنواعها	٢٤٣
المبحث الخامس في تقسيم الاستعارة باعتبار ما يذكر من الطرفين	٢٤٥
المبحث السادس في الاستعارة باعتبار الطرفين	٢٤٨
المبحث السابع في الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار	٢٤٨
المبحث الثامن في تقسيم الاستعارة المصرحة باعتبار الطرفين	٢٦٢
المبحث التاسع في تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع	٢٦٣
المبحث العاشر في تقسيم الاستعارة باعتبار ما يتصل بها من الملاءمات، وعدم اتصالها	٢٦٥
المبحث الحادى عشر في المجاز المرسل المركب	٢٦٧
المبحث الثاني عشر في المجاز المركب بالاستعارة التمثيلية	٢٦٩
بلاغة الاستعارة بجميع أنواعها	٢٧٥
الباب الثالث في الكناية وتعريفها وأنواعها	٢٧٧
بلاغة الكناية	٢٨٥
أثر علم البيان في تأدية المعاني	٢٨٧

الموضوع	الصفحة
علم البديع	
الباب الأول في المحسنات المعنوية	٢٩٣
التورية	٢٩٣
الاستخدام	٢٩٥
الاستطراد	٢٩٦
الافتنان	٢٩٧
الطباق	٢٩٧
المقابلة	٢٩٩
مراعاة النظير	٢٩٩
الإرصاد	٣٠٠
الإدماج	٣٠١
المذهب الكلامي	٣٠١
حسن التعليل	٣٠٢
التجريد	٣٠٥
المشاكلة	٣٠٦
المزاوجة	٣٠٧
الطي والنشر	٣٠٧
الجمع	٣٠٨
التفريق	٣٠٩
التقسيم	٣١٠
الجمع مع التفريق	٣١٠

الموضوع	الصفحة
الجمع مع التقسيم	٣١١
المبالغة	٣١١
المغايرة	٣١٢
تأكيد المدح بما يشبه الذم	٣١٣
تأكيد الذم بما يشبه المدح	٣١٤
التوجيه	٣١٥
نفي الشيء بإيجابه	٣١٦
القول بالموجب	٣١٦
ائتلاف اللفظ مع المعنى	٣١٧
التفريع	٣١٧
الاستتباع	٣١٨
السلب والإيجاب	٣١٨
الإبداع	٣١٩
الأسلوب الحكيم	٣٢١
تشابه الأطراف	٣٢٣
العكس	٣٢٣
تجاهل العارف	٣٢٤
تطبيق عام على البديع المعنوى	٣٢٦
الباب الثاني في المحسنات اللفظية	٣٢٩
الجناس	٣٢٩
التصحيف	٣٣٧
الازدواج	٣٣٧
السجع	٣٣٧
الموازنه	٣٣٨
الترصيع	٣٣٩
التشريع	٣٣٩
لزوم ما لايلزم	٣٤٠
رد العجز على الصدر	٣٤٤
ما لايستحيل بالانعكاس	٣٤١
المواربة	٣٤١
ائتلاف اللفظ مع اللفظ	٣٤٢
التسميط	٣٤٢
الانسجام أو السهولة	٣٤٢
الاكتفاء	٣٤٣
التطريز	٣٤٣
خاتمة في السرقات الشعرية وما يتبعها	٣٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

لاشك ان علم البلاغة (المعانى و البيان و البديع) من العلوم التي لها دور فاعل في الفهم الصحيح للمتون الاسلامية خصوصاً الآيات و الروايات، و يتوقف علىٰ الالمام بها فهمُ جانبٍ كبيرٍ من اعجاز القرآن الكريم و ادراك عمق بعض المصادر الدينية الاخرى (كنهج البلاغة) و (الصحيفة السجادية)؛

و لهذه الأسباب د أب العلماء منذ القِدم علىٰ تأليف الكتب والبحوث القيمة في هذا المجال؛ و التي بدورها تحتوي علىٰ فوائد جمّة.

و من جملة الآثار المدوّنة في هذا المجال كتاب (جواهر البلاغة) و الذي اختارهُ مركز مديرية الحوزة العلمية في قم المقدسة متناً درسياً لطلابه نظراً لما فيه من المميزات التي تميزه عن باقي الكتب.

و هذا الكتاب يقدّم الابحاث التي يحتاجها طلاب علم البلاغة مقرونة بالتمارين المتعددة التي يرفع قدرة الطالب علىٰ تعلُّم ابحاث الكتاب بشكلٍ جيّد، و لكنها في بعض الأحيان زائدة عن حدها و اكثرما يحتاجه الطالب، خصوصاً اذا اخذنا بنظر الاعتبار الوقت المحدد لدراسة الكتاب؛ حيث كان الأساتذة والطلاب يعانون مشكلة اساسية تكمن في عدم كفاف الوقت لاتمام الكتاب، اضافة الىٰ ذلك فأنا قد وجدنا في الكتاب بعض الأخطاء المطبعية والفنية ـ من حيث الاخراج الفني للكتاب ـ و ايضاً وجدنا فيه مدحاً من المؤلف لبعض الأشخاص الذين ثبت اندافهم الفكري.

لذلك قامت معاونية التعليم في مركز مديرية الحوزه العلمية في قم المقدسه باعادة النظر في الكتاب و اصلاحه سواءً علىٰ صعيد حذف بعض التمارين الزائدة او اعادة الأخراج الفني للكتاب او تغيير متن الكتاب في موارد قليله.

بالرغم من ان الكتاب يحتوي علىٰ نقاط ضعف في متنه الاصلى الاّ انّنا ـ ولبعض الأسباب ـ لم نقم بأصلاح علمى لجميع متن الكتاب و بالطبع يجدر بالأساتذه الأعزاء ان يشيروا الىٰ الموارد التي تحتوي علىٰ اشكالات و ينبهوا الطلاب عليها.

و يجدر بنا في هذه المقدمة ان نتقدم بالشكر الجزيل لسماحة حجةالأسلام والمسلمين السيد حميد الجزائري تقديراً له علىٰ ما بذله من جهدٍ مبارك في اصلاح الكتاب.

كما و نرجوا من الباري تعالىٰ ان تستمر حركة اصلاح المتون الدراسية بما يؤثر في تحصّن نظام التعليم في الحوزه و ان يتقبل اعمال العاملين في هذا المجال.

معاونية التعليم

مركز مديرية الحوزه العلميه قم

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن خصَّ سيِّد الرُّسل بكمال الفَصاحة بين البَدوِ والحضَر وأنطقهُ بجوامع الكلِمَ فأعجز بُلَغاء رَبيعةَ ومُضَر، وأنـزل عـليه الكـتاب المُـفْحِم بـتَحدِّيه مَـصاقِع بُـلغاء الأعـراب، وآتاه بحكمته أسرار البلاغة وَفصل الخطاب، ومنحهُ الأسلُوب الحكيم[1] في جوامع كلِمه، وخصَّ «السَّعادة الأبدية» لمُقتفي آثاره وحِكَمِه، صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «جواهر البلاغة» الذين نَظمُوا لآلىء البديع في عُقود الإيجاز والإطناب، فَفُهنا بعد اللَّكن «بجواهر الإعراب» ونطقنا «بميزان الذَّهب» وطرَّزنا سُطور الطِّرُوس «بجواهر الأدب» فصارت «المُفرد العَلم» في باب النَّسب (وبعد) فإنَّ العلومَ أرفعُ المطالب، وأنفع المآرب، وعلم البلاغة مِـن بَـينها أجلها شأناً وأبينها تِبْياناً، إذْ هو الكفيل بإيضاح حقائق التَّنزِيل؛ وإفصاح دقائق التأويل، وإظهار «دلائل الإعجاز» ورفع معالم الإيجاز، ولاشـتغالي بـتدريس البـيان بـالمدارس الثَّانوية، كانت البواعثُ داعيةً إلى تأليف كـتاب «جـواهـر البـلاغة» جـامعاً للـمُهمَّات من القواعد والتطبيقات ـ وأَسْأل المولى جل شأنه أن ينفعَ بهذا الكـتاب، وهـو المُـوفِّق للحق والصَّواب.

المؤلف

السيد أحمد الهاشمي

---

١ . الأسلوب الحكيم والسعادة الأبدية وجواهر البلاغة. وجواهر الإعراب وجواهر الأدب، وميزان الذهب، والمفرد العلم، الواردة في هذه الخطبة أسماء بعض كتب مطبوعة لمؤلف هذا الكتاب. وغيرها من القواعد الأساسية للغة العربية. ومختار الأحاديث النبوية والحكم المحمدية والسحر الحلال في الحكم والأمثال.

تمهيد

لمَّا وُضِع «علمُ الصَّرف» للنَّظر في أبنية الألفاظ. ووُضع «علمُ النَّحْو» للنَّظر في إعراب ما تركب منها. وُضعَ «البيان»[١] للنَّظر في أمر هذا التركيب، وهو ثلاثة علوم:

العلم الأول: ما يُحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى الذي يُريدُه المتكلم لإيصاله إلى ذهن السامع، ويُسمَّى «علم المعاني».

العلم الثاني: ما يحترز به عن التعقيد المعنوي أي عن أن يكونَ الكلامُ غير واضح الدَّلالة على المعنى المُراد، ويُسمَّى «علم البيان».

العلم الثالث: مَا يُراد به تحسين الكلام ويُسَمَّى «علم البديع» فعلم البديع تابع لهما إذ بهما يُعرف التحسين الذَّاتي، وبه يعرف التحسين العرضي.

والكلام باعتباره «المعاني البيان» يقال إنه:

«**فصيحٌ**» من حيثُ اللفظ ـ لأن النَّظر في الفصاحة إلى مُجَرَّد اللفظ دون المعنى.

«**وبليغٌ**» من حيث اللفظ والمعنى جميعاً ـ لأن البلاغة يُنظر فيها إلى الجانبين[٢].

---

١. علم البيان في اصطلاح المتقدمين من أئمة البلاغة يطلق على فنونها الثلاثة من باب تسمية الكل باسم البعض، وخصه المتأخرون بالعلم الباحث عن المجاز والاستعارة والتشبيه، والكناية، والغرض منه صوغ الكلام بطريقة تبين ما في نفس المتكلم من المقاصد، وتوصل الأثر الذي يريده إلى نفس السامع.

٢. وبيان ذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى، فإذن هي كمال لفظيٌ توصف به الكلمة والكلام: والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى في القلب فكأنها مقصورة على المعنى، ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ. والبلاغة تتناول المعنى. أن الببغاء يسمى فصيحاً ولا يسمى

←

وأما باعتبار البديع فلا يقال إنه فصيح ولا بليغ، لأن البديع أمرٌ خارجي يُراد به تحسين الكلام لا غيرُ.

إذا تقرَّر ذلك، وجب على طالب البيان أن يعرف قبل الشروع فيه معرفة معنى «الفصاحة والبلاغة» لأنهما محورهُ، وإليهما مرجع أبحاثه. فهما الغاية التي يَقِفُ عندها المتكلم والكاتب، والضالةُ التي يَنشدانها.

وما عقد أَئِمَّةُ البيان الفصولَ، ولا بَوَّبوا الأبواب، إلا بُغية أن يوقفوا المُسترشد على تحقيقات، وملاحظات وضوابط، إذا رُوعيتْ في خطابة أو كتابة بلغت الحدّ المطلوبَ من سهولة الفهم، وإيجاد الأثر المقصود في نفس السَّامع، واتَّصَفت من ثَمَّ بصفة الفصاحة[1] والبلاغة.

بليغاً، إذ هو مقيم الحروف وليس لها قصد إلى المعنى الذي يؤديه، وقد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً إذا كان واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك غير مستكره فج، ولا متكلف وخم، ولا يمنعه من أحد الاسمين شيء لما فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف.

واعلم أن الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البين. وإنما كان ظاهراً بيناً لأنه مألوف الاستعمال وإنما كان مألوف الاستعمال بين النابهين من الكتاب والشعراء لمكان حسنه. وحسنه مدرك بالسمع. والذي يدرك بالسمع إنما هو اللفظ لأنه صوت يتألف من مخارج الحروف، فما استلذه السمع منه فهو الحسن، وما كرهه فهو القبيح، والحسن هو الموصوف بالفصاحة، والقبيح غير موصوف بالفصاحة، لأنه ضدها لمكان قبحه.

١. يرى الإمام عبدالقاهر الجرجاني وجمع من المتقدمين أن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة، ألفاظ مترادفة لا تتصف بها المفردات، وإنما يوصف بها الكلام بعد تحري معاني النحو فيما بين الكلم حسب الأغراض التي يصاغ لها.

قال أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين: الفصاحة والبلاغة ترجعان الى معنى واحد، وإن اختلف أصلاهما، لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له. وقال الرازي في نهاية الإيجاز: وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين الفصاحة والبلاغة. وقال الجوهري في كتاب الصحاح: الفصاحة هي البلاغة.

مقدمة(١)

(في معرفة الفصاحة والبلاغة)

الفصاحة

الفصاحة: تُطلق في اللّغة على معانٍ كثيرة، منها: البيانُ والظُّهور، قال الله تعالى: ﴿وأخي هارون هو أفصح مِنِّي لساناً﴾ [القصص: ٣٤] أي أبيَنُ مِنِّي منْطقاً وأظهر مِنِّي قَوْلا. ويُقال: أفصح الصَّبيُّ في منطقه. إذا بان وظهر كلامه. وقالت العرب: أفصح الصُّبح. إذا أضاء، وفَصح أيضاً. وأفصح الأعجميُّ: إذا أبان بعدَ أن لم يكن يُفْصِح ويُبين. وفصح اللسان: إذا عبَّرَ عمّا في نفسه. وأظهره على وجه الصَّوَاب دون الخطأ.

والفصاحة: في اصطلاح أهل المعاني، عبارة عن الألفاظ البيِّنةِ الظّاهرة، المُتَبادرةِ إلى الفهم، والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشّعراء لمكان حُسنها.

---

١. مقدمة مشتقة من قدم اللازم، وهذه مقدمة كتاب لأنها ألفاظ تقدمت أمام المقصود لارتباط له بها وانتفاع بها فيه، بخلاف مقدمة العلم فهي معان يتوقف المشروع عليها، كبيان حد العلم المشروع فيه، وموضوعه، وغايته.

واعلم أن علوم البلاغة أجل العلوم الأدبية قدراً، وأرسخها أصلاً، وأبسقها فرعاً وأحلاها جنى، وأعذبها ورداً. لأنها العلوم التي تستولي على استخراج درر البيان من معادنها، وتريك محاسن النكت في مكامنها (ولولاها لم تر لساناً يحولك الوشي، ويلفظ الدر. وينفث السحر، ويريك بدائع الزهر، وينثر بين يديك الحلو اليانع من الثمر) فهي الغاية التي تنتهي إليها أفكار النظر واللآلىء التي تتطلبها غاصة البحار لهذا كانت منزلتها تلو العلم بتوحيد الله تعالى.

و هي تقع وصفاً للكلمة؛ والكلام، والمتكلِّم؛ حَسبما يعتبر الكاتب اللفظة وحدَها، أو مَسبوكة مع أخواتها.

فصاحة الكلمة

تتحقّق فصاحة الكلمة بسلامتها من أربعة عيوب.

١ ـ خلوصها من تنافر الحروف: لتكون رقيقة عَذْبة، تَخِفّ على اللسان؛ ولا تَثْقُل على السَّمع، فلفظ: أسد، أخفّ من لفظ فَدَوْكَس!.

٢ ـ خلوصها من الغَرَابةِ، وتكون مألوفة الاستعمال.

٣ ـ خلوصها من مخالفة القياس الصرفي، حتى لا تكون شاذة.

٤ ـ خلوصها من الكراهة في السمع.[١]

أمّا تنافُر الحروف: فهو وصفٌ في الكلمة يُوجِبُ ثِقلها على السَّمع وصعوبة أدائها باللِّسان، بسبب كون حروف الكلمةُ متقاربة المخارج. وهو نوعان:

١ ـ شديدٌ في الثقل: نحو: هُعخُع لنبت ترعاه الإبل من قول أعرابي:

تركتُ ناقَتي تَرْعَى الهُعْخُع

٢ ـ وخفيف في الثقل: كالتّقنقة: لصوت الضفادع، والنُّقَاخ: للماء العذب الصافي، ونحو: مُشْتَشْزِرات «بمعنى مرتفعات» من قول امرىء القيس يصف شَعر ابنةِ عمِّه: [البحر الطويل]

---

١ . ففصاحة الكلمة تكونها من حروب متالفة يسهل على اللسان نطقها من غير عناء، مع وضوح معناها، وكثرة تداولها بين المتكلمين وموافقتها للقواعد الصرفية ومرجع ذلك الذوق السليم، والإلمام بمتن اللغة، وقواعد الصرف، وبذلك تسلم مادتها، وصيغتها، ومعناها، من الخلل، واعلم أنه ليس تنافر الحروف يكون موجبه دائماً قرب مخارج الحروف، إذ قربها لا يوجبه دائماً، كما أن تباعدها لا يوجب خفتها. فها هي كلمة «بفمي» حسنة، وحروفها من مخرج واحد وهو الشفة، وكلمة «ملع» متنافرة ثقيلة، وحروفها متباعدة المخارج، وأيضاً ليس موجب التنافر طول الكلمة وكثرة حروفها.

غـدائـرهُ مُشـتشزراتٌ إلى العـلاَ تَضِل العـقاصَ في مُـثنًّى ومُـرْسَل[١]

ولا ضابطَ لمعرفة الثقل والصعوبة سوى الذّوق السليم، والحِسّ الصادق الناجمين عن النظر في كلام البلغاء وممارسة أساليبهم[٢].

وأمّا غَرابة الاستعمال، فهي كونُ الكلمة غيرَ ظـاهرةِ المـعنى، ولا مألوفـة الاسـتعمال عند العرب الفَصْحاء، لأنّ المعوّل عليه في ذلك استعمالهم.

---

١. «الغدائر» الضفائر، والضمير يرجع إلى (فرع) في البيت قبله (والاستشزار) الارتفاع (والعقاص) جمع عقيصة وهي الخصلة من الشعر (والمثنى) الشعر المفتول (والمرسل) ضده أي ابنة عمه لكثرة شعرها بعضه مرفوع، وبعضه مثنى، وبعضه مرسل، وبعضه معقوص، أي ملوي.

٢. الألفاظ تنقسم إلى ثلاثة أقسام، قسمان حسنان، وقسم قبيح، فالقسمان الحسنان: أحدهما ما تداول استعماله السلف والخلف من الزمن القديم إلى زماننا هذا ولا يطلق عليه أنه وحشي. والآخر ما تداول استعماله السلف دون الخلف، ويختلف في استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله، وهذا هو الذي يعاب استعماله عند العرب لأنه لم يكن عندهم وحشياً وهو عندنا وحشي.

ولا يسبق وهمك إلى قول قصراء النظر بأن العرب كانت تستعمل من الألفاظ كذا وكذا، فهذا دليل على أنه حسن، بل ينبغي أن تعلم أن الذي نستحسنه نحن في زماننا هذا، هوالذي كان عند العرب مستحسناً، والذي نستقبحه هوالذي كان عندهم مستقبحاً، والاستعمال ليس بدليل عى الحسن، فإننا نحن نستعمل الآن من الكلام ما ليس بحسن، وإنما نستعمله لضرورة، فليس استعمال الحسن بممكن في كل الأحوال، واعلم أن استحسان الألفاظ واستقباحها لا يؤخذ بالتقليد من العرب لأنه شيء ليس للتقليد فيه مجال، وإنما هو شيء له خصائص وهيئات وعلامات إذا وجدت علم حسنه من قبحه، ألا ترى أن لفظة (المزنة) مثلاً حسنة عند الناس كافة من العرب وغيرهم، لا يختلف أحد في حسنها وكذلك لفظ (البعاق) فإنها قبيحة عند الناس كافة من العرب وغيرهم، فإذا استعملتها العرب لا يكون استعمالهم إياها مخرجاً لها عن القبح، ولا يلتفت إذن إلى استعمالها إياها بل يعاب مستعملها ويغلظ له النكير حيث استعملها، فلا تظن أن الوحشي من الألفاظ ما يكرهه سمعك ويثقل عليك النطق به وإنما هو الغريب الذي يقل استعماله، فتارة يخف على سمعك ولا تجد به كراهة وتارة يثقل على سمعك وتجد منه الكراهة، وذلك في اللفظ عيبان: كونه غريب الاستعمال وكونه ثقيلاً على السمع كريهاً على الذوق. وليس وراءه في القبح درجة أخرى، ولا يستعمله إلا أجهل الناس ممن لم يخطر بباله شيء من معرفة هذا الفن أصلاً، انتهى عن المثل السائر، بتصرف.

والغرابة قسمان:

القسم الأول: ما يُوجب حيرة السّامع في فَهم المعنى المقصود من الكلمة: لتردّدها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة.

وذلك في الالفاظ المشتركة: كمُسرّج، من قول رُؤْبَة بن العَجاج: [الرجز]

ومُقْلةً وحَاجِباً مُزَجّجا وفاحماً وَمِرْسِناً مُسَرَّجا[1]

فلا يُعلم ماأراد بقوله: مُسرَّجاً حتى اخْتَلف أئمة اللغة في تخريجه.

فقال ابن دُريد: يريد أنّ أنفه في الاستواء والدّقة كالسيف السَّريجي. وقال «ابنُ سيده»: يريد أنه في البريق واللمعان كالسّراج[2]. فلهذا يَحتار السَّامعُ في فهم المعنى المقصود لتردّد الكلمة بين معنيين بدون «قرينة» تُعيِّن المقصود منهما. فلأجل هذا التردد، ولأجل أنّ مادة (فعّل) تدلّ على مجرّد نسبة شيء لشيء، لا على النسبة التشبيهيّة: كانت الكلمة غير ظاهرة الدلالة على المعنى فصارت غريبة.

وأما مع القرينة فلا غرابة ـ كلفظة: عزَّر في قوله تعالى: ﴿فالذين آمنوا وعزّروه ونصروه﴾ [الأعراف: ١٥٧] فإنها مشتركة بين التّعظيم والإهانة. ولكن ذكر النصر قرينة على إرادة التعظيم.

---

١ . مزججاً: مدققاً مطولاً (فاحماً) شعراً أسود كالفحمة (مرسناً) بكسر الميم وفتح السين كمنبر، أو بفتح الميم وكسر السين كمجلس، ومعناه أنه ذو لمعان كالسراج أو ذو صقالة واحديداب كسالسيف السريجي أي المنسوب إلى سريج وهو قين حداد تنسب إليه السيوف في الدقة والاستواء.

٢ . أي ولفظة مسرج غير ظاهرة الدلالة على ما ذكر، لأن فعل إنما يدل على مجرد النسبة. وهي لا تدل على التشبيه، فأخذه منها بعيد، لهذا أدخل الحيرة على السامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة لترددها بين معنيين أو أكثر بلاقرينة، ومثله قول الشاعر:

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل [الكامل]

فلا يعلم ماذا أراد الشاعر بقوله فعلت ما لم أفعل، أكان يبكي إذ رحلوا، أم كان يهيم على وجهه من الغم الذي لحقه، أم يتبعهم إذا ساروا، أم يمنعهم من المضي على عزمة الرحيل.

القسم الثاني: ما يُعاب استعماله لاحتياج إلى تتبُّع اللغات. وكثرة البحث والتفتيش في المعاجم وقواميس متن اللغة المطولة.

أ ـ فمنه ما يُعثر فيها على تفسيره بَعْدَ كَدٍّ وبَحثٍ نحو: تَكأكأتُم (بمعنى اجتمعتم) من قول عيسى بن عمرو النحوي:

مَا لَكُمْ تَكأكَأْتُمْ عَلَيَّ، كَتكأكُئِكُم على ذِي جنّة؟[1] افرنقِعُوا عنّي[2] ونحو (مُشْمَخِرٍّ) في قول: بِشْرِ بن عَوانة. يَصفُ الأسدَ:

فـخرَّ مـضرّجاً بِـدمٍ كأني هَـدَمْتُ بـه بِـناءً مُشْـمَخِرّا

ب ـ ومنه ما لم يُعثر على تفسيره نحو: (جَحْلَنْجَع) من قول أبي الهمَيْسَعْ [الرجز]

مِنْ طَمحة صَبِيرها جَحلَنْجَع[3] لم يحضها الجدول بالتّنوُّع

وأمّا مُخالفة القياس: فهو كون الكلمة شاذّة غيرَ جارية على القانون الصَّرفيّ المسْتَنبَط من كلامِ العرب؛ بأن تكون على خلاف ما ثبت فيها عن العُرف العربي الصَّحيح[4]

---

١. جنون.

٢. انصرفوا، وقال ذلك حين سقط عن دابته فاجتمع الناس حوله.

٣. الطمحة النظرة، والصبير السحاب المتراكم. وقبله: [الرجز].

إن تمنعي صوبك صوب المدمع يجري على الخد كضئب الثعثع

الضئب الحب والثعثع اللؤلؤ، قال صاحب القاموس: ذكروا جحلنجع ولم يفسروه. وقالوا: كان أبو الهميسع من أعراب مدين. وكنا لا نكاد نفهم كلامه.

٤. ما استثناه الصرفيون من قواعدهم المجمع عليها وإن خالف القياس (فصيح) فمثل «آل وماء» أصلهما أهل وموه، أبدلت الهاء فيهما همزة. وإبدال الهمزة من الهاء وإن كان على خلاف القياس إلا أنه ثبت عن الواضع، ومثل «أبى يأبى» بفتح الباء في المضارع. والقياس، كسرها فيه لأن فعل بفتح العين لا يأتي مضارعه على يفعل بالفتح إلا إذا كان عين ماضيه أو لامه حرف حلق كسأل ونفع، فمجيء المضارع بالفتح على خلاف القياس، إلا أن الفتح ثبت عن الواضع، ومثل (عور يعور) فالقياس فيهما عار يعار بقلب الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ماقبلها، فتصحيح الواو خلاف القياس إلا أنه ثبت عن الواضع.

(الأُجْلَلِ) في قول أبي النَّجْم: [الرجز]

الحمدُ للهِ العَلِيِّ الأجْلَلِ الواحدِ الفَرْدِ القَدِيم الأوَّلِ

فإن القياس الأجَلّ بالإدغام، ولا مُسَوِّغَ لفكِّه.

وكقطع همزة وصل إثنين في قول جميل: [الطويل]

ألاَ لاَ أرى إثنين أحسن شِيمةً على حَدَثان الدَّهرِ منِّي ومن جُمل[1]

ويُستثنى من ذلك ما ثبت استعماله لَدى العرب مخالفاً للقياس ولكنّه فصيح.

لهذا لم يخرُج عن الفصاحة لفظتا: المشرق والمغرب بكسر الراء، والقياس فتحها فيهما، وكذا لفظتا: المُدهُن والمنْخُل والقياس فيهما مِفْعل بكسر الميم وفتح العين ـ وكذا نحو قولهم: عَور والقياس: عارَ، لتحرُّك الواو وانفتاح ماقبلها.

وأمَّا الكراهة في السمع: فهو كون الكلمة وحشِية، وتأنفُها الطِّباع وتمجها الأسماع، وتَنبُو عنه، كما يَنبُو عن سماع الأصوات المُنكرة. كالجِرشيِّ للنفس في قول أبي الطيب المُتنبِّي يمدح سَيف الدَّولة: [المتقارب]

مُبَارَكُ الاسْم أغرُّ اللقبْ كَريمُ الجِرشيِّ شريفُ النسَبْ

ومُلخص القول: أن فصاحةَ الكلمة تكون بسلامتها من تنافر الحروف ومن الغرابة، ومن مخالفة القياس، ومن الابتذال، والضّعف.

فإذا لصق بالكلمة عيب من هذه العيوب السابقة وَجب نبذها واطِّراحها.

تطبيق

ما الذي أخلّ بفصاحة الكلمات فيما يأتي:

قال يحيى بن يعمر لرجل حَكَتهُ امرأته إليه: «أئِنْ سألتُكَ ثمنَ شكْرِها وشَبرِك، أخذت تُطلّها وتُضْهِلها؟[2]

---

١. الشيمة الخلق، والحدثان نوائب الدهر.

٢. الشكر الرضاع والشبر النكاح وتطلها تسعى في بطلان حقها وتضهلها تعطيها الشيء القليل.

وقال بعض امراء العرب، وقد اعتلت أمّه، فكتب رقاعاً وطرحها في المسجد الجامع بمدينة السلام: صِينَ امرؤٌ ورَعَا، دَعا لامرأة أنْقحُلة[١] مُقسئنة[٢] قد مُنيت بأكلها الظّرموق[٣] فأصابها من أجله الاستِعْصَالُ[٤] بأن يَمُنَّ الله عليها بالأطرْعشاش[٥] والابرغشاش. أسمعُ جَعجَعة[٦] ولا أَرَى طحناً، الإسْقِنْطُ[٧] حرام، وهذا الخَنشليل[٨] صَقيل، والْفَدَوْكسُ مُفترسٌ[٩]. يومٌ عَصَبصبٌ، وهِلَّوْفٌ، ملأ السَّجْسَجَ طَلاً[١٠].

أمِنَّا أنْ تَصَرَّعَ عن سَماحٍ ... وللآمال في يدكِ اصْطِرَاع[١١]

[الوافر]

وقال الفرزدق: [الكامل]

وإذا الرِّجالُ رأوا يَزيدَ رأيتَهُم ... خُضعَ الرِّقاب نواكس الأبصار[١٢]

يا نفسُ صبراً كل حيّ لاقي ... وكل آثنين إلى افتراق

---

١. يابسة.

٢. مسنة عجوز.

٣. ابتليت بأكل الطين.

٤. الإسهال.

٥. البرء، وكذا معنى ما بعده.

٦. جعجعة غير فصيحة لتنافر حروفها، وهو مثل يضرب لمن يقول ولا يفعل.

٧. الاسقنط الخمر.

٨. الخنشليل السيف.

٩. الفدوكس الأسد، فكل من هذه الألفاظ الثلاثة وحشية غير مألوفة.

١٠. شديد البرد فيها، السجسج الأرض التي ليست بسهلة ولا صلبة.

١١. أراد: أنهم أمنوا أن يغلبه غالب يصرعه عن السماع ويمنعه منه وأما قوله: (وللآمال في يدك اصطراع) فمعناه تنافس وتغالب وازدحام في يده، يريد كثرة نواله وكرمه. واستعماله للفظة الاصطراع بهذا المعنى بعيد.

١٢. فقد جمع (ناكس) على (فواعل) شذوذاً وهذا لا يطرد إلا في وصف لمؤنث عاقل لا لمذكر كما هنا إلا في موضعين (فوارس وهوالك) والناكس: مطأطيء الرأس.

تشكو الوجى من أظْلَل وَأظْلَلِ ... من طول إملال وظهر مُمْلِلِ[١]

[الرجز]

تمرين

١ ـ أيُّ أجزاء هذين البيتين غير فصيح:

أصبحتُ كالثوب اللّبيس قد اخلقت ... جِنداته منه فعاد مُذالا[٢]

[الكامل]

رمتني مَيٌّ بالهوى رميَ مُمضِغ ... من الوحش لَوطٍ لم تعقْهُ الأوالس[٣]

[الطويل]

---

١. الوجى الحفا: والأظلل باطن خف البعير، وخالف القياس بفك الإدغام.

تنبيهات: الأول من عيوب فصاحة اللفظة المفردة كونها مبتذلة، أي عامية ساقطة كالفالق والشنطار ونحوهما: والابتذال ضربان:

أ ـ ما استعملته العامة ولم تغيره عن وضعه، فسخف وانحطت رتبته. وأصبح استعماله لدى الخاصة معيباً. كلفظة البرسام في قول المتنبي. [الخفيف].

إن بعضاً من القريض هراء ... ليس شيئاً وبعضه أحكام

فيه ما يجلب البراعة والفهم ... وفيه ما يجلب البرسام

ب ـ ما استعملته العامة دالاً على غير ما وضع له. وليس بمستقبح ولا مكروه كقول المتلمس:

وقد أتناسى الهم عند احتضاره ... بناج عليه الصيعرية مكدم

الثاني: لا تستعمل الالفاظ المبهمه اذا كان غرضك التعيين وإحضار صورة الشيء. أو المعنى المراد في الذهن.

الثالث: لاتستعمل اللفظ المشترك الّا مع قرينة تبين المراد من معانيه المشتركة.

٢. لابن الرومي، واللبيس: الملبوس والإخلاق: البلى. والجدة: صفة الثوب الجديد: والمذال: الممتهن.

٣. اللوط: الخفيف السريع، والأوالس: النوق السريعة.

فصاحة الكلام

فصاحة الكلام: سلامته بعد فصاحة مُفرداته ممّا يُبْهِمُ معناه، ويَحول دون المراد منه[١] وتَتحقق فصاحته بخُلوّه من ستة عيوب.

١ ـ تنافُر الكلمات مجتمعة، ٢ ـ ضعف التأليف، ٣ ـ التّعقيد اللفظي ٤ ـ التّعقيد المعنوي، ٥ ـ كثرة التكرار[٢]، ٦ ـ تتابع الاضافات.

الأوّل: تنافُر الكلمات مُجتمعة: أن تكون الكلمات ثقيلة على السمع، يلزم من تركيبها مع بعضها عسرة النطق بها مُجتمعة على اللسان. (وإن كان كل جزء منه على انفراده فصيحاً).

والتّنافر يَحْصُل: إمّا بتجاوُر كلمات متقاربة الحروف، وإمّا بتكرير كلمة واحدة.

---

١ . المراد بفصاحة الكلام تكوّنه من كلمات فصيحة يسهل على اللسان النطق بها لتآلفها، ويسهل على العقل فهمها لترتيب ألفاظها وفق ترتيب المعاني.

ومرجع ذلك إلى الذوق السليم والإلمام بقواعد النحو، بحيث يكون واضح المعنى سهل اللفظ. حسن السبك، ولذلك يجب أن تكون كل لفظة من ألفاظه واضحة الدلالة على المقصود منها. جارية على القياس الصرفي، عذبة سلسلة، كما يكون تركيب الكلمات جارياً على القواعد النحوية خالياً عن تنافر الكلمات مع بعضها، ومن التعقيد. فرجع الفصاحة سواء في اللفظة المفرد، أو في الجمل المركبة إلى أمرين (مراعاة القواعد، والذوق السليم) وتختلف فصاحة الكلام أحياناً باختلاف التعبير عما يدور بالنفس من المعاني اختلافاً ظاهراً. فتجد في عبارات الأدباء من الحسن والجودة ما لا تجد في تعبير غيرهم، مع اتحاد المعنى الذي يعبر عنه ويختلف الأدباء أنفسهم في أساليبهم: فقد يعلو بعضهم في أسلوبه. فتراه يسيل رقة وعذوبة. ويصل إلى القلوب فيبلغ منها ما يشاء أن يبلغ. وذلك نوع من البيان يكاد يكون سحراً، وقد يكون دون هذه المنزلة قليلاً أو كثيراً، وهو مع ذلك من فصيح القول وحسن البيان.

٢ . (كثرة التكرار: وتتابع الإضافات) أقول الحق، إن هذين العيبين قد احترز عنهما بالتنافر. على أن بعضهم أجازهما لوقوعهما في القرآن كما في قوله تعالى ﴿ونفس وما سواها﴾ الآيات، وفي قوله تعالى: ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾.

أ ـ ومنه شديد الثقل: كالشطر الثاني في قوله: [الرجز]

وَقَبْرُ حَرْبٍ بمكان قفرُ وَليس قُرْبَ قبر حَرْبٍ قبرُ[١]

ب ـ ومنه خفيف الثِّقل كالشطر الأول في قول أبي تمَّام [الطويل]

كريمٌ متى أمْدحْه أمْدَحْهُ والوَرَى مَعي، وإذا مَا لُمْتُهُ لُمْتُه وحْدِي[٢]

الثاني: **ضعف التأليف**: أن يكون الكلام جارياً على خلاف ما اشتهر من قوانين النحو المعتبرة عند جُمهور العلماء: كوصل الضميرين، وتقديم غير الأعرف منهما على الأعرف، مع أنه يجب الفصل في تلك الحالة، كقول المتنبي: [الكامل]

خَلَت البلادُ من الغَزَالةِ لَيْلَها فأعاضَهاكَ اللهُ كي لا تحزنا

وكالإضمار قبل ذكر مرجعه لفظاً ورُتبة وحُكماً في غير أبوابه[٣] نحو: [الطويل]

---

١. حرب بن أمية: قتله قائل هذا البيت، وهو هاتف من الجن صاح عليه (قفر) خال من الماء والكلأ، وقبر اسم ليس مؤخر، وقرب خبرها مقدم، قيل: إن هذا البيت لا يمكن إنشاده ثلاث مرات متوالية إلا ويغلط المنشد فيه، لأن نفس اجتماع كلماته وقرب مخارج حروفها. يحدثان ثقلاً ظاهراً، مع أن كل كلمة منه لو أخذت وحدها ما كانت مستكرهة ولا ثقلية.

٢. أي هو كريم. وإذا مدحته وافقني الناس على مدحه. ويمدحونه معي لإسداء إحسانه إليهم كإسدائه إلي، وإذا لمته، لا يوافقني أحد على لومه، لعدم وجود المقتضي للوم فيه، وآثر لمته على هجوته مع أنه مقابل المدح إشارة إلى أنه لا يستحق الهجو ولو فرط منه شيء فإنما يلام عليه فقط والثقل في قوله: «أمدحه» لما بين الحاء والهاء من التنافر، للجمع بينهما. وهما من حروف الحلق، كما ذكره الصاحب إسماعيل بن عباد.

٣. المجموعة في قول بعضهم: [الرجز].

ومرجع الضمير قد تأخرا لفظاً ورتبة وهذا حصرا

في باب نعم وتنازع العمل ومضمر الشأن ورب والبدل

ومبتدا مفسر بالخبر وباب فاعل بخلف فاخبر

واعلم أن ضعف التأليف ناشيء من العدول عن المشهور إلى قول له صحة عند بعض أولي النظر، أما إذا خالف المجمع عليه كجر الفاعل ورفع المفعول ففاسد غير معتبر، والكلام في (تركيب له صحة واعتبار).

ولو أنّ مَجْـداً أخـلدَ الدهـرَ واحـداً من الناس أبقى مجدُه الدهرَ (مُطعِما)[١]

الثالث: **التّعقيد اللفظي**: هو كون الكلام خَفِي الدّلالة على المعنى المراد به، بحيث تكون الألفاظ غير مرتَّبة على وِفق ترتيب المعاني. (وينشأ ذلك التّعقيد من تقديم أو تأخير أو فصل بأجنبي بين الكلمات التي يجب أن تتجاور ويتصل بعضها ببعض)[٢] وهو مذموم: لأنه يُوجب اختلال المعنى واضطرابه، من وضع ألفاظه في غير المواضع اللائقة بها كقول المتنبي:[الكامل]

جفَخَتْ وهُـمْ لا يَجْـفَخُونَ بهـا بهـمْ شِيَمٌ عـلى الحسب الأغـر دَلائـل[٣]

أصله: جفخت بهم شِيَم دلائل على الحسَبِ الأغر، وهم لا يجفخون بها.

الرابع: **التّعقيد المعنوي**: كون التركيب خفِيّ الدّلالة على المعنى المراد[٤] بحيث لا يفهم معناه إلا بعد عناء وتفكير طويل.

وذلك لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأصلي إلى المعنى المقصود بسبب إيراد اللوازم البعيدة، المفتقرة إلى وسائط كثيرة، مع عدم ظهور القرائن الدّالة على المقصود: بأن يكون

---

١. فإن الضمير في (مجده) راجع إلى (مطعما) وهو متأخر في اللفظ كما يرى وفي الرتبة لأنه مفعول به. فالبيت غير فصيح لمخالفته قواعد النحو.
ومطعم أحد رؤساء المشركين، وكان يدافع عن النبي ﷺ. ومعنى البيت أنه لو كان مجد الإنسان سبباً لخلوده في هذه الدنيا لكان (مطعم بن عدي) أولى الناس بالخلود لأنه حاز من المجد مالم يحزه غيره، على يد أصحاب الشريعة.

٢. وذلك كالفصل بأجنبي بين الموصوف والصفة، وبين البدل والمبدل منه، وبين المبتدأ والخبر، وبين المستثنى والمستثنى منه، ما يسبب ارتباكاً واضطراباً شديداً.

٣. فلفظة جفخت مرة الطعم، وإذا مرت على السمع اقشعر منها. ولو استعمل (المتنبي) عوضاً عن جفخت (فخرت) لاستقام البيت، وحظي في استعماله بالأحسن.

٤. بحيث يعمد المتكلم إلى التعبير عن معنى فيستعمل فيه كلمات في غير معانيها الحقيقية، فيسيء اختيار الكلمات للمعنى الذي يريده، فيضطرب التعبير ويلتبس الأمر على السامع نحو. نشر الملك ألسنته في المدينة، يريد جواسيسه والصواب نشر عيونه.

فهمُ المعنى الثاني من الأول بعيداً عن الفهم عُرفاً[١]. كما في قول عبَّاس بن الأحْنف: [الطويل]

سأطـلُبُ بُـعْدَ الدار عـنكم لِستقربُوا وتسكُبُ عيْناي الدُّمـوعَ لِـتجْمُدَا[٢]

جعلَ سكبَ الدموع كناية عمَّا يلزم في فراق الأحبَّة من الحزن والكمد: فأحسن وأصابَ في ذلك، ولكنه أخطأ في جعل جمود العينِ كنايةً عما يوجبه التَّلاقي من الفرح والسُّرُور بقُرب أحبّته، وهو خَفيّ وبعيدٌ[٣]، إذ لم يُعرفْ في كلام العرب عند الدُّعاء لشخص بالسُّرُور أن يقال له: (جَمُدت عينك) أو لا زالت عينك جامِدةً. بل المعروف عندهم أنَّ جمود العين إنما يكْنى به عن عدم البكاء حالة الحزن، كما في قول الخنسَاء: [المقارب]

أعـــينيَّ جُـــودا ولا تَجْـــمُدَا ألا تـــبكيانِ لصَـــخْر النَّـــدى

وكما في قول أبي عطاء يرثي ابن هُبيرة: [الطويل]

---

١. فالمناط في الصعوبة عدم الجريان على ما يتعاطاه أهل الذوق السليم، لا كثرة الوسائط الحسية، فإنها قد تكثر من غير صعوبة، كما في قولهم: فلان كثير الرماد كناية عن المضياف، فإن الوسطائط كثيرة فيه ولكن لا تعقيد.

٢. تسكب بالرفع عطف على أطلت، وبالنصب عطف على بعد: من قبيل عطف الفعل على اسم خالص من التأويل بالفعل، والمراد طلب استمرار السكب: لا أصله لئلا يلزم تحصيل الحاصل.

٣. ووجه الخفاء والبعد: أن أصل معنى جمود العين جفافها من الدموع عند إرادتها منها، والانتقال منه إلى حصول السرور بعيد لأنه يحتاج إلى وسائط. بأن ينتقل من جمود العين إلى انتفاء الدمع منها، حال إرادة البكاء، ومنه إلى انتفاء الدمع مطلقاً، ومنه إلى انتفاء الحزن ونحوه «فإن ذلك هو السبب غالباً في الدمع» ومن انتفاء الحزن ونحوه إلى السرور، ولا يخفى أن الشاعر قد طوى وحذف جميع هذه الوسائط فأورث بطء الانتقال من المعنى الأصل الحقيقي إلى المعنى المراد، وخالف حينئذٍ أسلوب البلغاء. فنشأ من ذلك التعقيد المعنوي. واعلم أن الشاعر أراد أن يرضى بالبعد والفراق، ويعود نفسه على مقاساة الأحزان والأشواق. ويتحمل من أجلها حزناً يفيض من عينيه الدموع. ليتوصل بذلك إلى وصل يدوم. ومسرة لا تزول، على حد قول الشاعر: [الكامل].

ولطـالما اخـترت الفـراق مغالطاً واحـتلت في استثمار غـرس ودادي

ورغـبت عـن ذكـر الوصـال لأنهـا تـبنى الأمـور عـلى خـلاف مـرادي

ألا إنَّ عَـيناً لم تُجـد يـومَ وَاسِطٍ عـليكَ بجـاري دَمـعها لَجـمودُ[١]

وهكذا كل الكنايات التي تستعملها العرب لأغراض ويغيّرها المتكلمُ، ويريد بها أغراضاً أخرى تعتبر خروجاً عن سنن العرب في استعمالاتهم، ويُعدّ ذلك تعقيداً في المعنى، حيث لا يكون المراد بها واضحاً.

الخامس: كثرة التكرار[٢]: كون اللفظ الواحد اسماً كان أو فعلاً أو حرفاً.

وسواء أكان الاسم: ظاهراً أو ضميراً، تعدّد مرّة بعد أخرى بغير فائدة كقوله: [الرجز]

إني وأسـطارٍ سُـطرنَ سـطرا لَـقائلٌ يـا نـصرُ نـصرٌ نـصرَا

وكقول المتنبي: [البسيط]

أقِـلْ أَنِـلْ اجـلْ عـلَّ سـل عِـد زِدْ هشَّ بشَّ تـفضلْ أدْنِ سُرَّ صِـل

وكقول أبي تمّام في المديح: [البسيط]

كأنـه في اجـتماع الرُّوح فـيه لهُ في كل جـارحـةٍ مـن جسـمه رُوحُ

السادس: تتابعُ الإضافات: كون الاسم مضافاً إضافة مُتداخلة غالباً، كقول ابن بابك: [الطويل]

حمامَةَ جَرعا حَوْمَةِ الجَندَل اسجعي فأنت بمرْأى مِنَ سُعاد ومَسْمع[٣]

وملخص القول: **إنَّ فصاحة الكلام تكون بخلوّه من تنافر كلماته، ومن ضعف تأليفه، وتعقيد معناه، ومن وضع ألفاظه في غير المواضع اللائقة بها.**

---

١. أي لبخيلة بالدموع.

٢. المراد بالكثرة ههنا ما فوق الواحدة، فذكر الشيء ثانياً تكرار. وذكره ثالثاً كثرة. وإنما شرطت الكثرة لأن التكرار بلا كثرة لا يخل بالفصاحة، وإلا لقبح التوكيد اللفظي.

٣. ففيه إضافة حمامة إلى جرعا وهو تأنيث الأجرع وهو المكان ذوالحجارة السود، أو مكان الرمل الذي لا ينبت شيئاً «وجرعا» مضاف إلى «حومة» وهي معظم الشيء مضاف إلى «الجندل» بسكون النون وهو الحجر، والمراد به هنا مكان الحجارة، فهو بمعنى الجندل بفتح النون وكسر الدال، وقوله: فأنت بمرأى من سعاد ومسمع، أي أنت بحيث تراك سعاد وتسمع كلامك، يقول: اسجعي أرض قفرة سبخة، فإن سعاد تراك وتسمعك.

تطبيق

بيِّن العيوب التي أخلَّتْ بفصاحة الكلام فيما يأتي:

لك الخيرُ غيري رام من غيرك الغنى وغيري بغير اللاذقيَّة لاحق

[الطويل]

وأزورُّ مَنْ كان له زائراً وعافَ عافي العُرف عِرْفانه[1]

[السريع]

أنى يكونُ أبا البرايا آدمٌ وأبوكَ والثقلانِ أنتَ محمدُ[2]

[الكامل]

ومن جاهل بي وهوَ يجهلُ جهله ويجهل عِلمي أنه بيَ جاهل

[الطويل]

وقَلقلت بالهمِّ الذي قلقلَ الحَشا قلاقلَ همٍّ كلهنَّ قلاقلُ

[الطويل]

وما مِثله في الناس إلا مُملكاً أبو أمِّهِ حيٌّ أبوه يقاربه[3]

[الطويل]

---

١. العيب في تنافر الكلمات، والمعنى اغرف عنه من كان يزوره، وكره طالب الإحسان معرفته.

٢. يريد كيف يكون آدم أبا البرايا وأبوك محمد وأنت الثقلان أي الإنس والجن. يعني أنه قد جمع ما في الخليقة من الفضل والكمال، وقد فصل بين المبتدأ والخبر وهما أبوك محمد. وقدم الخبر على المبتدأ تقديماً قد يدعو إلى اللبس في قوله: «والثقلان وأنت» على أنه بعد هذا التعسف لم يسلم كلامه من سخف وهذر.

٣. يريد الفرزدق مدح إبراهيم بن إسماعيل خال هشام بن عبدالملك، وما مثله في الناس حي «أحد» يقاربه «يشابهه» إلا مملكاً، أبوه، فقدم المستثنى على المستثنى منه، وفصل بين مثل و حي وهما بدل ومبدل منه وبين أبو أمه وأبوه وهما مبتدا وخبر، وبين حي ويقاربه وهما نعت و منعوت، ولا يفصل بين كل منهما بأجنبي والمعنى: وليس إبراهيم في الناس أحد يشبهه في الفضائل إلّا ابن أخته هشام، فضمير أمه عائد على المملك، وضمير أبوه عائد على إبراهيم الخال.

إلى مـلَكٍ مـا أُمُّـه مـن مُحَـارِب أبـوه ولا كـانت كُـليبٌ تُـصاهِر[١]

[الطويل]

ليسَ إلاك يـا عـليٌّ هُمـامٌ سَـيفه دون عِـرضِه مسـلولُ[٢]

[الخفيف]

كـما حِلمهُ ذا الحـلمِ أثـواب سُـؤْدد ورق نـداه ذا النـدَى في ذُراالمجـد[٣]

[الطويل]

من يهتدي في الفـعل مـا لا يهـتدي في القـول حـتى يَـفعل الشـعراء[٤]

[الكامل]

---

١. يريد إلى ملك أبوه ليس أمه من محارب، أي ما أمه منهم.

٢. فيه ضعف تأليف حيث وضع الضمير المتصل بعد إلا، وحقه وضع المنفصل (إياك).

٣. أي من كان ديدنه الحلم والكرم حاز السيادة والرفعة، فالضمير في حلمه لذا الحلم المذكور بعد، فهو المتأخر لفظاً ومعنى وحكماً، وكذا الضمير في نداء لذا الندى.

٤. أي يهتدي في الفعل ما لا يهتديه الشعراء في القول حتى يفعل.

فصاحة المتكلم

فصاحة المتكلم: عبارة عن الملكة[1] التي يقتدر بها صاحبها على التعبير عن المقصود بكلام فصيح في أيِّ غرض كان.

فيكون قادراً بصفة الفصاحة الثَّابتة في نفسه على صياغة الكلام مُتمكناً من التّصرف في ضُروبه. بصيراً بالخوض في جهاته ومَنَاحِيه.

---

١. أي كيفية وصفة من العلم راسخة وثابتة في نفس صاحبها يكون قادراً بها على أن يعبر عن كل ما قصده من أي نوع من المعاني كالمدح والذم والرثاء وغير ذلك بكلام فصيح فإذاً المراد على الاقتدار المذكور سواء وجد التعبير أو لم يوجد وأن من قدر على تأليف كلام فصيح في نوع واحد من تلك المعاني لم يكن فصيحاً، وأنه لا يكون فصيحاً إلا إذا كان ذا صفة من العلم راسخة فيه وهي المسماة «بالملكة» يقتدر بها على أن يعبر عن أي معنى قصده بكلام فصيح أي خال عن الخلل في مادته «وذلك بعدم تنافر كلماته» وعن الخلل في تأليفه «وذلك بعدم ضعف تأليفه» وعن الخلل في دلالته على المعنى التركيبي «وذلك بعدم التعقيد اللفظي والمعنوي» فإن كان شاعراً اتسع أمامه ميدان القول في جميع فنون الشعر، من نسيب وتشبيب ومديح وهجاء ووصف ورثاء وعتاب واعتذار وأشباه ذلك، وإن كان ناثراً حاك الرسائل المحلاة، والخطب الممتعة الموشاة، في الوعظ، والإرشاد والحفل، والأعياد.

البلاغة

البلاغة في اللغة (الوُصول والأنِهاء) يقال بلغ فلان مراده ـ إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة، إذا انتهى إليها[1] ومبلغ الشيء منتهاه. وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ: إذا أحسَن التعبير عمّا في نفسه.

---

١. البلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة: لها في النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه، والأشخاص الذين يخاطبون. والبلاغة مأخوذة من قولهم بلغت الغاية إذا انتهيت إليها، وبلغتها غيري، والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته، فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه، وسميت البلغة بلغة لأنك تتبلغ بها، فتنتهي بك إلى ما فوقها، وهي البلاغ أيضاً ويقال: الدنيا بلاغ لأنها تؤديك إلى الآخرة والبلاغ أيضاً التبليغ ومنه هذا بلاغ للناس ـ أي تبليغ ـ ويقال بلغ الرجل بلاغة إذا صار بليغاً، كما يقال نبل الرجل نبالة إذا صار نبيلاً، قال أعرابي. البلاغة التقرب من البعيد، والتباعد من الكلفة: والدلالة بقليل على كثير، وقال عبدالحميد بن يحيى، البلاغة تقرير المعنى في الأفناء، من أقرب وجوه الكلام، وقال ابن المعتز: البلاغة البلوغ إلى المعنى ولم يطل سفر الكلام، وقال العتابي: البلاغة مد الكلام بمعانيه إذا قصر، وحسن التأليف إذا طال، وقال عبدالله بن المقفع: البلاغة لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الحديث ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الاحتجاج. ومنها ما يكون شعراً. ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون جواباً ومنها ما يكون خطباً، ومنها ما يكون رسائل. فعامة هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ، والإيجاز هو البلاغة. فالسكوت يسمى بلاغة مجازاً، وهي في حالة لا ينجع فيها القول، ولا ينفع فيها إقامة الحجج إما عند جاهل لا يفهم الخطاب أو عند وضيع لا يرهب الجواب، أو ظالم سليط يحكم بالهوى، ولا يرتدع بكلمة التقوى وإذا كان الكلام يعرى من الخير، أو يجلب الشر فالسكوت أولى، وقال الرشيد: البلاغة التباعد من الإطالة، والتقرب من البغية والدلالة بالقليل من اللفظ، على الكثير من المعنى قال أحد الأدباء: أبلغ الكلام ما حسن إيجازه، وقل مجازه وكثر إعجازه وتناسبت صدوره وأعجازه.

وتقع البلاغة في الاصطلاح: وصفاً للكلام، والمتكلّم فقط.

ولا توصف الكلمة بالبلاغة، لقصورها عن الوصول بالمُتكلم إلى غرضه، ولعدم السماع بذلك.

بلاغة الكلام

البلاغة في الكلام: مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب[1]، مع فصاحة ألفاظه مفردها ومركبها.

والكلام البليغ: هوالذي يُصوِّره المُتكلِّم بصورة تناسبُ أحوال المخاطبين.

وحال الخطاب: ويسمى بالمقام هوالأمر الحامل للمتكلم على أن يُوردَ عبارته على صورة مخصوصة دون أخرى.

والمُقْتَضى: ويسمَّى الاعتبار المناسب هو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة.

مثلاً: المدح حال يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب. وذكاء المخاطب حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز. فكل من المدح والذكاء حال ومقام. وكل من الإطناب والإيجاز مقتضى.

---

١. مقتضى الحال، هو ما يدعو إليه الأمر الواقع، أي ما يستلزمه مقام الكلام وأحوال المخاطب من التكلم على وجه مخصوص. ولن يطابق الحال إلا إذا كان وفق عقول المخاطبين، واعتبار طبقاتهم في البلاغة، وقوتهم في البيان والمنطق، فللسوقة كلام لا يصلح غيره في موضعه، والغرض الذي يبنى له، ولسراة القوم والأمراء فن آخر لا يسد مسده سواه، من أجل ذلك كانت مراتب البلاغة متفاوتة، بقدر تفاوت الاعتبارات المقتضيات وبقدر رعايتها يرتفع شأن الكلام في الحسن والقبح، ويرتقي صعداً إلى حيث تنقطع الاطماع، وتخور القوى، ويعجز الإنس والجن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وتلك مرتبة الإعجاز التي تخرس عندها ألسن الفصحاء لو تاقت إلى العبارة: وقد عرف بالخبر المتواتر أن القرآن الكريم نزل في أوفى العصور فصاحة، وأجلها بلاغة. ولكنه سد السبل أمام العرب عندما صاح عليهم صيحة الحق. فوجفت قلوبهم، وخرست شقاشقهم، مع طول التحدي وشد النكير (وحقت للكتاب العزيز الكلمة العليا).

وإيراد الكلام على صورة الإطناب[١] أو الإيجاز مطابقة للمقتضى وليست البلاغة[٢] إذاً منحصرة في إيجاد معان جليلة، ولا في اختيار ألفاظ واضحة جزيلة. بل هي تتناول مع هذين الأمرين أمراً ثالثاً: هو إيجاد أساليب مناسبة للتأليف بين تلك المعاني والألفاظ مما يكسبها قوة وجمالاً.

وملخص القول: أن الأمر الذي يحمل المتكلم على إيراد كلامه في صورة دون أخرى: يسمى «حالاً» وإلقاء الكلام على هذه الصورة التي اقتضاها الحال يسمى «مقتضى والبلاغة هي مطابقة الكلام الفصيح لما يقتضيه الحال.

---

١. فإن اختلاف هذه الظروف يقتضي هيئة خصوصية من التعبير، ولكل مقام مقال، فعلى المتكلم ملاحظة المقام أو الحال: وهو الأمر الذي يدعوه إلى أن يورد كلامه على صورة خاصة تشاكل غرضه، وتلك الصورة الخاصة التي يورد عليها تسمى المقتضى، أو الاعتبار المناسب، فمثلاً الوعيد والزجر والتهديد مقام يقتضي كون الكلام المورد فيه فخما جزلاً، والبشارة بالوعد، واستجلاب المودة، مقام يتطلب رقيق الكلام ولطيفه: والوعظ مقام يوجب البسط والاطناب، وكون المخاطب عامياً سوقياً، أو أميراً شريفاً، يوجب الاتيان بما يناسب بيانه عقله.

٢. لأن البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة، ومعرض حسن، وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطاً في البلاغة، لأن الكلام إذا كانت عبارته رثة، ومعرضه خلقاً، لم يسم بليغاً وإن كان مفهوم المعنى؛ مكشوف المغزى.

فعناصر البلاغة إذاً (لفظ ومعنى، وتأليف للألفاظ)؛ يمنحها قوة وتأثيراً وحسناً. ثم دقة في اختيار الكلمات والأساليب، على حسب مواطن الكلام ومواقعه، وموضوعاته وحال السامعين والنزعة النفسية التي تتملكهم وتسيطر على نفوسهم، فرب كلمة حسنت في موطن، ثم كانت مستكرهة في غيره، ورب كلام كان في نفسه حسناً خلاباً، حتى إذا جاء في غير مكانه، وسقط في غير مسقطه، خرج عن حد البلاغة، وكان غرضاً لسهام الناقدين.

بلاغة المتكلم

بلاغة المتكلم: هي مَلَكة في النفس[١] يقْتَدِرُ بها صاحبها على تأليف كلام بليغ مطابق لمقتضى الحال. مع فصاحته في أي معنى قَصَدَه.

وتلك غاية لن يصل إليها إلا من أحاط بأساليب العرب خُبراً، وعرف سنن تخاطبهم في منافراتهم، ومفاخراتهم، ومديحهم، وهجائهم، وَشكرهم، واعتذارهم؛ ليلبس لكل حالة لبوسها، ولكل مقام مقال.

---

١. أي أن الهيئة والصفة الراسخة الثابتة في نفس المتكلم يمكنه بواسطتها أن يعبر عن المعاني التي يريد إفادتها لغيره بعبارات بليغة، أي مطابقة لحال الخطاب. فلو لم يكن ذا ملكة يقتدر بها على التصرف في أغراض الكلام وفنونه بقول رائع، وبيان بديع بالغاً من مخاطبه كل ما يريد، لم يكن بليغاً، وإذاً لابد للبليغ: أولاً من التفكير في المعاني التي تجيش في نفسه، وهذه يجب أن تكون صادقة ذات قيمة، وقوة يظهر فيها أثر الابتكار وسلامة النظر وذوق تنسيق المعاني وحسن ترتيبها، فإذا تم له ذلك عمد إلى الألفاظ الواضحة المؤثرة الملائمة، فألف بينها تأليفاً يكسبها جمالاً وقوة.

فالبلاغة ليست في اللفظ وحده، وليست في المعنى وحده، ولكنها أثر لازم لسلامة تآلف هذين وحسن انسجامهما. وقد علم أن البلاغة أخص والفصاحة أعم لأنها مأخوذة في تعريف البلاغة، وأن البلاغة يتوقف حصولها على أمرين، الأول: الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المقصود، والثاني: تمييز الكلام الفصيح من غيره، لهذا كان للبلاغة درجات متفاوتة تعلو وتسفل في الكلام بنسبة ما تراعى فيه مقتضيات الحال، وعلى مقدار جودة ما يستعمل فيه من الأساليب في التعبير والصور البيانية والمحسنات البديعية وأعلى تلك الدرجات ما يقرب من حد الاعجاز، وأسفلها ما إذا غير الكلام عنه إلى ما هو دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات العجم، وإن كان صحيح الإعراب؛ وبين هذين الطرفين مراتب عديدة.

أقوال ذوي النبوغ والعبقرية في البلاغة

١ ـ قال قدامة: البلاغة ثلاثة مذاهب:

المساواة: وهي مطابقة اللفظ المعنى، لا زائداً ولا ناقصاً.

والإشارة: وهي أن يكون اللفظ كاللمحة الدالة.

والتذييل: وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، ليظهر لمن لم يفهمه، ويتأكد عند من فهمه[١].

٢ ـ وقيل لجعفر بن يحيى: ما البيان؟ فقال: أن يكون اللفظ محيطاً بمعناك، كاشفاً عن مغزاك، وتخرجه من الشركة، ولا تستعين عليه بطول الفكرة، ويكون سالماً من التكلف، بعيداً من سوء الصنعة، بريئاً من التعقيد، غنياً عن التأمل[٢].

٣ ـ ومما قيل في وصف البلاغة: لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يُسابِقَ معناهُ لَفْظَه، ولَفْظُه معناه، فلا يكون لَفْظُه إلى سمعك أسْبَقَ من معناه إلى قلبك[٣].

٤ ـ وسأل معاوية صُحاراً العبدي: ما البلاغة؟ قال: أن تُجيب فلا تبطىء، وتُصيب فلا تخطىء[٤].

٥ ـ وقال الفضل: قلت لأعرابي ما البلاغة؟ قال: الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل[٥].

٦ ـ وسُئل ابن المقفع: ما البلاغة؟ فقال: البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة: فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الحدث، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جواباً، ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعاً وخطباً، ومنها ما يكون رسائل. فعامَّة ما يكون من هذه الأبواب ـ الْوَحْيُ فيها، والإشارة إلى المعنى، والإيجاز هو البلاغة.

---

١. نهاية الأرب، جزء ٧، ص ٨.

٢. نهاية الأرب، جزء ٧، ص ٩.

٣. من كتاب البيان والتبيين للجاحظ، جزء ١، صحيفة ٩١.

٤. نهاية الأرب، جزء ٧، ص ٨.

٥. البيان والتبيين، جزء ١، ص ٩١.

فأما الخُطَبُ بين السِّمَاطَيْنِ، وفي إصلاح ذات البَيْنِ، فالإكثار في غير خطل، والإطالة في غير إملال. وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك فقيل له: فإن مَلَّ المستمعُ الإطالة التي ذكرت أنها حق ذلك الموقف؟ قال: إذا أعْطَيت كل مقام حقه، وفُّيت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيتَ من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو، فإنه لا يرضيهما شيء. وأما الجاهلُ فَلَسْتَ منه، وليس منك. وقد كان يقال: «رِضاء الناس شيء لا يُنَال»[١].

٧ ـ ولابن المعتز: أبلغُ الكلام: ما حَسُنَ إيجازُه، وقَلَّ مجازُهُ، وكثر إعجازه، وتناسبت صدورُه وأعجازه[٢].

٨ ـ وسمع خالدبن صفوان رجلاً يتكلم، ويكثر الكلام.

فقال: اعلم ـ رحمك الله ـ أن البلاغة ليست بخفة اللسان، وكثرة الهذيان، ولكنها بإصابة المعنى، والقصد إلى الحجة[٣].

٩ ـ ولبشر بن المُعْتَمِرِ فيما يجب أن يكون عليه الخطيب والكاتب: رسالة من أنفس الرَّسائل الأدبية البليغة، جمعت حدود البلاغة وصورتها أحْسَن تصوير. وسنذكر مع شيء من الإيجاز ما يتصل منها بموضوعنا ـ قال:

خذ من نفسك ساعة نشاطك، وفراغ بالك، وإجابتها إياك، فإن قليلَ تلك الساعة أكرَمُ جَوْهراً، وأشرفُ حسباً، وأَحْسَنُ في الأسماع وأحْلى في الصدور، وأسلمُ من فاحش الخطأ، وأجلَبُ لكل عين وغُرَّةٍ من لفظ شريفٍ، ومعنىً بديع. واعلم أن ذلك أجْدَى عليك: مما يعطيك يَوْمُكَ الأطوَلُ بالكَدِّ والمطاولة والمجاهَدة، وبالتكليف والمعاودة. وإيَّاك والتوعُّر، فإن التوعر يُسْلِمكَ إلى التعقيد، والتعقيد هوالذي يَستهلك معانيك، ويَشِين ألفاظك، ومن أراد معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقِّهما أن تصونهما عما يفسدهما ويُهَجِّنُهما...

---

١. البيان والتبيين، جزء ١، ص ٩١، ٩٢.

٢. نهاية الأرب، جزء ٧، ص ١١.

٣. مختار العقد الفريد، ص ٩٨.

وكن في ثلاث منازل: فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقاً عذباً وفخماً سهلاً، ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً، وقريباً معروفاً. إمَّا عند الخاصة: إن كنت للخاصة قصدْت، وإمَّا عند العامة: إن كنت للعامة أردْت، والمعنى ليس يَشرُفُ بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يَتَّضعُ بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال، وكذلك اللفظُ العامّي والخاصي؛ فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك، واقتدارك على نفسك... على أن تُفْهِم العامة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسعة التي لا تلطفُ عن الدّهْماء، ولا تجفُو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام.

فإن كانت المنزلة الأولى لا تُواتيك ولا تعتريك، ولا تسنح لك عند أوّل نظرِك، وفي أول تكلفك، وتجد اللفظة لم تقع موقعها، ولم تصل إلى حقِّها: من أماكنها المقسومة لها، والقافية لم تحلَّ في مركزها وفي نصابها، ولم تصل بشكلها، وكانت قلقة في مكانها، نافرة من موضعها. فلا تُكْرِهها على اغتصاب الأماكن، والنزول في غير أوطانها، فإنك إذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور، لم يَعِبْكَ بترك ذلك أحد. وإن أنت تكلفته، ولم تكن حاذقاً مطبوعاً، ولا محكماً لسانك. بصيراً بما عليك أو ما لك، عابك من أنت أقلُّ عيباً منه ورأى من هو دونك أنه فوقك. فإن ابتليت بأن تتكلف القول، وتتعاطى الصنعة، ولم تسمح لك الطباع في أول وهلة، وتعصى عليك بعد إحالة الفكرة، فلا تعجل ولا تضجر ودعه بياض يومك، أو سواد ليلك، وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك، فإنك لا تعدم الإجابة والمواتاة، إن كانت هناك طبيعة، أو جريت من الصناعة على عرق.

فإن تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض، ومن غير طول إهمال، فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك، وأخفها عليك...، لأن النفوس تجود بمكنونها مع الرغبة، ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة؛ كما تجود به مع المحبة والشهوة. فهكذا هذا.

وينبغي للمتكلم: أن يعرف أقدار المعاني؛ ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات؛ فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات.

وبعد، فأنت ترى فيما قالوه: أن حد البلاغة ـ هو أن تجعل لكل مقام مقالاً؛ فتوجز: حيث يحسن الإيجاز، وتطنب: حيث يجمل الإطناب، وتؤكد: في موضع التوكيد، وتقدم أو تؤخر، إذا رأيت ذلك أنسب لقولك وأوفى بعرضك، وتخاطب الذكي بغير ما تخاطب به الغبي، وتجعل لكل حال ما يناسبها من القول، في عبارة فصيحة، ومعنى مختار. ومن هنا عَرَّفَ العلماء البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة عباراته.

واعلم: **أن الفرق بين الفصاحة والبلاغة:** أن الفصاحة مقصورةٌ على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني؛ وأن الفصاحة تكون وصفاً للكلمة والكلام، والبلاغة لا تكون وصفاً للكلمة، بل تكون للكلام؛ وأن فصاحة الكلام شرط في بلاغته.

فكل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغاً، كالذي يقع فيه الإسهاب حين يجب الإيجاز.

تمرين

بيّن الحال ومقتضاه فيما يلي:

١ ـ هَنَاءٌ مَا ذاك العزاء المُقَدَّما فما عبس المحزونُ حتى تبسما[١]

[الطويل]

٢ ـ تقول للراضي عن إثارة الحروب: إن الحرب متلفةٌ للعِبَادِ، ذهَّابةٌ[٢] بالطارف والتلاد.

٣ ـ يقول الناس إذا رَأَوْا لِصًّا أو حريقاً: لِصٌّ، حريقٌ[٣].

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً﴾[٤] [الجن: ١٠].

٥ ـ يقول رائي البرَامِكَة:

أُصِبْتُ بسَادةٍ كانوا عيوناً بهم نُسْقَى إذا انقطَع الغَمَامُ[٥]

[الوافر]

---

١. الحال هنا هو تعجيل المسرة، والمقتضى هو تقديم الكلمة الدالة على السرور، وهي «كلمة هناء».

٢. الحال هنا هو إنكار الضرر من الحرب، والمقتضى هو توكيد الكلام.

٣. الحال هنا هو ضيق المقام، والمقتضى هو الاختصار بحذف المسند إليه والتقدير. هذا لص. هذا حريق.

٤. الحال في (أشرٌّ أريد) هو عدم نسبة الشر إلى الله تعالى. والمقتضى هو حذف الفاعل، إذ الأصل. أشرّ أراده الله بمن في الأرض؟

والحال في (أم أراد بهم ربهم رشداً) هو نسبة الخير إلى الله تعالى، والمقتضى بقاء الفاعل من غير حذف «أي فعل الإرادة جاء مع الشر على صورة المبني للمجهول، ومع الرشد على صورة المبني للمعلوم، والحال الداعية إلى بناء الأول للمجهول (التأدب) في جانب الله تعالى بعدم نسبة الشر إليه صراحة، وإن كان الخير والشر مما قدره الله تعالى وأراده».

٥. الحال هنا هو الخوف من (الرشيد) ناكب البرامكة، والمقتضى حذف الفاعل من أصبت.

ملاحظات

١ ـ **التّنافر**: يُعرف بِالذَّوْق السليم، والحسّ الصادق[١]

٢ ـ **مخالفة القياس**: تُعرف بعلم الصَّرف.

٣ ـ **ضعف التأليف والتّعقيد اللفظيين**: يُعرفان بعلم النحو.

٤ ـ **الغرابة**: تُعرف بكثرة الاطّلاع على كلام العرب، والإحاطة بالمفردات المأنوسة.

٥ ـ **التّعقيد المعنوي**: يُعرف بعلم البيان.

٦ ـ **الأحوال ومقتضياتها**: تُعرف بعلم المعاني.

٧ ـ **خُلوُّ الكلام من أوجه التّحسين**: التي تكسوه رِقة ولطافةً بَعْدَ رعَايَةِ مُطابقته: يعرف بعلم البديع.

فإذاً وجب عَلَى طالب البلاغةِ: معرفة اللغة. والصَّرف. والنّحو، والمعاني والبيان، والبديع، مع كونه سليمَ الذّوق، كثير الاطّلاع على كلام العرب، وصاحبَ خبرة وافرة بكُتُب الأدب، ودِرَايَةٍ تامَّة بعاداتهم وأحوالهم، واستظهار للجيّد الفاخر مِن نَثرهم ونظمهم، وعلم كامل بالنابغين من شُعراء وخطباء وكُتّاب ممَّن لَهم الأثر البيّن في اللُّغة والفضلُ الأكبرُ على اللّسان العربي المبين.

---

١ . الذوق: في اللغة الحاسة يدرك بها طعم المأكل، وفي الاصطلاح، قوة غريزية لها اختصاص بإدراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفيفة، وتحصل بالمثابرة على الدرس، وممارسة كلام أئمة الكتاب، وتكراره على السمع، والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه، وأيضاً تحصل بتنزيه العقل والقلب عما يفسد الآداب والأخلاق فإن ذلك من أقوى أسباب سلامة الذوق.

واعلم أن (الذوق السليم) هو العمدة في معرفة حسن الكلمات وتمييز ما فيها من وجوه البشاعة ومظاهر الاستكراه، لأن الألفاظ أصوات، فالذي يطرب لصوت البلبل، وينفر من صوت البوم والغربان، ينبو سمعه عن الكلمة إذا كانت غريبة متنافرة الحروف، ألا ترى أن كلمتي (المزنة والدية، للسحابة الممطرة) كلتاهما سهلة عذبة يسكن إليها السمع، بخلاف كلمة (البعاق) التي في معناهما فإنها قبيحة تصك الأذن وأمثال ذلك كثير في مفردات اللغة تستطيع أن تدركه بذوقك، وقد سبق شرح ذلك.

أسباب ونتائج

يحسُن أيضاً بطالب البلاغة أن يَعْرِف شيئاً عن الأسلوب الذي هو المعنى المَصُوغُ في ألفاظ مُؤَلّفة على صورة تكون أقرب لنيْل الغرض المقصود من الكلام، وأفعلَ في نفوس سامعيه.

وأنواع الأساليب ثلاثة:

١ ـ الأسلوب العلمي:

وهو أهْدَأُ الأساليب، وأكثرها احتياجاً إلى المنطق السَّليم، والفكر المستقيم، وأبعدُها عن الخيال الشِّعْرِي؛ لأنه يخاطب العقل، ويُناجي الفكر، ويَشْرَحُ الحقائق العلميَّةَ التي لا تخلو من غموض وخفاء، وأظْهَرُ ميزات هذا الأسلوب: الوُضُوح. ولابدَّ أن يبدوَ فيه أثر القوة والجمال؛ وقوَّته في سطوع بيانه، ورصانةِ حُججه. وجماله في سُهُولَةِ عباراته، وسلامة الذوق في اختيار كلماته، وحسن تقريره المعنى في الأفهام، من أقرب وجوه الكلام.

فيجب أن يُعْنَى فيه باختيار الألفاظ الواضحة الصريحة في معناها الخالية من الاشتراك، وأن تُؤَلّف هذه الألفاظ في سُهولة وجلاء، حتى تكون ثَوْباً شَفّافاً للمعنى المقصود، وحتى لا تصبح مَثَاراً للظّنون، ومجالاً للتَّوْجيه والتأويل.

ويحسُن التَّنَحّي عن المجاز، ومُحَسِّنَات البديع في هذا الأسلوب، إلا ما يجيء من ذلك عفواً، من غير أن يَمَسَّ أصلاً من أصوله أو ميزَةً من ميزاته.

أمَّا التشبيه الذي يُقصد به تقريب الحقائق إلى الأفهام، وتوضيحها بذكر مماثلها، فهو في هذا الأسلوب مقبول.

٢ ـ الأسلوب الأدبي:

والجمال أبرزُ صفاته، وأظهر مُمَيِّزاته ومَنْشَأ جماله، لما فيه من خيال رائع، وتَصْوير دقيق، وتَلَمُّس لوجوه الشَّبه البعيدة بين الأشياء، وإلباس المعنَوِيِّ ثوبَ المحسوس، وإظهار المحسوس في صورة المعنويّ.

هذا ـ ومن السَّهْل عليك: أن تَعْرِف أنَّ الشِّعر والنَّثر الفني هُما مَوْطِنا هذا الأسلوب، ففيهما يَزْدَهِر، وفيهما قنَّة الفَنِّ والجمال.

٣ ـ الأسلوب الخطابي:

هنا تَبْرُزُ قوَّة المعاني والألفاظ، وقوة الحجَّة والبرهان، وقوة العقل الخصيب، وهنا يتحدث الخطيب إلى إرادة سامعيه لإثارة عزائمهم، واستنهاض هممهم، ولجمال هذا الأسلوب ووضوحه، شأنٌ كبير في تأثيره، ووصوله إلى قرارة النفوس، وممَّا يزيد في تأثير هذا الأسلوب، منزلة الخطيب في نفوس سامعيه، وقوة عارضته، وسطوعُ حُجَّته، ونَبراتُ صوته، وحسن إلقائه، ومُحْكَمُ إشاراته. ومن أظهر مميزات هذا الأسلوب: التّكرارُ واستعمال المترادفات وضربُ الأمثال، واختيار الكلمات الجزلة ذات الرَّنين.

ويحسن فيه أن تتعاقب ضروب التَّعبير من إخبار، إلى استفهام، إلى تعجُّب، إلى استنكار، وأن تكون مواطن الوقف كافية شافية، ثم واضحةٌ قَوِيَّةٌ.

ويظنُّ النّاشئون في صناعة الأدب أنه كلما كَثُرَ المجاز وكثُرت التشبيهات، والأخيلة، في هذا الأسلوب ـ زاد حُسنه.

وهذا خطأ بيِّن، فإنه لا يذهب بجمال هذا الأسلوب أكثر من التَّكلّف، ولا يفْسِده شَرٌّ من تَعَمُّدِ الصّناعة.

علم المعاني

إن **الكلام البليغ**: هوالذي يصوِّره المتكلم بصورة تناسب أحوال المخاطبين، وإذاً لابد لطالب البلاغة أن يدرس هذه الأحوال، ويعرف ما يجب أن يصوِّر به كلامه في كل حالة، فيجعل لكل مقام مقالاً.

وقد اتفق رجال البيان على تسمية العلم الذي تُعْرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يُطابقُ اقتضاء الحال: باسم: **علم المعاني**[1].

---

١ . قال بعض العلماء: المعاني المتصورة في عقول الناس المتصلة بخواطرهم، خفية بعيدة. لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه، ولا مراد شريكه ولا المعاون على أمره إلا بالتعابير التي تقربها من الفهم، وتجعل المخفي منها ظاهراً والبعيد قريباً، فهي تخلص الملتبس، وتحل المنعقد، وتجعل الخفي منها ظاهراً مطلقاً والمجهول معروفاً، والوحشي مألوفاً، وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة يكون ظهور المعنى، والعاقل يكسو المعاني في قلبه، ثم يبديها بألفاظ عرائس في أحسن زينة. فينال المجد والفخار، ويلحظ بعين العظمة والاعتبار، والجاهل يستعجل في إظهار المعاني قبل العناية بتزيين معرضها، واستكمال محاسنها فيكون بالذم موصوفاً وبالنقص معروفاً، ويسقط من أعين السامعين، ولا يدرج في سلك العارفين.

واعلم أن الأصل في اللفظ أن يحمل على ظاهر معناه؛ ومن ذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل كما جاء في القرآن ﴿وثيابك فطهر﴾ فإن الظاهر من لفظ الثياب هو ما يلبس ومن تأول ذهب إلى أن المراد هو القلب لا الملبوس وهذا لابد له من دليل لأنه عدول عن ظاهر اللفظ.

واعلم أيضاً أنه يجب على صناعة معاني المعاني أن يرجع المعاني بحيث يرجع بين حقيقة ومجاز، أو بين حقيقتين، أو مجازين.

تعريف علم المعاني، وموضعه، وواضعه

١ ـ علم المعاني أصولٌ وقواعد يعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقاً لمُقْتَضى الحال[١] بحيث يكون وفق الغرض الذي سِيقَ له.

فذكاء المُخاطب: حال تقتضي إيجاز القول، فإذا أوجزت في خطابه كان كلامك مطابقاً لمُقْتَضى الحال، وغباوته حال تقتضي الإطناب والإطالة ـ فإذا جاء كلامك في مخاطبته مطنباً: فهو مطابق لمُقْتَضى الحال، ويكون كلامك في الحالين بليغاً، ولو أنك عكستَ لانْتفتْ من كلامك صفة البلاغة.

٢ ـ و موضوعه: اللفظ العربي من حيث إفادته المعاني الثواني[٢] التي هي الأغراض المقصودة للمتكلم: من جعل الكلام مشتملاً على تلك اللطائف والخصوصيات، التي بها يطابق مقتضى الحال.

الحال هو الأمر الداعي للمتكلم إلى إيراد خصوصية في الكلام، وتلك الخصوصية هي مقتضى الحال، مثلاً إن كان بينك وبين مخاطبك عهد بشيء، فالعهد حال يقتضي إيراد الكلام معرفاً، والتعريف هو مقتضى الحال، فالحال هو ما بعد لام التعليل المذكورة بعد كل خصوصية كقولك في الذكر: لكون ذكره الأصل وفي الحذف: حذف للاستغناء عنه، وهلم جرا.

٢ أي المعاني الأول، ما يفهم من اللفظ بحسب التركيب. وهو أصل المعنى مع زيادة الخصوصيات من التعريف والتنكير: قال بعض أهل المعاني: الكلام الذي يوصف بالبلاغة، هوالذي يدل بلفظه على معناه اللغوي، أو العرفي أو الشرعي، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية على المعنى المقصود الذي يريد المتكلم إثباته أو نفيه، فهناك ألفاظ ومعان ثوان، فالمعاني الأول هي مدلولات التركيب، والألفاظ التي تسمى في علم النحو أصل المعنى، والمعاني الثواني والأغراض التي يساق لها الكلام لذا قيل (مقتضى الحال) وهو المعنى الثاني كرد الإنكار ودفع الشك، مثلاً إذا قلنا إن زيداً قائم. فالمعنى الأول هو القيام المؤكد. والمعنى الثاني هو رد الإنكار. ودفع الشك بالتوكيد، وهلم جرا، والذي يدل على المعاني خمسة أشياء: اللفظ والإشارة والكناية، والعقد، والحال.

٣ ـ وفائدته:

أ ـ معرفة إعجاز القرآن الكريم، من جهة ما خَصَّه الله به من جودة السبك، وحُسْن الوصف، وبَراعةِ التَّراكيب، ولُطف الإيجاز وما اشتمل عليه من سُهولة التركيب، وجزَالةِ كلماته، وعُذوبةِ ألفاظه وسلامَتِهَا، إلى غير ذلك من محاسنه التي أقعدت العرَب عن مناهضته، وحارت عقولهم أمام فصاحته وبلاغته.

ب ـ والوقوفُ على أسرار البلاغة والفصاحة: في مَنثور كلام العرب ومنظومه، كي تحتذيَ حذوه، وتَنْسُجَ على مِنواله، وتَفرَقَ بين جَيِّدِ الكلام ورديئه.

٤ ـ وواضعه: الشيخ عبدالقاهر الجُرجاني المتوفَّى سنة ٤٧١ هـ[1].

---

١ . اعلم أنه لما احتدم الجدل في صدر الدولة العباسية، إبان زهو اللغة وعزها في بيان وجوه إعجاز القرآن، وتعددت نزعات العلماء في ذلك. ولما قامت سوق نافقة للمناظرة بين أئمة اللغة والنحو، أنصار الشعر القديم الذين جنحوا إلى المحافظة على أساليب العرب. رأوا الخير كله في الوقوف عند أوضاعهم. وبين الأدباء والشعراء أنصار الشعر الحديث الذين لم يغفلوا بما درج عليه أسلافهم وآمنوا بان للحضارة التي غذوا بلبانها آثاراً، غدوا معها في حل من كل قديم ولما شجر الخلاف بين أساطين الأدب في بيان جيد الكلام ورديئه. دعت هذه البواعث ولفتت أنظار العلماء إلى وضع قواعد وضوابط يتحاكم إليها الباحثون، وتكون دستوراً للناظرين في آداب العرب (المنثور منها والمنظوم).

لا نعلم أحداً سبق أبا عبيدة بن المثنى المتوفى سنة ٢١١ هـ تلميذ الخليل بن أحمد في تدوين كتاب في علم البيان يسمى (مجاز القرآن) كما لا نعرف بالضبط أول من ألف في علم المعاني، وإنما أثر فيه نبذ عن بعض اللغاء كالجاحظ في كتابه «إعجاز القرآن». وابن قتيبة في كتابه «الشعراء»، والمبرد في كتابه «الكامل».

ولكن نعلم أن أول من ألف في البديع (الخليفة عبدالله بن المعتز بن المتوكل العباسي) المتوفى سنة ٢٩٦ هـ وما زالت هذه العلوم تسير في طريق النمو، حتى نزل في الميدان (أبوبكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني) المتوفى سنة ٤٧١ هـ فشمر عن ساعد الجد، فدون كتابيه، أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، وقرن فيهما بين العلم والعمل، ثم جاء إثر عبدالقاهر، (جارالله الزمخشري)، فكشف في تفسيره «الكشاف»؛ عن وجوه إعجاز القرآن، وأسرار بلاغته، وأوضح ما فيه من الخصائص والمزايا، وقد أبان خلالها كثيراً من ←

٥ ـ واستمداده: من الكتابِ الشريف، والحديث النَّبوي، وكلام العرب.

واعلم أنَّ المعاني جمعُ معنًى؛ وهو في اللغة المقصود.

وفي اصطلاح البيانيِّين: هو التَّعبير باللفظِ عما يَتصوَّره الذِّهن، أو هو الصورة الذِّهْنِيَّة: من حيث تُقصد من اللفظ.

واعلم أنَّ لكل جملة ركنين:

مسنداً: ويسمى محكوماً به، أو مُخبراً به.

مسنداً إليه: ويسمى محكوماً عليه، أو مُخبراً عنه.

وأمّا النِّسبة التي بينهما فَتُدْعَى إسْنَاداً.

وما زاد على المسند والمسند إليه من مفعول، وحال، وتمييز، ونحوها فهو قيد زائد على تكوينها، إلا صَلَةَ الموصول، والمضاف إليه[1].

والإسناد انضمام كلمة[2] المسند إلى أخرى[3] المسند إليه على وجه يفيد الحكم

→

قواعد هذه الفنون، ثم نهض بعده (أبو يعقوب يوسف السكاكي) المتوفى سنة ٦٢٦ هـ في القسم الثالث من كتاب «المفتاح» ما لا مزيد عليه. وجاء بعده علماء القرن السابع فما بعده يختصرون ويضعون مؤلفاتهم حسب ما تسمح به مناهج التعليم للمتعلمين في كل قطر من الأقطار حتى غدت أشبه بالمعميات والألغاز.

١. اعلم أن الجمل ليست في مستوى واحد عند أهل المعاني، بل منها جمل رئيسية وجمل غير رئيسية. والأولى هي المستقلة التي لم تكن قيداً في غيرها، والثانية ما كانت قيداً إعرابياً في غيرها، وليست مستقلة بنفسها. والقيود هي: أدوات الشرط، والنفي، والتوابع، والمفاعيل، والحال، والتمييز، وكان وأخواتها، وإن وأخواتها، وظن وأخواتها، كما سيأتي.

٢. أي: وما يجري مجراها.

٣. أي: وما يجري مجراها، كما سيأتي.

بإحداهما على الأخرى: ثبوتاً أو نفياً. نحو: الله واحدٌ لا شريك له[١].

---

١. تنبيه: الإسناد مطلقاً قسمان: حقيقة عقلية، ومجاز عقلي، فالحقيقةالعقلية هي إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ما وضع له عند المتكلم في الظاهر من حاله نحو: تجري الأمور بما لا يشتهي البشر. وأنبت الله النبات. والمجاز العقلي (ويسمى إسناداً مجازياً، ومجازاً حكمياً، ومجازاً في الإسناد) هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد إلى ما هو له نحو، تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، وله علاقات شتى فيلائم الفاعل لوقوعه منه. نحو سيل مفعم بفتح العين أي مملوء، فإسناد مفعم وهو مبني للمفعول إلى ضمير السيل وهو فاعل مجاز عقلي ملابسته الفاعلية، ويلائم المفعول به لوقوعه عليه نحو عيشة راضية: فإسناد راضية وهو مبني للفاعل إلى ضمير العيشة وهي مفعول به (مجاز عقلي) ملابسته المفعولية، ويلائم الزمان والمكان لوقوعه فيهما نحو صام نهاراً. وسال الميزاب، ونهار صائم، ونهر جار، ويلائم المصدر نحو جد جده، ويلائم السبب نحو بنى الأمير المدينة، وكما يقع المجاز العقلي في الإسناد يقع في النسبة الإضافية: كمكر الليل، وجري الأنهار: وشقاق بينهما، وغراب البين (على زعم العرب) وفي النسبة الإيقاعية: نحو ﴿وأطيعوا أمري ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾، وأجريت النهر، وكما يكون في الإثبات يكون في النفي نحو قوله تعالى: ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ وما نام ليلي، على معنى خسرت تجارتهم، وسهر ليلي قصد إلى إثبات النفي، لا نفي الإثبات، ويكون أيضاً في الإنشاء كما سبقت الإشارة إليه نحو قوله تعالى: ﴿أصلاتك تأمرك﴾ ونحو ﴿يا هامان ابن لي صرحاً﴾ وليصم نهارك وليجد جدك، وليت النهر جار، وما أشبه ذلك.

وأقسامه باعتبار حقيقة طرفيه ومجازيتهما أربعة، لأنهما إما حقيقتان لغويتان نحو أنبت الربيع البقل، أو مجازان لغويان نحو أحيا الأرض شباب الزمان، إذ المراد بإحياء الأرض تهييج القوى النامية فيها، وإحداث نضارتها بأنواع الرياحين والإحياء في الحقيقة إعطاء الحياة، وهي صفة تقتضي الحس والحركة وكذا المراد بشباب الزمان، زمان ازدياد قواها النامية، وهو في الحقيقة عبارة عن كون الحيوان في زمان تكون حرارته الغريزية مشبوبة أي قوية مشتعلة، أو المسند حقيقة لغوية والمسند إليه مجازي لغوي: نحو أنبت البقل شباب الزمان، أو المسند إليه حقيقة لغوية والمسند مجاز لغوي نحو أحيى الأرض الربيع:ووقوع المجاز العقلي في القرآن كثير: نحو ما تقدم، ونحو ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾، ﴿وينزع عنهما لباسهما﴾، ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾، ﴿فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً﴾.

ولابد له من قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي لأن الفهم لولا القرينة يتبادر إلى الحقيقة، والقرينة إما

←

ومواضع المسند ثمانية:

١ ـ **خبر المبتدأ:** نحو قادر من قولك: الله قادر.

٢ ـ **والفعل التام:** نحو حضر من قولك: حضر الأمير.

٣ ـ **واسم الفعل:** نحو هيهات وَوَيْ وآمين.

←

لفظية وإما معنوية فاللفظية كقولك هزم الأمير الجند وهو في قصره، والمعنوية كاستحالة قيام المسند بالمسند إليه المذكور معه عقلاً بمعنى أنه لو خلي العقل ونفسه عد ذلك القيام محالاً كقولك محبتك جاءت بي إليك لاستحالة قيام المجيء بالمحبة عقلاً، وكاستحالة ما ذكر عادة نحو هزم الأمير الجند لاستحالة قيام هزيمة الجند بالأمير وحده عادة، وإن أمكن، وكان يصدر من الموحد: نحو [المتقارب].

أشاب الصغير وأفنى الكبير ... كر الغداة ومر العشي

فإن صدور ذلك من الموحد قرينة معنوية على أن إسناد أشاب وأفنى إلى كر الغداة ومر العشي مجاز، ثم هذا غير داخل في الاستحالة إذ قد ذهب إليه كثير من المبطلين. ولا يجب أن يكون في المجاز العقلي للفعل فاعل يعرف الإسناد إليه حقيقة. بل تارة يكون له فاعل، يعرف إسناده إليه حقيقة كما تقدم، وتارة لا، نحو قوله: [مجزوء الوافر].

يزيدك وجهه حسناً ... إذا ما زدته نظرا

فإن اسناد الزيادة للوجه مجاز عقلي وليس لها أي الزيادة فاعل يكون الإسناد إليه معروفاً حقيقة، ومثله سرتني رؤيتك وأقدمني بلدك حق لي عليك، فهذه الأمثلة ونحوها من المجاز العقلي الذي لا فعل له يعرف الإسناد إليه حقيقة: كما قال الشيخ (عبدالقاهر)، وقيل لابد له من فاعل يعرف الإسناد إليه حقيقة، ومعرفته إما ظاهرة نحو ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ أي فما ربحوا في تجارتهم، وإما خفية كهذه الأمثلة والفاعل الله تعالى. هذا، وقد أنكر (السكاكي) المجاز العقلي ذاهباً إلى أن أمثلته السابقة ونحوها منتظمة في سلك الاستعارة بالكناية فنحو أنبت الربيع البقل يجعل الربيع استعارة عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه، ويجعل نسبة الانباتْ إليه قرينة الاستعارة وسيأتي مذهبه، إن شاء الله تعالى في فن البيان عند الكلام على الاستعارة بالكناية.

تنبيه: ذكر بعض المؤلفين (مبحث المجاز العقلي والحقيقة العقلية) في أحوال الإسناد من علم المعاني. وبعضهم ذكرها في فن البيان عند تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز ولكل وجهة.

٤ ـ والمبتدأ الوصفُ المستغني عن الخبر بمرفوعه: نحو عارف من قولك: أعارف أخوك قدر الإنصاف.

٥ ـ وأخبار النَّواسخ: كان ونظائرها، وإنّ ونظائرها.

٦ ـ والمفعول الثاني لظنّ وأخواتها.

٧ ـ والمفعول الثالث لأرَى وأخواتها. نحو: ﴿يريهم الله اعمالَهم حسراتٍ عليهم﴾.

٨ ـ والمصدر النائب عن فعل الأمر: نحو سعياً في الخير.

ومواضع المسند إليه ستة:

١ ـ الفاعل للفعل التام أو شبهه: نحو فؤاد وأبوه من قولك: حضر فؤادٌ العالم أبوه.

٢ ـ وأسماء النواسخ: كان وأخواتها، وإنّ وأخواتها، نحو: المطر من قولك: كان المطر غزيراً، ونحو: إنَّ المطر غزير.

٣ ـ والمبتدأ الذي له خبر: نحو العلم من قولك: العلم نافع.

٤ ـ والمفعول الأول لظن وأخواتها.

٥ ـ والمفعول الثاني لأرى وأخواتها.

٦ ـ ونائب الفاعل: كقوله تعالى: ﴿وَوُضع الكتاب﴾ [الكهف: ٤٩].

ثم إن المسند والمسند إليه يتنوّعان إلى أربعة أقسام:

١ ـ إما أن يكونا كلمتين حقيقة: كما ترى في الأمثلة السالفة.

٢ ـ وإما أن يكونا كلمتين حكماً، نحو: لاَ إلٰه إلا اللهُ يَنجُو قائلها من النّار، أي: توحيدُ الإله نجاةٌ من النار.

٣ ـ وإما أن يكون المسند إليه كلمة حكماً، والمسند كلمة حقيقة نحو: تَسْمعُ بِـالمُعيدِيِّ خير من أن تراه، أي: سماعك بالمعيدي خير من رؤيته.

٤ ـ وإما بالعكس. نحو: الأمير قَرُبَ قُدُومه، أي الأمير: قريب قدومه[١]

ويسمى المسند والمسند إليه: ركني الجملة.

وكل ما عداهما يعتبر قيداً زائداً عليها كما سبق الكلام عليه.

وينحصر علم المعاني في ثمانية أبواب وخاتمة.

---

١ . ففي الأوّل يؤول، سماعك بالمعيدي خير، وفي الثاني: الأمير قريب قدومه، وفي نحو لا إله إلا الله ينجو قائلها من النار، عدم شريك للمولى نجاة من النار.

الباب الأول

في تقسيم الكلام إلى خبر و إنشاء

المبحث الأول في حقيقة الخبر

الخبرُ: كلامٌ يَحتمِلُ الصدق والكذب لذاته[1].

وإن شئت فقل: الخبرُ هو ما يتحقق مدلوله في الخارج بدون النطق به. نحو: العلم نافع، فقد أثبتنا صفة النفع للعلم، وتلك الصفة ثابتة له، سواء تلفظت بالجملة السابقة أمْ لم تتلفظ. لأن نفع العلم أمر حاصل في الحقيقة والواقع، وإنما أنت تحكي ما اتفق عليه الناس قاطبة، وقضَتْ به الشرائع، وهدت إليه العقول، بدون نظر إلى إثبات جديد.

والمراد بصدق الخبر مُطابقته للواقع ونفس الأمر. والمراد بكذبه عدم مطابقته له.

فجملة: «العلم نافع»، إن كانت نسبته الكلامية «وهي ثبوت النفع للعلم المفهومة من تلك الجملة» مطابقة للنسبة الخارجية، أي موافقة لما في الخارج والواقع فصدقٌ وإلا فكذب

---

١. أي بقطع النظر عن خصوص المخبر، أو خصوص الخبر، وإنما ينظر في احتمال الصدق والكذب إلى الكلام نفسه لا إلى قائله: وذلك لتدخل الأخبار الواجبة الصدق كأخبار الله تعالى، وأخبار رسله. والبديهيات المألوفة، نحو السماء فوقنا، والنظريات المتعين صدقها ولا تحتمل شكّاً كإثبات العلم والقدرة للمولى سبحانه وتعالى، ولتدخل الأخبار الواجبة الكذب كأخبار المتنبئين في دعوى النبوة.

نحو: الجهل نافع فنسبته الكلامية ليست مطابقة وموافقة للنسبة الخارجية[١]

المقاصد والأغراض التي من أجلها يلقى الخبر

الأصل في الخبر أن يُلقَى لأحد غرضين:

أ ـ إما إفادة المخاطب الحُكم الذي تَضمّنته الجملة، إذا كان جاهلاً له، ويسمى هذا النوع: **فائدة الخبر** نحو: الدِّينُ المعاملة.

ب ـ وإما إفادة المخاطب أن المتكلم عالم أيضاً بأنه يعلم الخبر كما تقولُ لتلميذ أخفى عليك نجاحه في الامتحان وعلمتَه من طريق آخر: أنت نجحت في الامتحان، ويسمى هذا النوع: **لازمَ الفائدة**: لأنه يَلزمُ في كل خبر أن يكون المخبر به عنده عِلم أو ظنٌّ به.

وقد يخرج الخبر عن الغرضين السابقين إلى أغراض أخرى تُستفاد بالقرائن، ومن سياق الكلام: أهمُّها:

١ ـ الاسترحامُ والاستعطافُ، نحو: إني فقير إلى عفو ربي[٢].

٢ ـ وتحريكُ الهمة إلى ما يلزم تحصيلهُ، نحو: ليس سَواء عالم وجهولُ.

٣ ـ وإظهار الضَّعف والخُشوع. نحو: ﴿ربِّ إني وَهَن العظمُ منِّي﴾ [مريم: ٤].

٤ ـ وإظهار التحسُّر على شيء محبوب. نحو: ﴿إني وَضعتها أُنثَى﴾ [آل عمران: ٣٦].

---

١ . فطابقة النسبة الكلامية للنسبة الخارجية ثبوتاً ونفياً صدق، وعدم المطابقة كذب، فالنسبة التي دل عليها الخبر وفهمت منه تسمى كلامية. والنسبة التي تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر تسمى خارجيه، فحينئذٍ هناك نسبتان نسبة تفهم من الخبر. ويدل عليها الكلام وتسمى النسبة الكلامية، ونسبة أخرى تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر وتسمى النسبة الخارجية. فما وافق الواقع فهو صدق، وما خالف الواقع فهو كذب.

٢ . فليس الغرض هنا إفادة الحكم. ولا لازم الفائدة، لأن الله تعالى عليم ولكنه طلب عفو ربه، ولهذا ترى في الكلام العربي أخباراً كثيرة لا يقصد بها إفادة المخاطب الحكم. ولا أن المتكلم عالم به، فتكون قد خرجت عن معناها الأصلي السالف ذكره إلى أغراض أخرى.

٥ ـ وإظهار الفرَح بمُقبِل، والشماتة بمُدْبِر. نحو: ﴿جاء الحق وزهق الباطل﴾ [الإسراء: ٨١].

٦ ـ والتوبيخ كقولِكَ للعاثر: الشمس طالعةٌ.

٧ ـ والتذكير بما بين المراتب من التفاوت نحو: لا يستوي كسلان ونشيط.

٨ ـ والتحذير. نحو: أبغضُ الحلال إلى الله الطلاق.

٩ ـ والفخر. نحو: إن الله اصطفاني من قريش.

١٠ ـ والمدح كقوله: [الطويل].

فـــإنك شمسٌ والمـــلوك كـــواكبٌ إذا طـــلعتْ لم يـــبدُ مـــنهنَّ كـــوكبُ

وقد يجيء لأغراض أخرى، والمرجع في معرفة ذلك إلى الذوق والعقل السليم.

تمرين

عيِّن الأغراض المستفادة من الخبر في الأمثلة الآتية:

١ ـ قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، وإِنْ تُبدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ، واللهُ على كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿عَبَسَ وتولّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرى، أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تصدَّى، وَمَا عَلَيْكَ ألا يَزَّكى! وأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى، فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ [عبس: ١ ـ ١٠].

٣ ـ وقال ﷺ: «عَدْلُ سَاعَةٍ فِي حُكُومَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَتِّينَ سَنة».

٤ ـ وقال ﷺ: «إنَّ أشدَّ الناسِ عَذَاباً يوم القِيَامَةِ رجلٌ أشرَكهُ اللهُ في حكمِهِ، فأدخلَ عليهِ الجَوْرَ في عدله».

٥ ـ ومن خطبة له عليه الصلاة والسلام بمكة حين دعا قومه إلى الإسلام: «إنَّ الرَّائدَ لا يَكْذِبُ أَهْلَه، والله لو كذبتُ الناسَ مَا كَذَبْتُكُم ولو غررت الناسَ ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم حقّاً، وإلى الناس كافة».

٦ ـ وقال الشريف الرضي: [الكامل]

جار الزمانُ فلا جواد يُرْتَجَى ... للنابثات ولا صديقٌ يشفقُ
وإذا الحليم رمى بسرِّ صديقه ... عمداً فأَوْلَى بالوداد الأحمقُ

٧ ـ وقال المعري [الطويل]

عرفتُ سجايا الدهر، أما شرورُهُ ... فتنقدُ، وأما خيره فَوُعُودُ

٨ ـ وقال: [الطويل]

رأيت سكوتي مَتْجراً فلزمتُهُ ... إذا لم يُفِدْ ربحاً فلستُ بخاسر

٩ ـ وقال أيضاً: [الوافر]

أرَى وَلَدَ الفتى عبئاً عليه ... لقد سعد الذي أمسى عقيما
فإما أن يربِّيَهُ عدوّاً ... وإما أن يُخَلِّفَهُ يتيما

١٠ ـ قال ابن حيوس مادحاً: [الطويل]

بني صالح أقْصَدْتُم من رميتُم ... وأحييتُم من أم معروفكم قصدا
وَذَلَّلْتُمُ صعب الزمان لأهله ... فَذَلَّ وقد كان الجماح له وكدا
مناقب لو أن الليالي توشحت ... بأذيالها لابيضَّ منهن ما اسودّا

١١ ـ وقال أبوفراس: [الطويل]

صبت على اللأْوَاءِ صبر ابن حُرَّةٍ ... كثير العدا فيها قليل المُسَاعِدِ
مَنَعْت حِمَى قومي وسُدْت عشيرتي ... وقَلَّدْتُ أهلي غُرَّ هذي القلائد

المبحث الثاني

في كيفية إلقاء المتكلم الخبر للمخاطب

حيث كان الغرض من الكلام الإفصاح والإظهارَ، يجب أن يكون المتكلم مع المخاطب كالطبيب مع المريض، يشخِّص حالتَه، ويعطيه ما يناسبها. فحقّ الكلام:، أن يكون بقدر الحاجة، لا زائداً عنها، لِئلا يكون عبثاً، ولا ناقصاًعنها، لئلا يُخِلَّ بالغرض، وهو: الإفصاح والبيان.

لهذا تختلف صُور الخبر في أساليب اللغة باختلاف أحوال المخاطب الذي يعتريه ثلاث أحوال:

أولاً: أن يكون المخاطب خاليَ الذهن مَن الخبرَ. غير مُتردد فيه ولا منكر له، وفي هذه الحال لا يؤكد له الكلام، لعدم الحاجة إلى التوكيد. نحو قوله تعالى: ﴿المال والبنونَ زينة الحياة الدُّنيا﴾ [الكهف: ٤٦]. ويسمى هذا الضرب من الخبر: ابتدائياً ويُستعمل هذا الضرب حين يكون المخاطب خالي الذهن من مدلول الخبر فيتمكن فيه لمصادفته إيَّاه خالياً[١].

ثانياً: أن يكون المُخَاطب مُتردداً في الخبر، طالباً الوصول لمعرفته، والوقوف على حقيقته فيُستحسنُ تأكيدُ[٢] الكلام المُلْقَى إليه تقوية للحُكم، ليتمكّنَ من نفسه ويَطرحَ الخلاف وراء ظهره، نحو: إن الأميرَ مُنتصرٌ.

---

١. عرفت هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

٢. المراد بالتأكيد في هذا الباب تأكيد الحكم، لا تأكيد المسند إليه ولا تأكيد المسند.

واعلم أن الخطاب بالجملة الاسمية وحدها آكد من الخطاب بالجملة الفعلية، فإذا أريد مجرد الاخبار أتي بالفعلية، وأما إن أريد التأكيد فبالاسمية وحدها، أو بها مع إن، أو بهما وباللام، أو بالثلاثة والقسم، واعلم أن لام الابتداء هي الداخلة على المبتدأ، واللاحقة للخبر، كما أن السين وسوف لا تفيدان التوكيد إلا إذا كانت للوعد أو الوعيد.

ويُسَمَّى هذا الضرب من الخبر: طَلَبِيّاً ويؤتى بالخبر من هذا الضَّرب حين يكون المخاطب شاكّاً في مدلول الخبر، طالباً التثبُّت من صدقه.

ثالثاً: أن يكون المخاطب منكراً للخبر الذي يُرَاد إلقاؤه إليه، معتقداً خلافه، فيلزم تأكيدُ الكلام له بمؤكد. أو مؤكدَينِ أو أكثر، على حسب حاله من الإنكار، قوةً وضعفاً. نحو: إنّ أخاك قادمٌ، أو إنه لقادم، أو والله إنه لقادم. أو لعمري: إنّ الحقَّ يَعلو ولا يُعلَى عليه. ويُسمَّى هذا الضرب من الخبر: **إنكارياً** ويؤتى بالخبر من هذا الضرب حين يكون المخاطب منكراً.

واعلم أنه كما يكون التأكيد في الإثبات، يكون في النفي أيضاً، نحو: ما المُقتَصد بمُفتقر، ونحو: والله ماالمستشير بنادم.

تنبيهات

الأول: لتوكيد الخبر أدواتٌ كثيرة، وأشهرها إنَّ، ولام الابتداء وأحرف التنبيه، والقسمُ، ونونا التوكيد، والحروف الزائدة (كتفَعَّل واستفعل نحو: استعفف)، والتكرار، وقد، وأمَّا الشَّرطيَّة، وإنَّما، واسمية الجملة، وضمير الفصل، وتقديم الفاعل المعنوي.

الثاني: يسمى إخراج الكلام على الأضرُب الثلاثة السابقة إخراجاً على مقتضى ظاهر الحال[1].

وقد تَقتضي الأحوالُ العُدولَ عن مقتضى الظاهر ويورد الكلام على خلافه لاعتباراتٍ يلحظها المتكلم، وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة.

١ ـ منها: تنزيل العالم بفائدة الخبر، أو لازمها، أو بهما معاً، منزلة الجاهل بذلك، لعدم جَريهِ على مُوجب عِلمه فَيُلقَى إليه الخبر كما يلقى إلى الجاهل به، كقولك لمن يَعلم وجوبَ

---

١ . اعلم أن (الحال) هو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام مكيفاً بكيفية ما سواء أكان ذلك الأمر الداعي ثابتاً في الواقع، أو كان ثبوته بالنظر لما عند المتكلم كتنزيل المخاطب غير السائل منزلة السائل.

(وظاهر الحال) هو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام مكيفاً بكيفية مخصوصة بشرط أن يكون ذلك الأمر الداعي ثابتاً في الواقع فكل كيفية اقتضاها ظاهر الحال اقتضاها الحال، وليس كل كيفية اقتضاها الحال اقتضاها ظاهره.

الصلاة، وهو لا يصلي: الصلاةُ واجبةٌ توبيخاً على عدم عمله بمقتضى علمه، وكقولك، لمن يُؤذِي أباه: هذا أبوك.

٢ ـ ومنها تنزيل خالي الذّهن مَنزلة السائل المتردّد، إذا تقدَّم في الكلام ما يشير إلى حُكم الخبر كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وما أُبرِّءُ نفسي إنَّ النّفس لأمَّارة بالسُّوء﴾ [يوسف: ٥٣] فدخول إنَّ مؤكدٌ لمضمون ما تقدمه، لإشعاره بالتردّد فيما تضمنه مدخولها، وكقوله سبحانه وتعالى: ﴿ولاَ تُخَاطِبْنِي في الَّذِينَ ظَلَمُوا إنَّهُم مُغْرَقون﴾ [الدخان: ٢٤]. لما أمر المولى نوحاً أوَّلاً بصنع الفلك، ونهاه ثانياً عن مُخاطبته بالشفاعة فيهم، صار مع كونه غير سائل في مقام السائل المتردد[1]. هل حكم الله عليهم بالإغراق؟؟ فأجيب بقوله: ﴿إنَّهم مغْرقون﴾.

٣ ـ ومنها: تنزيل غير المنكر منزلة المنكر: إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار؛ كقول حَجَل بن نَضْلَة القيسي «من أولاد عمّ شَقيق». [السريع].

جاءَ شَقِيقٌ عارضاً رُمحَهُ ... إنَّ بَني عَمِّك فيهم رِماحُ

فشقيقٌ رَجلٌ لا ينكرُ رماحَ بَني عمه. ولكن مجيئه على صورة المعجب بشجاعته، واضعاً رُمحَه على فخذيه بالعرض وهو راكب أو حاملاً له عرضاً على كتفه في جهة العدُوّ بدون اكتراثه به، بمنزلة إنكاره أن لِبني عمه رماحاً، ولن يَجِد منهم مُقاوِماً له كأنهم كلّهم في نظره

---

١. أي فصار الكلام مظنة للتردد والطلب وإن لم يتردد المخاطب، ولم يطلب بالفعل، وذلك لأنه تكاد نفس الذكي إذا قدم لها ما يشير إلى جنس الخبر أن تتردد في شخص الخبر، وتطلبه من حيث إنها تعلم أن الجنس لا يوجدإلا في فرد من أفراده فيكون ناظر إليه بخصوصه كأنه متردد فيه كنظر السائل، فقوله: ولا تخاطبني، يشير إلى جنس الخبر وأنه عذاب، وقوله إنهم مغرقون، يشير إلى خصوص الخبر الذي أشير إليه ضمناً في قوله ولا تخاطبني، وكقول الشاعر: [الوافر]

ترفق أيها المولى عليهم ... فإن الرفق بالجاني عتاب

فالأصل: أن يورد الخبر هنا خالياً من التوكيد، لأن المخاطب خالي الذهن من الحكم، ولكن لما تقدم في الكلام ما يشعر بنوع الحكم أصبح المخاطب متشوقاً لمعرفته فنزل منزلة السائل المتردد الطالب، واستحسن إلقاء الكلام إليه مؤكداً جرياً على خلاف مقتضى الظاهر.

عُزْلٌ، ليس مع أحد منهم رمحٌ. فأكد له الكلام استهزاءً به، خوطب خطاب التفاتٍ بعد غَيبةٍ تهكماً به، ورمياً له بالنزَق وخرق الرأي.

٤ ـ ومنها تنزيل المتردد منزلة الخالي، كقولك للمتردد في قدوم مسافر مع شهرته: قدم الأمير.

٥ ـ ومنها تنزيل المتردد[1] منزلة المنكر، كقولك للسائل المستبعد لحصول الفرج: إن الفرج لقريب.

٦ ـ ومنها تنزيل المنكر منزلة الخالي، إذا كان لديه دلائل وشواهد لو تأملها لارْتَدَع وزال إنكاره كقوله تعالى: ﴿وإلهُكم إلهٌ واحد﴾ [البقرة: ١٦٣]. وكقولك لمن يُنكر منفعة لطب: الطِّب نافعٌ.

٧ ـ ومنها تنزيل المنكر منزلة المتردد، كقولك لمن يُنكر شرف الأدب إنكاراً ضعيفاً: «إنَّ الجاه بالمال إنَّما يصحبك ما صحبك المال، وأمَّا الجاه بالأدب فإنه غير زائل عنك».

الثالث: قد يؤكد الخبر لشرف الحكم وتقويته، مع أنه ليس فيه تردّد ولا إنكار، كقولك في افتتاح كلام: إنَّ أفضل ما نطق به اللّسان كذا[2].

---

١ . وفائدة التنزيل وجوب زيادة التأكيد قوة وضعفاً، لأنه نزل المتردد منزلة المنكر، فيعطى حكمه حينئذٍ وهكذا تفهم في عكسه وهو تنزيل المنكر منزلة المتردد في استحسان التوكيد له. واعلم أنه إذا التبس إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر بإخراجه على مقتضى الظاهر يحتاج إلى قرينة تعين المقصود أو ترجحه، فإن لم توجد قرينة صح حمل الكلام على كل من الأمرين، وذلك كجعل السائل كالخالي، وجعل المتردد كالمنكر، فإن وجدت قرينة عمل بها، والأصح الحكم بأحدهما.

٢ . من مزايا اللغة العربية دقة التصرف في التعبير، واختلاف الأساليب باختلاف المقاصد والأغراض، فمن العيب الفاضح عند ذوي المعرفة بها «الاطناب» إذا لم تكن هناك حاجة إليه «والإيجاز والاختصار» حيث تطلب الزيادة، وقد تخفى دقائق تراكيبها على الخاصة بله العامة، فقد أشكل أمرها على بعض ذوي الفطنة من نابتة القرن الثالث: إبان زهو اللغة ونضرة شبابها، يرشدك إلى ذلك ما رواه الثقاة من أن المتفلسف الكندي: ركب إلى أبي العباس المبرد وقال له: إني لأجد في كلام العرب حشواً، فقال أبوالعباس في أي موضع وجدت

←

تدريب

بيِّن أغراض الخبر والمقاصد منه فيما يأتي:

١ ـ قَـومِي هُـمُ قـتلوا أُمَـيْمَ أَخـي فـإذا رَمَـيْتُ يُـصِيبُني سَهـمي[١]

[الكامل]

٢ ـ قد كنتَ عُـدَّتي التي أسـطو بهـا ويدي إذا اشتدّ الزمان وسـاعدي[٢]

[الكامل]

٣ ـ أبا المسك أرجو منك نصراً على العدى وآمل عزاً يخـضب البـيض بـالدم[٣]

[الطويل]

٤ ـ كفى بجسمي نُحُـولاً أنـني رجـل لولا مُخـاطبتي إيـاك لم تـرني[٤]

[البسيط]

→

ذلك؟ فقال: أجد العرب يقولون عبدالله قائم. ثم يقولون: إن عبدالله قائم، ثم يقولون، إن عبدالله لقائم، فالألفاظ متكررة، والمعنى واحد، فقال أبو العباس بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فالأول إخبار عن قيامه، والثاني جواب عن سؤال سائل، والثالث جواب عن إنكار منكر قيامه؛ فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني. فما أحار المتفلسف جواباً.

ومن هذا: نعلم أن العرب لاحظت أن يكون الكلام بمقدار الحاجة. لا أزيد وإلا كان عبثاً، ولا أنقص ولا أخل بالغرض، وهو الإفصاح والبيان.

١. إظهار الحسرة على موت أخيه بيد قومه.

٢. إظهار الضعف لكونه أصبح بلا معين.

٣. الاسترحام بطلب المساعدة وشد الأزر.

٤. إظهار الضعف بأن نحو له صيره إلى ما وصف.

تطبيق

أحص المؤكدات في العبارات التالية، وبيّن ضروب الخبر الثلاثة:

١ ـ ألاَ في سبيل المجد ما أنا فاعلُ عَفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلُ

[الطويل]

٢ ـ وإنَّ امرأً قد سار خمسينَ حجَّةً إلى مَنْهَلٍ من وِرده لَقريب

[الطويل]

٣ ـ ليس الصَّديق بمن يعيرك ظاهراً مُتبسِّماً عن باطن مُتجهم

[الكامل]

٤ ـ قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾. [النبأ: ٩ ـ ١١]

٦ ـ أمَّا الفِراق فإنه ما أعهدُ هو تَوأَمِي، لو أنَّ بيناً يُولد

[الكامل]

٧ ـ وإنَّ الذي بَيني وبين بني أَبي وبين بَني عمِّي لمختلفٌ جداً *

[الطويل]

---

*

الرقم	المؤكدات	ضرب الخبر
١	ألا (أداة استفتاح وتنبيه)	طلبي
٢	إن، قد، اللام في (لقريب)	إنكاري لزيادة المؤكدات على واحد
٣	الباء الزائدة في (بمن)	طلبي
٤	لام القسم، لام التوكيد، نون التوكيد	إنكاري
٥	تكرار جعلنا	طلبي
٦	أما، إن، أن	طلبي لأن كل مؤكدة في جملة
٧	أن، لام الابتداء	إنكاري لزيادة المؤكدات على واحد

٨ ـ ﴿إنَّا إليكم مُرسلون﴾ [يس: ١٤]

٩ ـ وإنِّي لصـبَّار عـلى مـا يـنُوبُني وحسـبك أن الله أثـنى عـلى الصـبر

[الطويل]

١٠ ـ وإنِّي لقوَّال لذي البثّ مـرحـباً وأهلاً إذا ما جاء من غير مـرصد*

[الطويل]

---

* ٨ لما روى القرآن قصة رسل عيسى الذين أرسلهم إلى قومه فأنكروا رسالتهم قال لهم الرسل ﴿إنا إليكم مرسلون﴾ فألقوا إليهم الكلام مؤكداً بمؤكدين، فكذبوا فقالوا لهم: ﴿إنا إليكم لمرسلون﴾ مؤكدين لهم القول بمؤكد ثالث، فجحدوا، فقالوا لهم: ﴿ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾ فزادوا مؤكداً رابعاً وهو القسم.

الرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
٩	وإني لصبار	إن ولام الابتداء	إنكاري
١٠	وإني لقوال	إن ولام الابتداء	إنكاري

المبحث الثالث

في تقسيم الخبر إلى جملة فعلية وجملة اسمية

١ ـ **الجملة الفعلية**: ما تركبت من فعل وفاعل، أو من فعل ونائب فاعل؛ وهي: موضوعة لإفادة التّجدّد والحدوثِ في زمن مُعيَّنٍ مع الاختصار[١] نحو: يعيش البخيل عيشة الفقراء، ويُحاسَب في الآخرة حسابَ الأغنياء. ونحو: اشرَقتِ الشمسُ وقد ولى الظّلام هارباً. فلا يستفاد من ذلك إلاّ ثبوتُ الإشراق للشمس، وذهاب الظّلام في الزّمان الماضي.

وقد تفيد الجملة الفعلية الاستمرار التجدّدى شيئاً فشيئاً بحسب المقام، وبمعونة القرائن، لا بحسب الوضع[٢]، بشرط أن يكون الفعلُ مضارعاً نحو قول المتنبي: [الطويل].

تُدبِّر شرقَ الأرض والغرب كفه وليسَ لها يوماً عن المجد شاغلُ

فقرينة المدح تدلّ على أن تدبير الممالك ديدنُه، وشأنُه المستمر الذي لا يَحيد عنه.ويتجدد آناً، فآناً.

ب ـ **والجملة الاسمية**: هي ما تركبت من مبتدأ وخبر، وهي تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء[٣] ليس غيرُ، بدون نظر إلى تَجدّد ولا استمرار، نحو: الأرض متحركة، فلا

---

١ . وذلك أن الفعل دال بصيغته على أحد الأزمنة الثلاثة بدون احتياج لقرينة بخلاف الاسم: فإنه يدل على الزمن بقرينة ذكر لفظه: الآن، أو أمس، أو غداً.

٢ . وذلك نظير الاستمرار الثبوتي في الجملة الاسمية نحو ﴿لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم﴾ أي لو استمر على إطاعتكم وقتاً فوقتاً لحصل لكم عنت ومشقة.

٣ . فالجملة الاسمية موضوعة لمجرد ثبوت المسند للمسند إليه. قال الشيخ عبدالقاهر: موضوع الاسم على أن يثبت به الشيء للشيء من غير اقتضاء أنه يتجدد ويحدث شيئاً فشيئاً: فلا تعرض في نحو: زيد منطلق، لأكثر من إثبات الانطلاق له فعلاً، كما في زيد طويل وعمرو قصير، أي أن ثبوت الطول والقصر هو بأصل الوضع، وأما استفادة الدوام فمن الملازمة في هذين الوصفين، وحينئذٍ فالتمثيل للنفي.

يستفاد منها سوى ثبوت الحركة للأرض، بدون نظر إلى تجدد ذلك ولا حُدُوثِهِ.

وقد تخرج الجملة الاسمية عن هذا الأصل، وتُفيد الدوام والاستمرار بحسب القرائن: إذا لم يكن في خبرها فعْلٌ مضارع: وذلك بأن يكونَ الحديث في مقام المدح، أو معرض الذَّم كقوله تعالى: ﴿وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] فسياق الكلام في معرض المدح دال على إرادة الاستمرار مع الثبوت، ومنه قول النضر بن جُؤْبة يتمدح بالغنى والكرم: [البسيط].

لا يألف الدرهمُ المضروب صرَّتنا ... لكن يمر عليها وهو منطلق

يريد أن دراهمه لا ثبات لها في الصرة ولا بقاء، فهي دائماً تنطلق منها، وتمرق مروق السهام من قسيتها، لتوزع على المعوزين وأرباب الحاجات.

واعلم أن الجملة الاسمية لا تفيد الثبوت بأصل وضعها، ولا الاستمرار بالقرائن، إلا إذا كان خبرها مفرداً نحو: الوطن عزيز. أو كان خبرها جملة اسمية نحو: الوطن هو سعادتي. أما إذا كان خبرها فعلاً فإنها تكون كالجملة الفعلية في إفادة التجدد والحدوث في زمن مخصوص، نحو: الوطن يسعد بأبنائه، ونحو: [المتقارب].

نروح ونغدو لحاجاتنا ... وحاجة من عاش لا تنقضي

أسئلة يطلب أجوبتها

ما هو علم المعاني؟ ما هو الإسناد؟ ما هي مواضع المسند والمسند إليه؟ ما المراد بصدق الخبر وكذبه؟ ما الفرق بين النسبة الكلامية والنسبة الخارجية؟ ما هو الأصل في إلقاء الخبر؟ ما هي الأغرض الأخرى التي يلقى إليها الخبر؟ ما هي أضرب الخبر؟ ما هي أدوات التوكيد؟ لماذا يعدل عن مقتضى الظاهر؟ إلى كم ينقسم الخبر؟ لأي شيء وضعت الجملة الاسمية والفعلية؟ هل تفيد الجملة الفعلية والاسمية غير ما وضعتا لأجله؟

تدريب

بيّن فائدة التعبير بالجملة الاسمية أو الفعلية في التراكيب الآتية:

١ ـ قال تعالى: ﴿يَمْحُو اللهُ ما يشاءُ ويثبت وعنده أمُّ الكتابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

٢ ـ نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي

[المتقارب]

٣ ـ وعلى إثرهم تساقَط نفسي حسراتٍ وذكرهُمُ لي سِقَام *

[الخفيف]

---

*

الرقم	الجملة	نوعها	ماتفيده	الإيضاح
١	يمحوالله	مضارعية	الاستمرار التجددي	محو بعض الخلائق وإفناؤها وإثبات البعض الآخر مستمر على جهة التجدد
	وعنده أم الكتاب	اسمية	الدوام	أم الكتاب: اللوح المحفوظ والقرينة الإسناد إلى الله
٢	نروح، ونغدو	مضارعية	الاستمرار التجددي	والقرينة قوله وحاجة من عاش
٣	تساقط	مضارعية	الاستمرار التجددي	
	وذكرهم لي سقام	اسمية	الاستمرار والدوام	القرينة حالية وهي الحزن والأسى

الباب الثاني

في حقيقة الإنشاء وتقسيمه

الإنشاء لغةً: الإيجاد، واصطلاحاً: كلامٌ لا يحتملُ صدقاً ولا كذباً لذاته[1]، نحو اغفرْ ـ وارحمْ، فلا يُنسَبُ إلى قائله صِدق ـ أو كذب. وإن شئت فقل في تعريف الإنشاء: هو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظتَ به. فطلبُ الفعل في: افعَلْ، وطلب الكف في لاَ تَفْعَلْ، وطلب المحبوب في: التَّمَنِّي، وطلب الفهم في: الاستفهام، وطلب الإقبال في النِّداء، كل ذلك ما حصل إلا بنفس الصِّيغ المتلَفظ بها.

وينقسم الإنشاء إلى نوعين: إنشاء طلبي، وإنشاء غير طلبي.

فالإنشاء غير الطلبي: ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، ويكون: بصيغ المدح، والذَّم، وصيغ العقود، والقسم، والتَّعجُّب والرَّجاء، ويكون بِرُبَّ ولعلَّ، وكم الخبرية.

١ ـ أما المدح والذم فيكونان: بنعم وبئس، وما جرى مجراهما. نحو حبَّذا ولا حبَّذا؛ والأفعال المحوَّلة إلى فعُل نحو طاب عليٌّ نفساً وخبث بكر أصلا.

٢ ـ وأما العقود: فتكون بالماضي كثيراً، نحو بعتُ واشتريتُ ووهبتُ، وبغيره قليلاً، نحو عبدي حرٌّ لوجه الله تعالى.

---

١ . أي بقطع النظر عما يستلزمه الإنشاء فإنّ «اغفر» يستلزم خبراً وهو أنا طالب المغفرة منك، وكذا لا تكسل، يستلزم خبراً، وهو أنا طالب عدم كسلك، لكن كل هذا ليس لذاته.

٣ ـ وأما القسم: فيكون: بالواو، والباء، والتاء، وبغيرها نحو: لعمرك ما فعلت كذا.

٤ ـ وأما التّعجب: فيكون قياساً بصيغَتَيْنِ، ما أفعَلَه، وأفعِلْ به وسماعاً بغيرهما، نحو: لله دَرُّه عالماً، ﴿كيف تكفرون بالله وَكنتم أمواتاً فأحياكم﴾ [البقرة: ٢٨].

٥ ـ وأما الرَّجاء: فيكون: بعسى، وحرى، واخْلَوْلَق، نحو: عسى الله أن يأتي بالفتح.

واعلم أنّ الإنشاء غير الطلبي لا تبحث عنه علماء البلاغة، لأن أكثر صيغه في الأصل أخبارٌ نقلت إلى الإنشاء. وإنما المبحوث عنه في علم المعاني هو: **الإنشاء الطّلبي**: لِمَا يَمتاز به من لَطائفَ بلاغيَّة.

إذن يتضح أن الإنشاء الطلبي هو الذي يَسْتَدْعِي مَطلوباً[١] غير حاصلٍ[٢] في اعتقاد المتكلم وقت الطّلب. وأنواعه خمسة: الأمر، والنَّهي والاستفهام، والتَّمني، والنداء[٣]. وفي هذا الباب خمسة مباحث.

---

١ . اعلم أنه إذا كان المطلوب غير متوقع كان الطلب (تمنياً) وإن كان متوقعاً فأما حصول صورة أمر في الذهن فهو (الاستفهام) وأما حصوله في الخارج فإن كان ذلك الأمر انتفاء فعل، فهو (النهي) وإن كان ثبوته: فأما بأحد حروف (النداء) فهو النداء، وأما بغيرها فهو (الأمر).

وبهذا تعلم أن الطلب هنا منحصر في هذه الأنواع الخمسة لاختصاصها بكثير من اللطائف البلاغية.

٢ . أي لأنه لا يليق طلب الحاصل، فلو استعمل صيغ الطلب لمطلوب حاصل امتنع إجراؤها على معانيها الحقيقية، ويتولد من تلك الصيغ ما يناسب المقام، كطلب دوام الإيمان والتقوى في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله﴾، وهلم جرا.

٣ . ويكون الإنشاء الطلبي أيضاً، بالعرض والتحضيض، ولكن لم يتعرض لهما البيانيون لأنهما مولدان على الأصح من الاستفهام والتمني، فالأول من الهمزة مع لا النافية في «ألا» والثاني من هل ولو للتمني مع لا وما الزائدتين في «هلا وألا» بقلب الهاء همزة. وكذا: لولا ولوما.

واعلم أن الإنشاء الطلبي نوعان، الأول ما يدل على معنى الطلب بلفظه ويكون بالخمسة المذكورة. والثاني: ما يدل على الطلب بغير لفظه كالدعاء.

المبحث الأول
في الأمر

الأمر: هو طلب الفعل من المخاطب: على وجه الاستعلاء[1] مع الإلزام، وله أربع صيغ:

١ ـ فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿يا يحيى خُذِ الكتاب بقوة﴾ [مريم: ١٢].

٢ ـ والمضارع المجزوم بلام الأمر كقوله سبحانه وتعالى: ﴿لِيُنفِق ذو سَعَة مِنْ سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧].

٣ ـ واسم فعل الأمر نحو: ﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلَّ إذا اهْتديتم﴾ [المائدة: ١٠٥].

٤ ـ والمصدر النائب عن فعل الأمر، نحو: سعياً في سبيل الخير.

وقد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي وهو «الإيجاب والإلزام» إلى معان أخرى: تستفاد من سياق الكلام، وقرائن الأحوال.

١ ـ **كالدعاء**: في قوله تعالى: ﴿ربِّ أوزِعْنِي أن أشكرَ نعمتك﴾ [النمل: ١٩ والأحقاف: ١٥].

٢ ـ **والالتماس**: كقولك لمن يساويك: أعطني القلَم أيها الأخ.

٣ ـ **والإرشاد**: كقوله تعالى: ﴿إذا تَدَاينتم بدَيْن إلى أجل مُسَمًّى فاكتُبُوهُ، وليَكتُبْ بينكم كاتِبٌ بالْعَدل﴾ [البقرة: ٢٨٢].

٤ ـ **والتهديد**: كقوله تعالى: ﴿اعملوا ما شِئتم، إنَّه بمَا تَعْمَلونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

٥ ـ **والتعجيز**: كقوله تعالى: ﴿فأتُوا بسورة منْ مثلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

---

١ . بأن يعد الآمر نفسه عالياً لمن هو أقل منه شأناً، سواء أكان عالياً في الواقع أو لا. ولهذا نسب إلى سوء الأدب إن لم يكن عالياً. وذهب بعض إلى أن لا يشترط هذا، والأشبه أن الصدور من المستتر يفيد إيجاباً في الأمر، وتحريماً في النهي، واعلم أن الأمر للطلب مطلقاً، والفور والتراخي من القرائن، ولا يوجب الاستمرار والتكرار في الأصح، وقيل ظاهره الفور كالنداء والاستفهام إلا بقرينة، وهو ما اختاره السكاكي، واعلم أيضاً أن الأمر يكون استعلاء مع الأدنى، ودعاء مع الأعلى، والتماساً مع النظير.

٦ـ والإباحة: كقوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبيَّنَ لكم الخيط الأبيضُ من الخيْط الأسودِ منَ الفجرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ونحو: اجلس كما تشاء.

٧ـ والتسوية: نحو قوله تعالى: ﴿فاصْبِرُوا أو لا تَصبروا﴾ [الطور: ١٦].

٨ـ والإكرام: كقوله تعالى: ﴿ادْخُلوهَا بِسَلاَمٍ آمنين﴾ [الحجر: ٤٦].

٩ـ والامتنان: كقوله تعالى: ﴿فَكلُوا مِمَّا رَزَقَكُم الله﴾ [النحل: ١١٤].

١٠ـ والإهانة: كقوله تعالى: ﴿كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً﴾ [الإسراء: ٥٠].

١١ـ والدَّوام: كقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيم﴾ [الفاتحة: ٦].

١٢ـ والتمني: كقول امرىء القيس: [البحر الطويل]

ألاَ أيهـــا اللـــيْلُ الطويل ألاَ انْجَـلي بصُبْحٍ ومـا الإصـباحُ مـنك بأمـثَلِ

١٣ـ والاعتبار: ﴿أنظرُوا إلى ثَمرِهِ إذا أثمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

١٤ـ والإذن: كقولك لمن طَرقَ الباب: ادْخل.

١٥ـ والتكوين: كقوله تعالى: ﴿كُنْ فَيكونُ﴾ [البقرة: ١١٧، الأنعام: ٧٣، النحل: ٤٠]

١٦ـ والتخيير: نحو: تَزَوَّجْ هنداً أو أختَها.

١٧ـ والتأديب: نحو: كل ممَّا يَليك.

١٨ـ والتَّعجب: كقوله تعالى: ﴿انظر كيفَ ضَرَبُوا لَكَ الأمثال﴾ [الإسراء: ٤٨].

١٩ـ والتسخير: كقوله تعالى: ﴿كونوا قردة خاسئين﴾

٢٠ـ والاخبار: كقوله ﷺ: من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، اذا المراد: يتبوأ مقعده.

تمرين

بيِّن ما يُراد من صيغ الأمر في التراكيب الآتية:

١ ـ ﴿خُذِ العَفْوَ، وأمُر بِالْعُرفِ، وأعرِضْ عَنِ الجاهِلين﴾ [الأعراف: ١٩٩].

٢ ـ أسيني بنا أو أحْسِني لا مَلُومَةٌ لدينا ولا مَقليَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ

٣ ـ يا لَيلُ طُلْ يا نَوْمُ زُلْ يا صُبحُ قِفْ لا تَطْلع

٤ ـ عِشْ ما بَدَا لَكَ سالِماً في ظِلِّ شاهِقَة القُصُور

٥ ـ ﴿وأسرُّوا قَوْلكُمْ أو اجْهَرُوا بهِ إنَّهُ عَليمٌ بذاتِ الصُّدُور﴾ [الملك: ١٣].

٦ ـ ترفّقْ أيها المولى عليهم فإنَّ الرِّفق بالجاني عتابُ

٧ ـ أرى العنقاء تكبُرُ أن تصادا فعانِدْ مَنْ تُطيقُ له عِنادا

٨ ـ خليليَّ هُبَّا طالما قد رقدْتُما أجدَّكما لا تقضيان كراكما

٩ ـ أريني جواداً مات هُزْلا لعلّني أرى ما ترينَ أو بخيلاً مُخَلَّدَا

١٠ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ هاتُوا بُرهانكم إنْ كنْتُم صادقين﴾ * [البقرة: ١١١].

---

*

الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها	الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها
١	خذ العفو	الإرشاد	٦	ترفق	الدعاء
٢	اسيني بنا	التسوية	٧	عانِد	الإهانة
٣	طل ـ زل	التمني	٨	هبا	الالتماس
٤	عش سالما	الدعاء	٩	اريني جوادا	التعجيز
٥	اسروا قولكم	التسوية	١٠	هاتوا برهانكم	التعجيز

المبحث الثاني
في النّهي

النّهي: هو طلب الكفّ عن الشيء على وجه الاستعلاء[1] مع الإلزام، وله صيغةٌ واحدةٌ، وهي المضارع المقرون بلا الناهية: كقوله تعالى: ﴿ولا تُفسِدُوا في الأرض بعد إصْلاحها﴾ [الأعراف: ٨٥] ﴿ولا تجسَّسُوا ولا يغْتَبْ بعْضُكُم بعْضاً﴾ [الحجرات: ١٢].

وقد تخرج هذه الصِّيغة عن أصل معناها إلى معانٍ أُخَر، تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

١ ـ **كالدُّعاء**: نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لا تؤاخذْنا إنْ نسينا أو أخْطأنا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٢ ـ **والالتماسُ**: كقولك لمنْ يُساويك: أيها الأخ لا تَتَوَانَ.

٣ ـ **والإرشاد**: كقوله تعالى: ﴿لاَ تَسْأَلوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤكم﴾ [المائدة: ١٠١].

٤ ـ **والدوام**: كقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الله غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظالِمونَ﴾ [ابراهيم: ٤٢].

٥ ـ **وَبيان العاقبة**: نحو قوله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الذِينَ قتِلوا في سَبِيلِ اللهِ أمْواتاً بَلْ أحيَاء﴾ [آل عمران: ١٦٩].

٦ ـ **والتيئيس**: نحو قوله تعالى: ﴿لا تَعْتَذِرُوا قدْ كفرْتُم بعْدَ إيمَانكم﴾ [التوبة: ٦٦].

٧ ـ **والتَّمنّي**: نحو يا ليلة الأنس لا تنقضي. وكقوله: [الكامل]

يـــا ليـــلُ طـــلْ يـــا نـــومُ زُلْ ... يـــا صـــبحُ قِـــفْ لاَ تـــطلع

---

١ . اعلم: أن النهي طلب الكف عن الشيء، ممن هو أقل شأناً من المتكلم، وهو حقيقة في التحريم: كما عليه الجمهور، فتى وردت صيغة النهي أفادت الحظر والتحريم على الفور.

واعلم: أن النهي كالأمر، فيكون استعلاء مع الأدنى، ودعاء مع الأعلى، والتماساً مع النظير.

٨ ـ والتهديد: كقولك لخادمك: لا تطع أمري.

٩ ـ والكراهة: نحو لا تلتفت وأنتَ في الصلاةِ.

١٠ ـ والتَّوبيخ: نحو لا تَنْهَ عن خُلق وتأتيَ مثلَه.

١١ ـ والالتماس: نحو ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنا﴾ [التوبة: ٤٠].

١٢ ـ والتَّحقير: كقوله: [البسيط]

لا تَطلب المجد إنَّ المجد سُلمهُ ... صَعبٌ، وعِشْ مُستريحاً ناعم البال

وكقوله: [البسيط]

دَعِ المكارِم لا تَرحل لبُغيتها ... واقعُدْ فإنك أنت الطاعم الكاسي

تطبيق

اذكر ما يُرد من صيغ النهي الآتية:

١ ـ ﴿ولا تَلبسُوا الحقَّ بالْباطِلِ وتكتُموا الحقَّ وأَنْتُمْ تَعلمُون﴾ [البقرة: ٤٢].

٢ ـ فلا تلزمنّ الناس غير طباعهم ... فتتعبَ من طول العتاب ويتعبوا

ولا تغترر منهم بحسن بشاشة ... فأكثر إيماض البَوارق خُلبُ

[الكامل]

٣ ـ فلا تهجْ إنْ كنت ذا إرْبَةٍ ... حَرْبَ أخِي التَّجْرِبَةِ العَاقِلِ

[السريع]

٤ ـ ﴿لا تَعْتَذِرُوا اليَومَ﴾ [التحريم: ٧].

٥ ـ لا تَحْسَبِ المجدَ تمراً أنْتَ آكلهُ ... لَنْ تَبْلغ المجدَ حتى تلعق الصبرا

[البسيط]

٦ ـ لا تَحْتَجِب عن العيون أيُّهَا القَمَرُ

٧ ـ لا تَـعْرِضَنَّ لجـعْفَرٍ مُـتَشَبِّهاً بِـنَدَى يَـدَيْهِ فَـلَسْتَ مـن أنْـدَادِهِ

[الكامل]

٨ ـ لا تيأَسُوا أن تَسْتَرِدُّوا مجـدَكـم فَـلَرُبَّ مَـغْلُوبٍ هَـوَى ثُمَّ ارْتَـقَى

[الكامل]

ولا تجـلس إلى أهـل الدَّنـايا فـإنَّ خـلائق السُّـفهاء تُـعْدِي *

[الوافر]

---

*

الرقم	الغرض	الرقم	الغرض
١	التوبيخ على خلطهم الحق بالباطل	٥	التوبيخ والتعنيف
٢	الإرشاد إلى حسن الخلق	٦	التمني
٣	الإرشاد والنصح	٧	التوبيخ والتأنيب
٤	التوبيخ والتقريع	٨	استنهاض الهمة بالنصح

المبحث الثالث
في الاستفهام

الاستفهام: هو طلب العِلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل. وذلك بأداة من إحدى أدواته الآتية؛ وهي:

الهمزة، وهَل، وما، ومَتى، وأيَّان، وكيفَ، وأينَ، وأنَّى، وكم، وأيّ.

وتنقسم بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ ما يُطلَبُ به التَّصَوُّر تارة، والتصديق تارة أخرى، وهو: الهمزة.

ب ـ وما يُطلَبُ به التصديق فقط، وهو: هل.

ج ـ وما يُطلَبُ به التَّصَوُّر فقط، وهو بقيَّة ألفاظ الاستفهام.

الهمزة

يُطلَبُ بالهمزة أحد أمرين: تَصَوُّرٌ، أو تصديق؛

أ ـ فالتَّصَور: هو إدراك المفرد[1]، نحو: «أعليٌّ مسافرٌ أم سعيدٌ» تعتقدُ أنَّ السَّفر حصل

---

١ . أي إدراك عدم وقوع النسبة وذلك كإدراك الموضوع وحده، أو المحمول وحده، أو هما معاً، أو ذات النسبة التي هي مورد الإيجاب والسلب.

فالاستفهام عن التصور يكون عند التردد في تعيين أحد الشيئين، أي يتردد المتكلم في تعيين أحد أمرين، تذكر بينهما أم المتصلة المعادلة، وقد تحذف هي وما بعدها اكتفاء بما قبلها، ولا يلي الهمزة غير المستفهم عنه. والمفرد كما يكون اسماً يكون فعلاً: نحو أتنتهي عند هذا الحد أم تتمادى؟ والاستفهام عن التصديق يكون عن نسبة تردد الذهن فيها بين ثبوتها ونفيها وحينئذٍ للهمزة استعمالان، فتارة يطلب بها معرفة مفرد، وتارة يطلب بها معرفة نسبة، وتسمى معرفة المفرد تصوراً. ومعرفة النسبة تصديقاً، واعلم أن كل همزة استفهام تستعمل في معناها أو في غيره إن وليها الفعل كان هو المقصود بمعناها وإن وليها الاسم كان هو المراد المقصود، فإن قلت اسافر الأمير؟ كان الشك في السفر، وإذا قلت أسعد سافر؟ كان السفر مفروضاً.

مـــــــن

أحدهما، ولكن تطلُبُ تعيينَه. ولذا يُجَاب فيه بالتَّعيين، فيقال: سعيد مثلاً.

وحكم الهمزة التي لِطَلَبِ التَّصَور؛ أن يليها المسؤول عنه بها، سواء أكان:

١ ـ مُسنداً إليه، نحو: أأنتَ فعلتَ هذا أم يوسف؟

٢ ـ أم مُسنداً، نحو: أراغِبٌ أنت عن الأمر أم راغبٌ فيه؟

٣ ـ أم مفعولاً، نحو: إيايَ تقصد أم سعيداً؟ فالاصل: أ إيايَ.

٤ ـ أم حالاً، نحو: أراكباً حضرت أم ماشياً؟

٥ ـ أم ظرفاً، نحو: أيوَم الخميس قدمتَ أم يوم الجمعة؟

ويذكَر المسؤول عنه في التَّصور بعد الهمزة: ويكون له مُعادِلٌ يذكر بَعد أم غالباً: وتُسمى مُتَّصلة.

وقد يُستغنى عن ذكر المُعادل نحو: ﴿أأنتَ فعلتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟﴾ [الأنبياء: ٦٢]

ب ـ والتصديق: هو إدراك وقوع نسبة تامة بين المسند والمسند إليه، أو عدم وقوعها[١] بحيث يكون المتكلم خاليَ الذهن عمَّا استُفهِم عنه في جُملته مُصدِّقاً للجواب إثباتاً بِنعمْ أو نفياً بلا.

وهمزة الاستفهام تدلُّ على التصديق إذا أريد بها النسبة. ويكثر التصديق في الجُمل الفعلية كقولك: أحضرَ الأمير؟[٢]. تستفهم عن ثبوت النسبة ونفيها وفي هذه الحالة يجاب بلفظة: نعم أو لا. ويقلّ التصديق في الجمل الاسمية نحو: أعليٌّ مسافر؟

---

١. أي إدراك موافقتها لما في الواقع أو عدم موافقتها له، واعلم أن إدراك وقوع النسبة أو عدم وقوعها كما يسمى تصديقاً، يسمى: حكماً، أو إسناداً، أو إيقاعاً وانتزاعاً، أو إيجاباً وسلباً.

٢. أي فقد تصورت الحضور والأمير والنسبة بينهما، وسألت عن وقوع النسبة بينهما، هل هو محقق خارجاً أو لا، فإذا قيل حضر، حصل التصديق وكذا يقال فيما بعده. فالمسؤول عنه في التصديق نسبة يتردد الذهن في ثبوتها ونفيها، كما سبق توضيحه.

ويمتنع أن يذكر مع همزة التصديق معادل كما مُثّل. فإن جاءت أم بعدها قُدّرتْ مُنقطعةً[1] وتكون بمعنى (بل):

ولست أُبالِي بعدَ فَقْدِيَ مالكاً أمَوتِيَ ناءٍ أم هُو الآن واقعُ

[الطويل]

ونحو: [الكامل]

هل يسمعنَّ النَّضر إن ناديته أم كيف يسمع ميت لا ينطق؟

هل

يطلب بها التصديق فقط، أي معرفة وقوع النسبة. أو عدم وقوعها لا غير، نحو هل حافَظَ المصريّون على مجد أسلافهم؟

وَلأجل اختصاصها بطلب التصديق لا يذكر معها المعادل بعد أم المتصلة، فلذا.

أ ـ امتنع هل سعد قام أم سعيد؟ لأنَّ وقوع المفرد وهو سعيد بعد أم الواقعة في حيز الاستفهام دليل على أنَّ أم متصلة. وهي لطلب تعيين أحد الأمرين، ولابد حينئذ أن يعلم بها أولاً أصل الحكم. وهل لا يناسبها ذلك، لأنها لطلب الحكم فقط، فالحكم فيها غير معلوم، وإلاّ لم يستفهم عنه بها، وحينئذ يؤدّي الجمع بين هل وأم إلى التناقض. لأنَّ هل تفيد أن السَّائل جاهل بالحكم لأنها لطلبه. وأم المتصلة: تفيد أنَّ السَّائل عالم به، وإنما يَطلب تعيين أحد الأمرين ـ فإن جاءت أمْ كذلك، كانت مُنقطعة بمعنى بل التي تفيد الإضراب نحو: هَلْ جاءَ صديقك أم عدوك.

---

١ . أي: ولابد من وقوع الجملة بعد أم المنقطعة. فإن وقع بعدها مفرد قدر بجملة نحو أحضر الأمير أم جيشه، أي بل حضر جيشه.

واعلم أنه تلخص مما تقدم أن همزة التصور إن جاء بعدها «أم» تكون متصلة. وأن همزة التصديق أو هل: إن جاء بعدهما «أم» قدرت منقطعة وتكون بمعنى بل.

ب ـ وقبحَ استعمالُ هل في تركيبٍ هو مَظنَّة للعلم بحصول أصل النِّسبة، وهو ما يتقدَّمُ فيه المعمولُ على الفعل، نحو هل خليلاً أكرمت، فتقديم المعمول على الفعلِ يَقتضي غالباً حصولَ العلم للمُتكلم. وتكون هلْ لطلب حصول الحاصلِ وهو عبثٌ.

تنبيهات

الأوَّل: هَلْ كالسّين وسَوْف تُخلّص المضارعَ للاستقبال.

فلا يُقال: هَلْ تَصدُق؟ جواباً لمن قال أُحِبُّك الآن، بَلْ تقول له: أتصدُق؟ ولأجل اختصاصها بالتصديق، وتخليصها المضارع للاستقبال قوِيَ اتّصالُها بالفعل لفظاً أو تقديراً نحو هل يَجيءُ عليٌّ أو هَل عليٌّ يجي؟

فإن عُدِل عن الفعلِ إلى الاسم لإبراز ما يحصل في صُورة الحاصل دلالةً على كمال العِناية بحصوله كان هذا العدولُ أبلغَ في إفادة المقصود كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠] فهذا التَّركيب أدل على طلبِ الشكر من قولك، هل تشكرون، وذلك لأنَّ الفعلَ لازمٌ بعد هل والعُدول عنه يدُلّ على قوَّة الدَّاعي لذلك لما ذكر.

الثاني: هل نوعان: بسيطة ومُركبة.

أ ـ فالبسيطة هي التي يُستفهمُ بها عن وجود شيء في نفسه، أو عدم وجوده، نحو هل العَنقاء[1] موجودة ونحو: هل الخلّ الوفيّ موجود.

ب ـ والمُركبة هي التي يُستفهم بها عن وُجود شيء لشيء وعدم وجوده له نحو هل المريخ مسكونٌ؟ هل النَّبات حسَّاس؟

---

١ . حكى الزمخشري في (ربيع الأبرار) أن العنقاء كانت طائراً وكان فيها من كل شيء من الألوان وكانت في زمن أصحاب الرأس تأتي إلى أطفالهم. صغارهم فتخطفهم وتغرب بهم نحو الجبل فتأكلهم، فشكوا ذلك إلى نبيهم (صالح) عليه السلام فدعا الله عليها فأهلكها وقطع عقبها ونسلها فسميت (عنقاء مغرب) لذلك.

الثالث: هل لا تدخل على:

١ ـ المنفي[١] فلا يقال: هل لا يفهم عليٌّ

٢ ـ ولا على المضارع الذي هو الحال فلا يقال: هل تحتقر علياً وهو شجاع

٣ ـ ولا على إنَّ فلا يقال: هل إنَّ الأمير مسافر

٤ ـ ولا على الشَّرط فلا يقال: هل إذا زرتُك تكرمني

٥ ـ ولا على حرف العطف[٢] فلا يقال: هل فيتقدم أو هل ثُمّ يتقدم

٦ ـ ولا على اسم بعده فعل فلا يقال: هل بشراً منَّا واحداً نتَّبعُه

بخلاف الهمزة فإنها تدخل على جميع ما ذكر.

واعلم: أنَّ الهمزة وهل يُسأل بهما عمَّا بعدهما، لأنهما حرفان ليس لهما معنى مُستقِلٌّ.

الرابع: بقيّة أدوات الاستفهام موضوعة (للتصوّر) فقط، فَيُسْأل بها عن معناها وهيَ: مَا، وَمَتى، وأيَّان، وكيفَ، وأينَ، وأنّى، وكَمْ، وأيّ.

ولهذا يكون الجوابُ معها بتعيين المسؤُول عنه.

ما ومن

ما: موضوعةٌ للاستفهام عن أفراد غير العُقلاء، ويُطْلَبُ بها:

أ ـ إيضاحُ الاسم: نحو ما الْعَسْجَدُ؟ فيقال في الجواب: إنه ذهبٌ.

ب ـ أو يُطلبُ بها بيان حَقيقة المُسمَّى: نحو: ما الشمس؟ فيجاب بأنه كوكبٌ نهاريّ.

ج ـ أو يُطلبُ بها بيان الصفة نحو: ما خليلٌ؟ ـ وجوابه طويل أو قصير: مثلا.

---

١. أي لأن هل في الأصل بمعنى قد، وهي لا تدخل على المنفي، فلا يقال قد لا يقوم خليل، فحينئذٍ هي مخصوصة بدخولها على النسب المثبته، سواءٌ أكانت جملاً فعلية أو اسمية. واعلم أنّ عدم دخولها على المنفي لا ينافي أنها لطلب التصديق مطلقاً سواء في الإيجابي والسلبي.

٢. أي لا تقع هل قبل الحروف العاطف بل تقع بعده دائماً.

وتقع هل البسيطةُ في الترتيب العقلي[١] بين ما التي لشرح الاسم، وما التي للحقيقة. فمن يَجهلُ معنى البشر مثلا يَسْأل أولاً بما عن شرحه: فيجاب بإنسان، ثم بهل البسيطة عن وجوده، فيجاب بنعم. ثم بما عن حقيقته، فيجاب بحيوان ناطق.

وَمَن موضوعة للاستفهام، ويطلبُ بها تعيين أفراد العقلاء، نحو: مَنْ فتحَ مصرَ؟ ونحو: من شيَّدَ الهرم الأكبر؟ ونحو: مَنْ شَيَّدَ القنَاطر الخيريَّة؟

متى وأيان

متى: موضوعة للاستفهام، ويطلبِ بها تعيينُ الزَّمان، سواء أكان ماضياً أو مستقبلاً، نحو متى تَولى الامامة عليّ عليه السلام؟ ومتى نَحظَى بالحُرِّية.

وأيَّان: موضوعة للاستفهام، ويطلبُ بها تَعيينَ الزَّمان المستقبل خاصة وتكون في موضع التهويل والتفخيم دون غيره، كقوله تعالى: ﴿يسأل أيانَ يَوْمُ القِيامَة﴾[٢] [القيامة: ٦].

كيف وأين وأنى وكم وأي

كيف: موضوعة للاستفهام، ويطلب بها تعيينُ الحال: كقوله تعالى: ﴿فكَيْفَ إذَا جئنَا مِنْ كلِّ أُمةٍ بشهيدٍ﴾ [النساء: ٤١]. وكقوله: [الطويل]

وكيف أخَافُ الفَقرَ أو أُحرَمُ الغنَى ورأيُ أميرِ المُؤمنينَ جَميل

وأين: موضوعة للاستفهام، ويطلبُ بها تعيين المكان نحو: أينَ شُرَكَاؤُكم.

وأنَّى: موضوعة للاستفهام ـ وتأتي لمعان كثيرة.

١ ـ فتكون بمعنى كيف، كقوله تعالى: ﴿أنى يحيي هذهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩].

٢ ـ وتكون بمعنى مِنْ أين، كقوله تعالى: ﴿يا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هٰذا﴾ [آل عمران: ٣٧].

---

١. الترتيب العقلي: هو أن يكون المتأخر متوقفاً على المتقدم، من غير أن يكون المتقدم علة له وذلك كتقدم المفرد على المركب.

٢. أي فقد استعملت أيان مع يوم القيامة للتهويل والتفخيم بشأنه، وجواب هذا السؤال ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾.

٣ ـ وتكون بمعنى متى، كقولك: زُرني أنى شئتَ.

وكم: موضوعة للاستفهام: ويُطلب بها تعيين عَددٍ مُبهمٍ، كقوله تعالى: ﴿كم لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩].

وأيّ: موضوعة للاستفهام، ويُطلب بها تمييزُ أحد المتشاركين في أمر يَعُمُّهما، كقوله تعالى: ﴿أيّ الفَرِيقين خَيْرٌ مَقاماً﴾ [مريم: ٧٣] ويُسأل بها عن الزمان والمكان، والحال، والعدد، والعاقل؛ وغيره على حسب ما تُضاف إليه أي. ولذا تأخذ أي معناها ممّا تُضاف إليه. فإن أضيفت إلى ما تفيده «ما» أخذت حكمها. وإن أضيفت إلى ما تفيده «متى، أو كيف أو غيرهما من الأدوات السابقة» أخذت معناها.

وقد تخرُج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي وهو طلب العلم بمجهول، فيستفهم بها عن الشيء مع العلم به لأغراض أخرى: تُفهم من سِياق الكلام ودلالته ـ ومن أهمّ ذلك.

١ ـ الأمر، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُون﴾ [المائدة: ٩١] أي: انتهوا.

٢ ـ والنهي، كقوله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فاللهُ أحق أنْ تَخْشَوْهُ﴾[1] [التوبة: ١٣].

٣ ـ والتسوية، كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أم لَمْ تُنْذِرهم لاَ يُؤْمِنُون﴾ [البقرة: ٦].

٤ ـ والنفي، كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزاءُ الإحْسَان إلا الإحْسَان﴾[2] [الرحمن: ٦٠].

٥ ـ والإنكار[3]، كقوله تعالى: ﴿أغيرَ اللهِ تَدْعُون﴾ [الأنعام: ٤٠].

---

١. أي: لا تخشوهم فالله أحق أن تخشوه.

٢. أي ما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

٣. اعلم أن الإنكار إذا وقع في الاثبات يجعله نفياً، كقوله تعالى: ﴿أفي الله شك﴾؟ أي لا شك فيه. وإذا وقع في النفي يجعله إثباتاً، نحو قوله تعالى: ﴿ألم يجدك يتيماً﴾ أي: قد وجدناك. وبيان ذلك: أن إنكار الاثبات والنفي نفي لهما. ونفي الإثبات نفي، ونفي النفي إثبات. ثم الإنكار قد يكون للتكذيب، نحو أيحسب الإنسان أن يترك سدى.

وقد يكون للتوبيخ واللوم على ما وقع. نحو: أتعبدون ما تنحتون. وهذه الآية من كلام إبراهيم عليه السلام لقومه، حينما رآهم يعبدون الأصنام من الحجارة.

٦ ـ والتشويق، كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُم عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠].

٧ ـ والاستئناس، كقوله تعالى: ﴿وما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسَى﴾ [طه: ١٧].

٨ ـ والتقرير[1]، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

٩ ـ والتهويل، كقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ما الحاقّة وما أدراك ما الحاقة﴾ [الحاقة: ٣].

١٠ ـ والاستبعاد، كقوله تعالى: ﴿أنى لَهم الذكرَى وقَدْ جاءهُمْ رسولٌ مبين﴾ [الدخان: ١٣].

ونحو قول الشاعر: [الكامل]

مَـــن لي بـــإنسان إذا أغـــضبته وجَـــهِلت كـــان الحـــلمُ رَدَّ جـــوابـــه

١١ ـ والتعظيم، كقوله تعالى: ﴿مَن ذا الذي يَشفعُ عندهُ إلا بإذنِه﴾ [البقرة: ٢٥٥].

١٢ ـ والتحقير، نحو: أهذا الذي مدحتَه كثيراً؟؟

١٣ ـ والتعجب، كقوله تعالى: ﴿ما لِهَذَا الرَّسول يأكل الطعامَ ويمشي في الأسْوَاق﴾ [الفرقان: ٧]

وتقول الشاعر: [الطويل]

خَـــليليّ فـــيما عشـــتما هـــل رأيـــتما قـــتيلاً بكـــى مـــن حبّ قـــاتله قـــبلي

١٤ ـ والتهكم، نحو: أعقلك يُسوِّغُ لك أن تفعل كذا.

١٥ ـ والوعيد، نحو: ﴿ألم ترَ كيفَ فعل ربّك بعادٍ﴾ [الفجر: ٦].

١٦ ـ والاستبطاء، كقوله: ﴿مَتَى نَصْرُ اللهِ﴾ [البقرة: ٢١٤] ونحو: كم دعوتك.

١٧ ـ والتنبيه على الخطأ، كقوله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الذي هُوَ أَدْنَى بالذي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١].

١٨ ـ والتنبيه على الباطل، كقوله تعالى: ﴿أفأنْتَ تسمع الصُّمَّ أوْ تَهْدِي العُمْي﴾ [الزخرف: ١٤٠].

١٩ ـ والتحسُّرُ: كقول شمس الدين الكوفي: [الكامل]

مـــا للـــمنازل أصـــبحتْ لا أهـــلُها أهـــلي، ولا جـــيرانُهـــا جـــيراني

---

١ . ويكون غالباً بالهمزة يليها المقرر به، كقولك (أفعلت هذا)، إذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه، وكقولك أأنت فعلت هذا، أذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل، وكقولك أخليلاً ضربت، إذا أردت أن تقرره بأن مضروبه خليل. ويكون التقرير أحياناً بغير الهمزة نحو: لمن هذا الكتاب، وكم لي عليك؟

٢٠ ـ والتنبيه على ضلال الطريق، كقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦]

٢١ ـ والتكثير، كقول أبي العَلاَء المعرِّي: [الخفيف]

صاح، هذي قبورُنا تملأ الرّحبَ فأينَ القُبُورُ من عَهد عَادِ؟؟

واعلم أن كل ما وضع من الأخبار في صورة الاستفهام في الأمثلة السابقة والآتية تجدّدت له مزية بلاغية، زادت المعنى روعة وجمالاً.

إذا عرفت هذا، فاعرف أيضاً أنه يستعمل كل من: الأمر، والنهي، والاستفهام في أغراض أخرى، يُرجع في إدراكها إلى الذوق الأدبي، ولا يكون استعمالها في غير ما وضعت له؛ إلا لطريقة أدبية، تجعل لهذا الاستعمال مزية، يترقى بها الكلام في درجات البلاغة.

تمرين

ما هي المعاني التي استعمل فيها الاستفهام في الأمثلة الآتية:

١ ـ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنورُ﴾ [الرعد: ١٦].

٢ ـ ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ﴾ [فاطر: ٣].

٣ ـ ﴿أَفبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ، وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢].

٤ ـ ﴿أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ، وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ، وَهُمْ بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ. أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣].

٥ ـ ﴿أَفَتَطْمَعونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ، ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]

٦ ـ ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

٧ ـ ﴿إِنَّ الذِين كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيهِم أَأَنذَرتَهم أَمْ لم تُنذِرْهُمْ لا يُؤمنونَ﴾ [البقرة: ٦].

٨ ـ ﴿أَفَأَصْفَاكُم رَبكمْ بِالْبَنِينَ، واتَّخذَ مِنَ الملائكةِ إِنَاثاً إِنكم لَتقولونَ قولاً عَظِيماً﴾ [الإسراء: ٤٠].

٩ ـ ﴿ومَاذا عَليهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ، وكانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيماً﴾ [النساء: ٣٩].

١٠ ـ ﴿مَنْ ذَا الذِي يقرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسناً فَيُضَاعِفَهُ له ولهُ أجرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١].

١١ ـ ﴿أَفَمَنْ يَمشي مُكِبّاً على وجهِهِ أَهْدَى، أَمْ مَنْ يَمشِي سَوِيّاً عَلَى صراطٍ مستقيم﴾ [الملك: ٢٢].

١٢ ـ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فآوَى، وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى، ووجدَكَ عَائِلاً فأغْنَى﴾ [الضحى: ٦ ـ ٨].

تمرين

وضّح الأغراض التي خرج إليها: الأمر، والنهي، والاستفهام في الأمثلة الآتية:

١ ـ قال أبوالطيب يعاتب رجلاً ظنه أنه هجاه، وكان غيره هوالذي هجاه: [الوافر]

أتنكر يابن إسحاق إخائي ... وتحسَبُ ماءَ غيري من إنائي
أأنطقُ فيك هُجْراً بَعْدَ عِلْمي ... بأنك خَيرُ مَن تحتَ السماء
وهبني قلت هذا الصبحُ ليلٌ ... أيَعْمَى العالَمُونَ عن الضِّياء

٢ ـ وقال يخاطب سيف الدولة: [الطويل]

أجزني إذا أُنشدتَ شعراً فإنما ... بشعري أتاك المادحون مُرَدَّدا
ودَعْ كلَّ صوتٍ غير صوتي فإنني ... أنا الصائح المحكيُّ والآخَرُ الصَّدَى

٣ ـ وقال: [الخفيف]

عشْ عزيزاً أوْ مُتْ وأنت كريم ... بين طَعْنِ القَنا وخفق البُنُودِ
واطلب العزَّ في لظى وذَرِ الذ ... ل ولو كان في جِنان الخلود

٤ ـ وقال: [الطويل]

لِمَنْ تَطلُبُ الدنيا إذا لم تُرِدْ بها ... سرورَ مُحِبٍّ أوْ إساءة مُجْرم

٥ ـ وقال أبوفراس: [الطويل]

بمن يثقُ الإنسانُ فيما يَنوبُهُ ... وَمِنْ أينَ للحُر الكريم صِحاب
وقد صار هذا الناسُ إلا أقَلَّهُم ... ذئاباً على أجسادهنَّ ثياب

٦ ـ وقال أبوالعتاهية في عبدالله بن مَعن بن زائدة: [الهزج]

فَصُغْ ما كنتَ حَليتَ ... به سيفك خَلخالا
وما تَصْنَعُ بالسيف ... إذا لم تكُ قتّالا

٧ ـ ولابن رشيق: [الخفيف]

أيها الليل طُلْ بغير جُناحِ ... ليس للعين راحةٌ في الصَّباح
كيف لا أُبغضُ الصباح وفيه ... بَانَ عنّي نورُ الوجوه الملاحِ

٨ ـ وقال كثير: [الطويل]

أسيئي بنا أو أَحسني لا مَلُومَةً ... لَدَينا وَلا مَقْلِيَّةً إن تَقَلَّتِ
فلا يَبْعَدَنْ وَصلٌ لعزّة أصبحت ... بعاقبة أشبابُهُ قد تَولّتِ

٩ ـ وقال البحتري: [البسيط]

إسْلمْ أبا الصَّقْرِ للمعروف تصنَعُهُ ... والمجد تبنيه في ذُهْل بْنِ شَيْبانِ

١٠ ـ وقال الفرزدق: [الطويل]

أترجو رَبيعٌ أن يجيء صِغارُهَا ... بخيرٍ وقد أعيا ربيعاً كبارُها

١١ ـ وقال جرير: [الكامل]

قل للجبان إذا تأخر سَرْجُهُ ... هل أنت من شَرَك المنية ناجي

١٢ ـ وقال المعرّي: [الكامل]

إفهَم عن الأيام فهي نَواطقٌ ... ما زال يَضرِبُ صَرْفُها الأمثالا
لم يمضِ في دنياكَ أمر مُعجبٌ ... إلاّ أَرَتْكَ لِما مضى تمثالا

١٣ ـ وقال: [الخفيف]

ما افتخارُ الفتى بثوب جديد ... وهو من تحته بِعرْضٍ لِبيس
والفتى ليس بالجُبَيْن وبالتِّبر ... ولكن بِعِزَّةٍ في النفوس

المبحث الرابع
في التَّمنِّي

التمني: هو طَلَبُ الشَّيء المحبوب الذي لا يُرْجى، ولا يُتَوَقَّع حصولُه.

١ ـ إمَّا لكونه مستحيلاً كقوله: [الوافر]

ألا ليتَ الشَّبابَ يعودُ يوماً فأخبره بما فَعلَ المَشيبُ

٢ ـ وإما لكونه ممكناً غير مطموعٍ في نيله، كقوله تعالى: ﴿يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قارُون﴾ [القصص: ٧٩].

وإذا كان الأمرُ المحبوبُ مِمَّا يُرْجَى حصولُه كان طلبه تَرجِّياً. ويُعبَّر فيه بعسى، ولعلَّ كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أمْرا﴾ [الطلاق: ١] و ﴿فَعَسَى اللهُ أنْ يَأْتِيَ بالْفَتْحِ﴾ [المائدة: ٥٢].

وقد تُستعملُ في الترجّي لَيْت لغرض بَلاَغِيٍّ[١].

وللتَّمنِّي أربع أدوات، واحدةٌ أَصليةٌ وهي: لَيْتَ

وثلاثٌ غيرُ أصليَّةٍ نائبةٌ عنها، ويُتَمَنَّى بها لغرض بلاغي: وهي:

١ ـ هل[٢] كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِن شُفعاء فَيَشْفَعُوا لنا﴾[٣] [الأعراف: ٥٣].

٢ ـ ولو[٤]، كقوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَن لنا كَرَّةً فَنكون مِن المؤمنين﴾ [الشعراء: ١٠٢].

---

١. الغرض هو إبراز المرجو في صورة المستحيل مبالغة في بعد نيله،

فيا ليت ما بيني وبين أحبتي من البعد ما بيني وبين المصائب

وقد تستعمل أيضاً للتندم نحو ﴿يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا﴾.

٢. اعلم أن سبب العدول عن (ليت) إلى «هل» إبراز المتمنى لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لا يجزم بانتفائه. وهو المستفهم عنه.

٣. لما كان عدم الشفعاء معلوماً لهم امتنع حقيقة الاستفهام. وتولد منه المتمني المناسب للمقام.

٤. وسبب العدول إلى «لو» الدلالة على عزة متمناه وندرته، حيث أبرزه في صورة الذي لا يوجد، لأن «لو» تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط.

٣ ـ ولَعلَّ[1]، كقوله: [الطويل]

أسربَ القَطا هلْ مَنْ يُعيرُ جناحهُ؟ لعلّي إلى مَنْ قَد هَوِيتُ أطيرُ

ولأجل استعمال هذه الأدوات في التَّمنِّي يُنصبُ المضارع الواقع في جوابها.

تمرين

بيِّن المعاني المُستفادةَ من صيغ التمني فيما يأتي:

قال تعالى: ﴿فَهَل إلى خُروجٍ من سَبيل﴾ [غافر: ١١].

لو يأتينا فَيُحَدِّثُنا، لعلي أَحجُّ فأزورَكَ، يا ليتني اتَّخَذتُ مع الرسولِ سبيلا، هل إلى مردٍ من سبيل، يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون، لعلي أبلغُ الأسباب، لو تتلو الآيات فتشقَّ سمعي.

كلّ من في الكون يشكُو دَهرَهُ ليتَ شعري هذه الدنيا لِمَن؟؟

[الرمل]

فليت اللَّيلَ فيه كان شهراً ومرَّ نهارُه مَرّ السَّحاب

[الوافر]

فليْتَ هَوى الأحِبَّة كان عَدْلاً فحمَّلَ كلَّ قَلبٍ مَا أطَاقا

[الوافر]

عَلَّ اللَّيالي التي أضنت بفُرْقتنا جسمي سَتَجْمَعُني يوماً وتَجمعُهُ

[البسيط]

---

١. وذلك لبعد المرجو، فكأنه مما لا يرجى حصوله، واعلم أن «هلا وألا ولوما، ولولا»، مأخوذة من «هل ولو» بزيادة (ما) و«لا) عليهما، وأصل «ألا، هلا» قلبت الهاء همزة ليتعين معنى التمني، ويزول احتمال الاستفهام والشرط، فيتولد من التمني معنى التنديم في الماضي نحو: هلا قمت، ومعنى التحضيض في المستقبل نحو هلا تقف. ولا يتمنى: بهل، ولو، ولعل: إلا في المقطوع بعدم وقوعه لئلا تعمل على معانيها الأصلية.

المبحث الخامس
في النِّدَاء

النِّدَاء: هو طلبُ المتكلم إقبال المخاطَبِ عليه بحرف نائب مناب أُنادِي المنقول من الخبر إلى الإنشاء وأدواته ثمان:

الهمزة، وأيْ، وَيا، وآيْ، وأيَا، وهيَا، ووا[1].

وهي في كيفيَّة الاستعمال نوعان.

١ ـ الهمزة وأي: لنداء القريب.

٢ ـ وباقي الأدوات لنداء البعيد.

وقد يُنَزَّلُ البعيدُ منزلة القريب، فينادَى بالهمزة وأي، إشارةً إلى أنه لشدَّة استحضاره في ذهن المتكلّم صار كالحاضر معه. لا يغيبُ عن القلب، وكأنه ماثِلٌ أمام العين. كقول الشاعر: [الطويل]

أَسُكـــانَ نَـعمان الأراكِ تـيَقَّنوا بأنكُـم في رَبـع قـلبي سُكّـانُ

وقد يُنَزَّل القريب مَنْزلة البعيد، فينادَى بغير الهمزة وأي.

أ ـ إشارةً إلى عُلوِّ مرتبته. فيُجعلُ بُعدُ المنزلة كأنه بُعْد في المكان كقوله «أيا مـولاي» وأنتَ معه، للدلالةِ على أن المنادَى عظيمُ القدر، رفيع الشأن.

ب ـ أو إشارة إلى انحطاط مَنْزلتهِ ودرجته، كقولك «أيا هذا» لِمَن هو معك.

ج ـ أو إشارة إلى أن السامعَ لغفلته وشُرود ذهنه كأنه غيرُ حاضر كقولك للساهي: أيا فلانُ، وكقول البارودي: [البسيط]

---

١. اعلم أن لفظ الجلالة يختص نداؤه، (بيا).

يا أيُّها السَّادرُ المزْوَرُّ من صَلفٍ مَهْلاً، فإنك بالأيام مُنْخَدعُ[1]

وقد تخرج ألفاظ النداء عن معناها الأصلي إلى معان أخرى، تُفهم من السِّياق بمعونة القرائن ومن أهمِّ ذلك:

١ ـ **الأغراء**، نحو قولك لمن أقبل يتظلم: يا مظلومُ.

٢ ـ **والاستغاثة**، نحوَ يا لله للمُؤْمنين.

٣ ـ **والنُّدبة**، نحو قول الشاعر: [الطويل]

فوا عجبا كم يدَّعي الفضْلَ ناقصٌ ووَا أسفا كم يُظهر النَّقصَ فاضلُ

٤ ـ **والتّعجب**، كقول الشاعر: [الرجز]

يا لكِ من قُبَّرَة بِمَعْمَرِ خلاَ لكِ الجوُّ فبِيضِي واصفري

٥ ـ **والزجر**، كقول الشاعر: [الخفيف]

أفؤادي مَتَى المتاب أ، لمَّا تَصْحُ والشَّيبُ فَوْقَ رَأسي ألَمَّا

٦ ـ **والتحسُّر والتَّوَجُّع**، كقوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾ [النبأ: ٤٠].

وكقول الشاعر: [الطويل]

أيَا قَبرَ مَعْن كيف وَارَيْتَ جُودَهُ وقد كانَ منهُ البرُّ والبحر مُترعَا

٧ ـ **والتذكر**، كقوله: [الطويل]

أيا منزِلَيْ سَلمى سلامٌ عليكما هل الأزمنُ اللاَّتي مَضَيْنَ رواجع

٨ ـ **والتَّحَيُّر والتَّضَجُّر**، نحو قول الشاعر: [البسيط]

أيَا مَنَازِلَ سَلمى أينَ سَلماكِ مِنْ أجل هذا بكيناهَا بكيناكِ

ويكثر هذا في نداء الأطلال والمطايا، ونحوها.

---

١ . السّادر الذاهب عن الشيء ترفعاً عنه، والذي لا يبالي ولا يهتم بما صنع. المزور: المنحرف. والصلف: الكبر.

والاختصاص[١]: هو ذكر اسم ظاهر بعد ضمير لأجل بيانه، نحو قوله تعالى: ﴿رَحْمَةُ الله وَبَرَكاتُه عَلَيْكُمْ أهلَ البيتِ إنَّهُ حَمِيد مَجِيد﴾ [هود: ٧٣] ونحو: «نحن العلماءَ ورثةُ الأنبياء».

أ ـ إمَّا للتَّفاخُر، نحو: أنا أُكْرِمُ الضيفَ أيُّها الرَّجُلُ.

ب ـ وإمَّا للتَّوَاضُع، نحو: أنا الفقيرُ المسكينُ أيُّها الرَّجلُ. ونحو: اللّهُم اغفر لنا أيَّتُها العصابة[٢].

تمرين

بيِّن المعاني الحقيقيَّة المستفادة من صِيغ النِّداء، والمعاني المجازية المستفادة من القرائن:

صاحِ شمِّر ولا تزَلْ ذاكِرَ المو ... تِ فنسيانُهُ ضَلالٌ مُبين

[الخفيف]

يا لقَوْمي ويا لأمثال قَوْمي ... لأناس عُتُوُّهمْ في ازْدِيَادِ

[الخفيف]

أيها القلبُ قد قَضَيت مَرَاماً ... فإلامَ الولوع بالشَّهَوَاتِ

[الخفيف]

أيا شجر الخابور مَالك مُورقاً ... كأنكَ لم تجزَع على ابن طَريفِ

[الطويل]

---

١. بيان ذلك أن النداء تخصيص المنادى بطلب إقباله عليك، فجرد عن طلب الاقبال، واستعمل في تخصيص مدلوله من بين أمثاله بما نسب إليه منها.

٢. أي اللهم اغفر لنا مخصوصين من بين العصائب، فصورته صورة النداء وليس به، إذ لم يرد به إلا ما دل عليه ضمير المتكلم السابق. ولذا لا يجوز إظهار حرف النداء فيه.

يـــا أيهـــا الظـــالم في فـــعله الظـــلم مَـــرْدُودٌ عـــلى مـن ظـلَم

[السريع]

يَـا نـاقُ سِـيري عَـنقاً فسيحا إلى سُـــــليمان فـــنستريحا

[الرجز]

حَـــجبوه عـــن الرّيـــاح لأني قـــلتُ يـــا ريحُ بـــلّغيه السّـــلاَمَا

[الخفيف]

يـــا ليلة لستُ أنسى طيبها أبداً كأنَّ كـــلّ سرور حـــاضرٌ فـــيها

[البسيط]

يـــا ليـــلة كـــالمسك تَخْـــبرُها وكـــذاك في التشـــبيه مـــنظرها

أحـــييتها والبـــدرُ يخـــدمني والشَّـــمسَ أنهـــاها وآمـــرُها

[الكامل]

يـــا مـــن تـــذَكّـــرُني شمائـــله ريح الشَّمال تـــنفَّسَتْ سَـــحَرَا

[الكامل]

وإذا امـــتطى قـــلمٌ أنـــاملَه ســـحر العـــقول بـــه ومـــا سـحرا

يـا قـلب ويحك مـا سمعت لنـاصحٍ لمّـــا أرْتمـــيتَ ولا اتـــقيت مـــلاما

[الكامل]

يـــا أعـدل النـاس إلا في معاملتي فيك الخِصَام وأنت الخـصم والحكـم

[البسيط]

يـــا رحمـــة الله حـــلّي في مـــنازلنا وجَاوِرِينا فدَتْكِ النـفس مـن جَـار

[البسيط]

تنبيهات

الأول: يُوضع الخبرُ موضعَ الإنشاء لأغراضٍ كثيرة، أهمها:

١ ـ **التفاؤل:** نحو «هداك اللهُ لصالح الأعمال.» كأنَّ الهداية حصلت بالفعل فأخبرَ عنها، ونحو: وفقك الله.

٢ ـ **والاحتراز عن صورة الأمر** تأدّباً واحتراماً، نحو رحم الله فلاناً ونحو: يَنظر مولايَ في أمري ويقضي حاجتي.

٣ ـ **والتنبيه على تيسير المطلوب لقوة الأسباب.** كقول الأمير لجنده: «تأخذونَ بنوَاصيهم وتنزلونهم من صيَاصيهم».

٤ ـ **والمبالغة في الطلب** للتّنبيه على سرعة الامتِثَال. نحو: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤]. لم يقل لا تَسفكوا، قصداً للمبُالغة في النهي، حتى كَأنهم نُهوا فامتثلوا ثم أُخبر عنهم بالامتثال.

٥ ـ **إظهار الرَّغبة:** نحو قولك في غائب: رَزَقَنِي اللهُ لِقاءَهُ.

الثاني: يُوضع الإنشاءُ موضع الخبر لأغراض كثيرة.

أ ـ منها: **إظهار العِناية بالشيء:** والاهتمامِ بشأنه كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُم عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩].

لم يقل: وإقامةِ وجوهكم، إشعاراً بالعناية بأمر الصلاةِ لعظيم خَطَرِها، وجَليل قَدرها في الدِّين.

ب ـ ومنها: **التَّحاشي والاحتراز عن مُساواة اللاحق بالسابق.** كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ، واشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ [هود: ٥٤، ٥٥] لم يقل: وأُشهدكم تحَاشياً وفراراً مِنْ مُساواة شهادتهم بشهادة الله تعالى.

الثالث: الإنشاء كالخبر في كثيرٍ ممّا ذُكر فيه، ومما سيُذكر في الأبواب التالية من الذكر والحذف وغيرهما.

الرابع: يستعملُ كلّ من الأمر والنهي والاستفهام في أغراض أخر يُرْجع في إدراكها إلى الذَّوق الأدبي، ولا يكون استعمالها في غير ما وُضِعَت له إلا لطريقة أدبية تجعل لهذا الاستعمال مزيّة يترقى بها الكلام في درجات البلاغة، كما سبق القول.

تطبيق

بيِّن المعاني المستفادة من النِّداء، وسبب استعمال أداةٍ دون غيرها فيما يلي:

١ ـ أيا مَنَازِلَ سَلمى أَيْنَ سَلماكِ ... مِنْ أجْلِ هَذا بكيناهَا بكيناكِ[١]

[البسيط]

٢ ـ صَادحَ الشّرق قد سكَتَّ طَويلا ... وعزيزٌ علينا ألاّ تقولا[٢]

[الخفيف]

٣ ـ أيا قبر مَعْنٍ كيف واريتَ جُوده ... وقد كان منه البَرُّ والبحر مُترعا[٣]

[الطويل]

٤ ـ يا دُرَّةً نُزِعَتْ من تاج والدها ... فأصبحت حِلْيَةً في تاجِ رِضوانِ

[البسيط]

٥ ـ فيا لائمي دعني أُغالي بقيمتي ... ففيمةُ كلّ النَّاسِ ما يحسنونه

[الطويل]

---

١. يريد لعدم وجود سلمى بكيناها وبكينا المنازل، فواو العطف محذوفة.

٢. صدح الرجل: رفع صوته بالغناء.

٣. المترع أي المملوء!

تطبيق آخر

وضح الاعتبار الدّاعي لوضع كلّ من الخبر والإنشاء موضع الآخر:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ [الإسراء: ٢٣].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ [آل عمران: ٩٧].

٣ ـ أتاني أبيتَ اللّعنَ أنك لُمْتَني وتِلك التي أهتمُّ منها وأنْصَبُ

[الطويل]

٤ ـ إذاً فعَاقِبني يا ربِّ مُعاقبة قرَّت بها عينُ مَنْ يأتيكَ بالحسد *

[البسيط]

تدريب

بيِّن فيما يلي الغرضَ من وضع الإنشاء موضعَ الخبر وبالعكس

١ ـ كلُّ خليلٍ كنتُ خاللتُه لا تركَ اللهُ له واضحَه

[السريع]

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا﴾ [هود: ٤١].

---

*

الرقم	نوع الكلام	البيان	الاعتبار
١	الانشاء	إذا التقدير أحسنوا بالوالدين والمقام للأخبار	الاهتمام وإظهار العناية
٢	الخبر	إذ المعنى ليأمن من دخله	إظهار الحرص على وقوعه التفاؤل بالدعاء
٣	الخبر	المقام للإنشاء إذا الغرض الدعاء له	التفاؤل بالدعاء
٤	الخبر	المقام للطلب	لإظهار الحرص على وقوعه

١ . أبيت اللعن. كانت تحية الملوك، ومعناها أبيت أن تفعل شيئاً تلعن به، اهتم أي أصير ذاهم. أنصب أي أتعب.

٣ ـ تقول لصديقك: رزقني اللهُ لِقاءك.

٤ ـ ولائمة لامتك يا فضلُ في النَّدى فقلتُ لها هل أثَّرَ اللَّومُ في البحر
أَتَنْهَيْنَ فضلاً عن عطاياه للورى ومَن ذا الذي يَنْهَى الغَمام عن القَطر

[الطويل]

تمرين

عيِّن الجُمل الخبرية والإنشائية فيما يأتي:

١ ـ ﴿آمنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ من رَبِّهِ، والمؤمِنُون كلٌّ آمنَ باللهِ ومَلائِكَتِه وكتبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

٢ ـ ﴿يمْحقُ اللهُ الرِّبَا ويُرْبِي الصَّدَقَاتِ، واللهُ لا يُحبُّ كل كفار أثيم﴾ [البقرة: ٢٧٦].

٣ ـ ﴿يَا أَيها الذِينَ آمَنُوا، أَطيعُوا الله وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولي الأمْرِ مِنْكمْ﴾ [النساء: ٥٩].

قال رسول الله ﷺ: اسْتَعِينُوا عَلَى قَضاء حَوائِجكمْ بالكتْمان فَإنْ كلَّ ذي نعمةٍ مَحْسُودٌ.

٥ ـ وقال أبو العلاء المعري: [البسيط]

لا تَحْلفَنَّ على صدْق ولا كذب فما يُفيدكَ إلا المَأْثَمَ الحَلِفُ

٦ ـ وقال: [الكامل]

لا تَفْرَحَنَّ بما بلغتَ من العلا وإذا سَبَقْتَ فعن قليل تُسْبَق
ولْيَحْذر الدَّعْوَى اللبيب فإنها لِلفضل مَهْلَكَة وخَطْبٌ مُوبقُ

٧ ـ وقال أبو العتاهية: [الوافر]

بكيتُ على الشباب بدَمْع عَيْني فلم يُغن البكاء ولا النَّحِيبُ
ألا ليتَ الشبابَ يَعودُ يَوْماً فأخْبرهُ بما فعلَ المَشيب

• تطبيق عام على الباب الثاني

أنـــا الذائـــد الحـــامي الذمـــار وإنمـــا يدافـــع عـــن أحســـابهم أنـــا أو مـــثلي

[الطويل]

الجملة الأولى: خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، والمراد بها الفخر وإظهار الشجاعة، المسند إليه أنا، والمسند الذائد، والجملة الثانية خبرية فعلية من الضرب الثالث لما فيها من التوكيد بإنما، والمراد بها الفخر وإظهار الشجاعة أيضاً. المسند يدافع، والمسند إليه أنا.

﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ [فصلت: ٤٦] جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد بها التوبيخ، المسند إليه رب، والمسند ظلام.

أنت خرجت عن حدك: جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد بها التوبيخ، المسند إليه أنت، والمسند جملة خرجت.

﴿ربِّ إن قومي كذّبون﴾ : [الشعراء: ١١٧] جملة رب: إنشائية ندائية، والمراد بها الدعاء. المسند والمسند اليه محذوفان نابت عنهما ياء النداء المحذوفة، وجملة: إن قومي كذبون، خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد إظهار التحسر، المسند إليه قومي، والمسند جملة كذبون.

زارنا الغيث: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، والمراد بها إظهار الفرح، المسند إليه: الغيث والمسند: زار، وأتى بها فعلية لإفادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار.

ذهب عنا الحزن: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، والمراد بها إظهار الشماتة بمدبر، المسند ذهب، والمسند إليه الحزن، وأتى بها فعلية لإفادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار.

قابلت الأمير: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، والمراد بها إظهار السرور، المسند قابل، والمسند اليه التاء.

أنا ممتثل لأمرك: جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي والمراد بها إظهار التواضع، المسند إليه أنا، والمسند ممتثل، وأتى بها اسمية لمجرد ثبوت المسند للمسند إليه.

﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً﴾ : [يونس: ٤٤] جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد بها التوبيخ للناس، المسند إليه لفظ الجلالة، والمسند جملة لا يظلم. وأتى: بالمسند جملة لتقوية الحكم، بتكرار الإسناد، والجملة الاسمية مفيدة للاستمرار الآن بقرينة الإسناد إلى الله تعالى.

ما جاءنا من أحد: جملة خبرية فعلية من الضرب الثالث، والمراد بها فائدة الخبر المسند جاء، والمسند إليه أحد، وأتى بها فعلية لما تقدم.

أنت نجحت: جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الإسناد، والمراد بها لازم الفائدة، المسند إليه أنت، والمسند جملة نجحت.

حضر الأمير: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، والمراد بها أصل الفائدة، المسند إليه الأمير.

سيحرم المقصر: خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، والمراد بها الذم. المسند سيرحم، والمسند إليه المقصر، وهي تفيد الاستمرار التجددي بقرينة الذم.

ما برح المقصر نادماً: جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، والمراد بها الذم، المسند إليه المقصر، والمسند نادماً، وهي مفيدة للاستمرار بقرينة مابرح.

كلما جئتني أكرمتك: جملة أكرمتك خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. وهي الجملة، وماقبلها قيد لها، لأن الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها، المسند أكرم، والمسند إليه التاء، وهي مفيدة للاستمرار التجددي: بقرينة كلما.

ما مجتهد صاحباك: جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، ولا يقال اسمية لأن الاسم

حل محل الفعل، ولذلك رفع مابعده على أنه فاعله، والمراد بها الاستمرار بقرينة الذم، المسند مجتهد، والمسند إليه صاحباك، وقس عليها. نحو ما مبغوض أنت، وما حسن فعل أعدائك، وأقائم أخواك، وهل منصف أصحابك.

كلما ذاكر المجتهد استفاد: جملة استفاد: فعلية خبرية من الضرب الابتدائي المسند الشمس طالعة: تقولها للعائر، جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي.

المسند إليه الشمس، والمسند طالعة، والمراد بها التوبيخ.

الكريم محبوب: جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، المسند إليه الكريم والمسند محبوب، والمراد بها الاستمرار بقرينة المدح.

من يسافر؟ جملة إنشائية استفهامية، المسند إليه من، والمسند جملة يسافر التفتوا، جملة إنشائية أمرية، المسند التفت، والمسند إليه الواو.

لا تتركوا المذاكرة: جملة إنشائية نهيية، المسند تترك، والمسند إليه الواو.

ليت البخيل يجود: جملة إنشائية تمنية اسمية المسند إليه البخيل، والمسند جملة يجود.

هل فهمتم؟ جملة إنشائية استفهامية، المسند فهم، والمسند إليه التاء.

يا تلاميذ: جملة إنشائية ندائية، المسند والمسند إليه محذوفان تقديرهما أدعو نابت عنهما يا.

﴿قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء﴾ [الأنعام: ١٦٤] الهمزة الداخلة على لفظ أغير ليست للاستفهام الحقيقي، بل هي للإنكار الذي لم يقع على أنه يبغي رباً، ولكنه وقع على أن يكون المبغي رباً غير الله.

الباب الثالث

في أحوال المسند إليه

المسند إليه: هو المبتدأ الذي له خبر، والفاعل، ونائبه، وأسماء النواسخ.

وأحواله هي الذكر، والحذف، والتَّعريف، والتَّنكير، والتَّقديم، والتَّأخير وغيرها، وفي هذا الباب عدة مباحث.

المبحث الأول في ذكر المُسْنَدإليه

كلّ لفظٍ يدلّ على مَعنى في الكلام خَليقٌ طبعاً بالذكر، لتأدية المعنى المراد به؛ فلهذا يُذكر المسندُإليه وجوباً، حيث إنَّ ذكرهُ هو الأصل، ولا مُقْتَضِيَ للحذف، لعدم قرينةٍ تدلّ عليه عند حذفه. وإلاّ كان الكلام مُعمًّى مبهماً، لا يستبينُ المرادُ منه.

وقد يَتَرَجَّحُ الذكر مع وجود قَرينة تُمكّن من الحذف، حين لا يكون منه مانع؛ فمن مُرجّحات الذّكرِ[1].

---

١. بيان ذلك أنه إذا لم يوجد في الكلام قرينة تدل على ما يراد حذفه، أو وجدت قرينة ضعيفة غير مصحوبة بغرض آخر يدعوا إلى الحذف، فلابد من الذكر جرياً على الأصل، وقد تدعوا الظروف والمناسبات إلى ترجيح (الذكر) مع وجود قرينة تمكن من (الحذف) وذلك لأغراض مختلفة، ترجع إلى أساليب البلغاء فنجدهم قد ذكروا أحياناً ما يجوز أن يستغنى عنه، وحذفوا ما لا يوجد مانع من ذكره، فرجحوا الذكر أحياناً والحذف أحياناً لأسباب بلاغية اقتضت ذلك.

١ ـ **زيادةُ التقرير والإيضاح للسَّامع**: كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ على هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأولئكَ هُمُ الْمُفْلِحُون﴾ [البقرة: ٥][١]، وكقول الشاعر: [الطويل]

هو الشَّمس في العَلْيَا هو الدَّهر في السَّطا هو البدرُ في النَّادي هو البحر في النَّدى

٢ ـ **قِلة الثقة بالقرينة**: لضعفها أو ضعف فهم السَّامع. نحو سعدٌ نِعْمَ الزَّعيمُ، تقول ذلك إذا سبق لك ذكر سعد، وطال عهد السامع به، أو ذُكر معه كلام في شأن غيره.

٣ ـ **الرَّد على المُخَاطَب**: نحو: الله واحدٌ، ردّاً على من قال: الله ثَالثُ ثَلاثَةٍ.

٤ ـ **التَّلذُّذ**: نحو: الله رَبي، الله حسبي.

٥ ـ **التعريضُ بغباوة السَّامع**: نحو سعيدٌ قال كذا، في جواب: ماذا قال سعيد؟

٦ ـ **التَّسْجيل على السَّامع**[٢]، حتَّى لا يَتأتَّى له الإنكار ـ كما إذا قال الحاكم لشاهد: هل أقرّ زيد هذا بأنَّ عليه كذا؟ فيقول الشاهد نَعمْ زيد هذا أقَرَّ بأن عليه كذا[٣].

٧ ـ **التَّعَجُّب**: إذا كان الحكم غَرِيباً، نحو: عليٌّ يُقاوم الأسدَ في جواب من قال: هل عليٌّ يُقاوم الأسدَ؟

٨ ـ **التعظيم**: نحو حضر سيفُ الدّولة. في جواب من قال: هل حضر الأمير؟

٩ ـ **الإهانة**: نحو السَّارق قادم. في جواب من قال: هل حضر السَّارق؟

---

١. الشاهد في ﴿أولئك هم المفلحون﴾ حيث كرر اسم الإشارة المسند إليه التقرير والإيضاح تنبيهاً على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة والميزة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح أيضاً.

٢. أي كتابة الحكم عليه بين يدي الحاكم.

٣. فيذكر المسند إليه لئلا يجد المشهود عليه سبيلاً للإنكار بأن يقول للحاكم عند التسجيل، إنما فهم الشاهد أنك أشرت إلى غيري فأجاب: ولذلك لم أنكر ولم أطلب الاعذار فيه.

المبحث الثاني
في حذف المُسندإليه

الحذف خلاف الأصل وهو قسمان:

أ ـ **قسمٌ يظهر فيه المحذوف عند الإعراب:** كقولهم: أهلاً وسهلاً فإنَّ نصبَهما يدُلّ على ناصب محذوف يُقدَّر بنحو: جئتَ أهلاً ونزلت مكاناً سهلاً، وليس هذا القسم من البلاغة في شيء.

ب ـ **وقسم لا يَظهر فيه المحذوفُ عند الإعراب:** وإنَّمَا تَعلَمُ مكـانه إذا أنتَ تـصفحْتَ المعنى ووجدتَه لا يتمّ إلا بمُراعاته، نحو يُعطي ويمنع أي: يُعطي من يَشَاء، ويَمْنَعُ من يَشاء. ولكن لا سبيلَ إلى إظـهار ذلك المحـذوف، ولو أنت أظـهرْته زالت البهـجة، وضـاع ذلك الرَّونَق[1].

وَمن دواعي حذف المسندِ اليه إذا دلتْ عليه قرينة:

١ ـ ظهوره بدَلالة القرائن عليه: نحو: ﴿فَصكتْ وجْهَهَا وَقَالَتْ عجوز عَقِيم﴾ [الذاريات: ٢٩]. أي أنا عجوز.

٢ ـ إخفاء الأمر عن غير المُخَاطب: نحو أقبلَ، تُريد عليّاً مثلاً.

---

١ . وفي هذا القسم تظهر دقائق البلاغة ومكنون سرها ورائع أساليبها. ولهذا يقول الإمام (عبدالقاهر الجرجاني) في باب الحذف: إنه باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للافادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن، وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر والأصل في جميع المحذوفات على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل عليها، وإلا كان الحذف تعمية وإلغازاً لا يصار إليه بحال، ومن شرط حسن الحذف أنه متى ظهر المحذوف زال ما كان في الكلام من البهجة والطلاوة، وصار إلى شيء غث لا تناسب بينه وبين ما كان عليه أولاً (والقرينة شرط في صحة الحذف) إذا اقترن بها غرض من الأغراض المذكورة.

٣ ـ تَيَسُّر الإنكار إن مَسَّت إليه الحاجة: نحو «لئيم خسيس» بعد ذكر شخص، لا تذكر اسمه ليتأتّى لك عند الحاجة أن تقول ما أردتُه ولا قصدتُه.

٤ ـ الحَذَر من فوات فرصة سانحة: كقول مُنَبِّه الصَّياد: «غَزالٌ»، أي: هذا غزال.

٥ ـ اختبار تَنَبُّه السامع له عند القرينة، أو مِقدارَ تَنَبُّهه: نحو نُورهُ مُسْتفادٌ من نور الشمس، أو هو واسطة عِقد الكواكب أي «القمر» في كلٍّ من المثالين.

٦ ـ ضيق المقام عن إطالة الكلام بِسبب تَضجّر وتَوَجّع: كقوله: [الخفيف]

قالَ لي كَيْفَ أنتَ قلْتُ عَليلٌ سَهَرٌ دائمٌ وحُزْنٌ طَويلُ[1]

٧ ـ المحافظة على السَّجع نحو: من طابَتْ سريرتُهُ، حُمِدَتْ سيرتُهُ[2].

٨ ـ المُحافظة على قافية كقوله: [الطويل]

وما المالُ والأهْلُونَ إلا ودائعٌ ولابُدَّ يوماً أن تُرَدَّ الوَدائع[3]

٩ ـ المُحافظة على وزن كقوله: [الطويل]

على أنَّني راضٍ بأنْ أحملَ الهوَى وأخلصَ منه لا عليَّ ولاَ لِيَا[4]

١٠ ـ كون المسند إليه مُعيّناً معلوماً حقيقة نحو: ﴿عالمُ الغَيْبِ والشَّهادة﴾ [الانعام: ٧٣، التوبة: ٩٤] أي الله، أو معلوماً ادِّعاءً نحو وهَّابُ الألوف أي فلان.

١١ ـ إتباع الاستعمال الوارد على تركه[5]: نحو: رَمْيَةٌ من غير رام، أي هذه رمية. ونحو: نِعْم الزعيم سعدٌ: أي هو سعدٌ.

---

١. أي لم يقل أنا عليل لضيق المقام بسبب الضجر الحاصل له من الضنى.

٢. أي لم يقل حمد الناس سيرته للمحافظة على السجع المستلزم رفع الثانية.

٣. فلو قيل: أن يرد الناس الودائع أو جعل «أن تردّ» صيغة الخطاب لاختلفت القافية لصيرورتها مرفوعة في الأول منصوبة في الثاني

٤. أي لا على شيء، ولا لي شيء.

٥. وكذا أيضاً الوارد على ترك نظائره مثل الرفع على المدح نحو مررت بزيد الهمام، وعلى الذم نحو رأيت بكراً اللئيم، وعلى الترحم مثل: ترفق بخالد المسكين.

١٢ ـ إشعار أن في تركه تَطهيراً له عن لسانك، أو تطهيراً للسانك عنه، مثال الأول (مُقَرِّرٌ للشرائع مُوَضحٌ للدّلائل) تريد صاحب الشريعة ومثال الثاني ﴿صُمٌّ بكمٌ عُمْيٌ﴾ [البقرة: ١٨، ١٧١].

١٣ ـ تكثير الفائدة: نحو: ﴿فصبرٌ جميل﴾ [يوسف: ١٨، ٨٣] أي فأمري صَبرٌ جميل.

١٤ ـ تَعيُّنه بالعهديّة: نحو: ﴿وَاسْتَوتْ على الْجُودِيِّ﴾[١] [هود: ٤٤] أي السّفينة ونحو: ﴿تَوَارَتْ بالحجاب﴾ [ص: ٣٢] أي الشمس.

ومرجع ذلك إلى الذوق الأدبي: فهو الذي يُوحي إليك بما في القول من بلاغة وحسن بيان.

تدريب

بيِّن أسباب ذكر وحذف المسند إليه في الأمثلة الآتية:

﴿وَأَنَّا لاَ نَدْرِي أَشرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ في الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً﴾ [الجن: ١٠].

الرَّئيس كلمني في أمرك، والرئيس أمرني بمُقابلتك[٢]، الأمير نشر المعارف، وأمَّن المخاوف[٣]، مُحتالٌ مُراوغٌ[٤]، مُنضِجةٌ للزرع، مُصْلِحَةٌ للهواء[٥].

فعباسٌ يصُدُّ الخطب عنا وعباسٌ يجيرُ مَن استجارا

[الوافر]

﴿خَلَقَ فَسَوى﴾ [الأعلى: ٢] مقرر للشرائع مُوضِّحٌ للدلائل، ﴿ولوْ شاءَ لَهَداكُم أجْمَعين﴾[٦] [النحل: ٩].

---

١. قيل الجودي هو [الجبل] الذي وقفت عليه سفينة نوح، وهي معهودة في الكلام السابق في قوله تعالى: ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ الخ.

٢. تخاطب غبياً.

٣. جواباً لمن سأل ما فعل الأمير؟

٤. بعد ذكر إنسان.

٥. تعني الشمس.

٦. أي لو شاء هدايتكم.

وإني مـــن القـــوم الذيـن هـمُ هـمُ إذ مـات مـنهم سـيدٌ قـام صـاحبه

[الطويل]

أنـــا مـــصدرُ الكـــلمِ البـــوادي بـــين المحـــاضر وَالنـــوَادي

[مجزوء الكامل]

أنـــا فـــارسٌ أنـــا شـــاعرٌ في كـــلِّ مـــلحمة ونـــادي

إن حـــل في رُومٍ فـــفيها قـــيْصَرٌ أو حـــلَّ في عُـــرْبٍ فـــفيها تُـــبَّعُ

[الكامل]

تسَائَلني مـا الحبُّ قـلت عـواطـفٌ مـنوّعة الأجـناس مـوطنها القـلبُ

[الطويل]

تطبيق

وضح دَواعي الحذف في التراكيب الآتية:

مـــلوكٌ وإخـــوانٌ إذا مـا مـدحتُهم أُحكَّـــمُ في أمـــوالهـــم وأُقَـــرّبُ

[الطويل]

أمّـا والذي أبكـى وأضْـحَكَ والذي أمـــات وأحْـــيَا والذي أمـــرُه أمـرُ

[الطويل]

حَريصٌ عـلى الدنـيا مـضيعٌ لديـنه وليس لمـــا في بَـــيته بمُـــضيع

[الطويل]

وإني رأيتُ البُـخل يُـزْرِي بأهـله فأكـــرمْتُ نـــفسي أن يـقال بَخـيل

[الطويل]

المبحث الثالث

في تعريف المسندإليه

حقُّ المسند إليه: أن يكون معرفة، لأنَّه المحكوم عليه الذي ينبغي أن يكون معلوماً. ليكونَ الحكم مُفيداً.

وتعريفه[1] إمّا بالاضمار، وامّا بالعلَمِيَّة، وإما بالإشارة، وإما بالموصولية، وإما بأل، وإما بالإضافة، وإما بالنداء.

في تعريف المسندإليه بالإضمار

يُؤْتَى بالمسند إليه ضميراً لأغراض:

١ ـ لكون الحديث في مقام التكلُّم كقوله ﷺ: «أنا النبيّ لا أكذب، أنا ابنُ عبدالمطلب».

---

١. اعلم أن كلاًّ من المعرفة والنكرة يدل على معين. وإلا امتنع الفهم، إلا أن الفرق بينهما أن (النكرة) يفهم منها ذات المعين فقط. ولا يفهم منها كونه معلوماً للسامع وأن (المعرفة) يفهم منها ذات المعين، ويفهم منها كونه معلوماً للسامع لدلالة اللفظ على التعيين، والتعيين فيها، إما بنفس اللفظ من غير احتياج إلى قرينة خارجة كما في العلم وإما بقرينة تكلم أو خطاب أو غيبة كما في الضمائر، وإما بقرينة إشارة حسية كما في الإشارة وإما بنسبة معهودة كما في الأسماء الموصولة، وإما بحرف وهو المعرف بأل. والنداء. وإما بإضافة معنوية وهو المضاف إلى واحد مما ذكر ما عدا المنادى.

واعلم أنه قدم ذكر (الإضمار) لأنه أعرف المعارف، وأصل الخطاب أن يكون لمعين، وقد يستعمل أحياناً دون أن يقصد به مخاطب معين كقول المتنبي: [الطويل]

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

اخرج الكلام هنا في صورة الخطاب ليفيد العموم.

٢ ـ أو لكون الحديث في مقام الخطاب كقول الشاعر: [الطويل]

وأنتَ الذي أخـلَفتَني مـا وعـدتَني وأشْمَتَّ بِي مَـن كـان فـيك يَـلومُ

٣ ـ أو لكون الحديث في مقام الغيبة لكون المسند إليه مذكوراً ـ أو في حكم المذكور لقرينة نحو اللهُ تبارك وتعالى.

ولابدَّ من تقدم ذكره:

أ ـ إمَّا لفظاً: كقوله تعالى: ﴿واصْبِرْ حَتى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِين﴾ [يونس: ١٠٩].

ب ـ وإمَّا معنىً: نحو: ﴿وإنْ قِيل لَكُم ارْجِعُوا فارجِعُوا هُو أزكى لكُم﴾ [النور: ٢٨] أي الرجوع.

ج ـ أو دلتْ عليه قرينة حال كقوله تعالى: ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثا مَا تَرَكَ﴾ [النساء: ١١] أي: الميت.

تنبيهات

الأوّل: الأصل في الخطاب أن يكون لمُشَاهدٍ مُعَين. نحو: أنت استر قَفْتني بإحسانك.

وقد يُخاطب:

أ ـ غيرُ المشَاهد إذا كان مُستحضراً في القلب نحو: ﴿لا إله إلاّ أنْتَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، ونحو: [البسيط]

جـودي بـقرْبك أبْـلُغْ كـلَّ أُمـنيتي أنتِ الحـياة وأنتِ الكـون أجمـعُهُ

ب ـ وغير المُعين: إذا قُصِدَ تَعميمُ الخطاب لكلِّ من يُمكن خطابه على سبيل البَدَل، لا التَّناوُل دَفعة واحدة كقول المُتنبِّي:

إذَا أنتَ أكْـرَمتَ الكـريمَ مَـلكْتَهُ وإنْ أنتَ أكْـرَمْتَ اللـئيم تَمَـرَّدَا

[الطويل]

الثاني: الأصلُ في وضع الضَّمير عدمُ ذكره إلا بعد تَقدُّم ما يفَسِّرُهُ وقد يُعدلُ عن هذا الأصل: فيقدمُ الضَّمير على مرجعه لأغراضٍ كثيرة منها:

أ ـ تمكين ما بعد الضَّمير في نفس السّامع لتشويقه إليه كقوله: [الطويل] هيَ النفس ما حَمَلتَها تَتَحَمَّلِ.

﴿فإنها لا تَعْمى الأبصار﴾ [الحج: ٤٦]، ونِعمَ رجلاً عليٌّ، فالفاعل ضمير يفسِّره التَّمييز، ويطرد ذلك في باب نِعمَ وبِئس، وفي باب ضمير الشأن نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]

ب – و ادعاء أن مرجع الضَّمير دائم الحضور في الذهن، نحو: أقبل وعليه الهيبة والوقار.

ونحو قول الشاعر: [الكامل]

أبت الوِصـــالَ مخـــافة الرقـــباء وأتَـــتْكَ تَحتَ مَـــدَارع الظـــلماء

وَيُسمى هذا العدولُ بالإضمار في مقام الإظهار.

الثالث: يُوضع الظاهر سواء أكان علماً، أو صفة، أو إشارة موضع الضمير، لأغـراض كثيرة:

١ ـ منها إلقاء المهَابة في نفس السامع، كقول الخليفة: أمير المؤمنين يأمر بكذا.

٢ ـ وتمكين المعنى في نفس المخاطب، نحو: اللَّهُ ربي ولا أُشرِك بربي أحَداً.

٣ – ومنها التلذذ كقول الشاعر: [الطويل]

سَـقَى الله نجـداً والسـلام عـلى نجـد وَيا جَبذَا نجـدٌ عـلى القُـرْب وَالبـعد

٤ ـ ومنها الاستعطاف، نحو: اللَّهمَّ عبدك يَسألك المغفرة. أي أنا أسألك.

ويسمى هذا العدول بالإظهار في مقام الإضمار.

في تعريف المسندإليه بالعلمية

يُؤتى بالمسند إليه علماً: لإحضار معناه في ذهن السَّامع، ابتداء باسمه الخاص ليمتاز عمَّا عداه، كقوله تعالى: ﴿وإذْ يَرْفَعُ إبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وإسماعيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقد يقصد به مع هذا أغراضٌ أخرى تُناسب المقام:

١ ـ كالمدح في الألقاب التي تُشعِر بذلك، نحو: جاء نصر، وحضر صلاح الدين.

٢ ـ والذَّم والإهانة، نحو: جاء صَخر، وذهب تأبَّط شرّاً.

٣ ـ والتَّفاؤل، نحو: جاء سُرور.

٤ ـ والتشاؤم، نحو: حربٌ في البلد.

٥ ـ والتبرُّك، نحو: اللهُ أكرمني، في جواب: هل أكرمك الله؟

٦ ـ والتلذُّذ، كقول الشاعر. [البسيط]

بـالله يـا ظَـبَياتِ القَـاعِ قـلن لنـا لَـيلايَ مـنكُنَّ أم لَـيلَى مـن البـشَرِ

٧ ـ والكناية عن معنى يَصلح العلمُ لذلك المعنى: بحسب معناه الأصلي قبل العلميَّة، نحو: أبولهب فعل كذا،. كِناية عن كونه جَهنَّمِيّاً. لأن اللهَب الحقيقي هو لَهبُ جهنم، فـيصح أن يُلاحظ فيه ذلك.

في تعريف المسندإليه بالإشارة.

يُؤْتى بالمسند إليه اسم إشارة: إذا تعيَّن طريقاً لإحضار المشار إليه في ذهن السَّامع، بأن يكون حاضراً محسوساً، ولا يَعرفُ المتكلم والسَّامع اسمه الخاص، ولا مُعَيِّناً آخر، كقولك أتبيع لي هذا، مُشيراً إلى شيء لا تعرف له اسماً ولا وصفاً.

أمَّا إذا لم يتعيَّن طريقاً لذلك، فيكون لأغراض أخرى.

١ ـ بيان حاله في القُرْب، نحو: هذه بضاعتنا. أو في التَّوَسط، نحو: ذاك ولدي. أو في البُعد، نحو: ذلك يوم الوعيد.

٢ ـ تعظيم درجته بالقُرْب، نحوه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهدِي لِلتي هِيَ أقوَم﴾ [الإسراء: ٩].

أو تعظيم درجته بالبُعد، كقوله تعالى: ﴿ذلكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيه﴾ [البقرة: ٢].

٣ ـ أو التَّحْقير بالقُرْب، نحو: ﴿هَلْ هَذَا إلاّ بشرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣].

أو التَّحقير بالبُعد، كقوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الّذِي يَدُعُّ اليَتِيم﴾ [الماعون: ٢].

٤ ـ وإظهار الاستغراب، كقول الشاعر: [البسيط].

كم عـاقلٍ عـاقلٍ أعْـيَتْ مَـذاهـبُهُ وجـاهلٍ جـاهلٍ تـلقاهُ مَـرْزُوقا

هـذا الذي تـركَ الأوهـام حـائرةً وصـيَّر العـالم النِّـحرير زنـديقا

٥ ـ وكمال العناية وتمييزه أكمل تمييز، كقول الفرزدق: [البسيط]

هـذا الذي تـعرفُ البـطحاء وطأتـه والبـيتُ يـعرفهُ والحـلُّ والحـرَم

ونحو قوله: هذا أبو الصَّقر فَرداً في مَحَاسِنه.

٦ ـ والتَّعريض بغباوة المخاطب، حتى كأنه لا يفهم غير المحسوس، نحو: [الطويل]

أولئك آبـائي فـجئْني بمـثلهم إذَا جَمَـعَتْنَا يـا جَـريرُ المجـامع

٧ ـ والتَّنبيه على أن المشار إليه المُعَقَّبَ بأوصاف، جديرٌ لأجل تلك الأوصاف بما يُذكر بعد اسم الإشارة، كقوله تعالى: ﴿أولئك عَلَى هُدى مِنْ رَبِّهِمْ وأولئك هُمُ الْمُفْلِحُون﴾ [لقمان: ٥ البقرة: ٥].[1]

وكثيراً ما يُشَار إلى القريب غير المُشَاهَد بإشارة البعيد، تنزيلاً للبُعد عن العيان، منزلة البعد عن المكان، نحو: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطع عَلَيْهِ صَبْراً﴾ [الكهف: ٨٢].

في تعريف المسندإليه بالموصوليَّة

يُؤْتى بالمسند إليه اسمَ موصول اذا تعيّنَ طريقاً لإحضار معناه. كقولك: الذي كان معنا أمس سافر، إذا لم تكن تَعرف اسمه.

أمَّا إذا لم يَتَعَيَّن طريقاً لذلك؛ فيكون لأغراض أخرى. منها:

١ ـ التّشويق: وذلك فيما إذا كان مضمون الصِّلة حُكماً غريباً كقوله: [الخفيف]

والذي حـارَت البريَّـة فـيه حَـيَوَانٌ مُـستحدَثٌ مـن جَمـاد[2]

٢ ـ إخفاء الأمر عَنْ غير المخاطب كقول الشاعر: [الكامل]

وأخـذتُ مـا جـاد الأمـيرُ بـه وقـضيتُ حـاجاتي كـما أهـوَى

---

١. أي فالمشار إليه بأولئك هم المتقون. وقد ذكر عقبه أوصاف هي الإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة وما بعدهما، ثم أتى بالمسند إليه اسم إشارة وهو أولئك تنبيهاً على أن المشار إليهم جديرون وأحقاء من أجل تلك الخصال، بأن يفوزوا بالهداية عاجلاً، والفوز بالفلاح آجلاً.

٢. يعني تحيرت البرية في المعاد الجسماني.

٣ ـ التنبيه على خطأ المخاطَب، نحو: ﴿إنَّ الذين تَدعونَ مِنْ دون الله عبادٌ أمثالكم﴾ [الأعراف: ١٩٤]، وكقول الشاعر: [الكامل]

إنَّ الذين تُرَوْنهم إخوانَكم يَشفي غَليلَ صُدورهم أن تُصرَعوا[١]

٤ ـ التنبيه على خطأ غير المُخاطب كقوله: [الكامل]

إنَّ التي زعمتْ فؤادك ملها خلقتْ هواك كما خلقتَ هَوًى لَها

٥ ـ تعظيم شأن المحكوم به كقول الشاعر: [الكامل]

إن الذي سمك السَّماءَ بَنى لنا بيتاً دَعائمُهُ أعزُّ وأطوَلُ[٢]

٦ ـ التهويل: تعظيماً أو تحقيراً نحو: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٤٨][٣] ونحو: مَنْ لم يَدْرِ حقيقة الحال قال ما قال.

٧ ـ استهجان التصريح بالاسم نحو: الذي رَباني أبي[٤].

٨ ـ الإشارة إلى الوجه الذي يُبنى عليه الخبر من ثواب أو عقاب كقوله تعالى: ﴿فالذين آمنوا وَعَمِلوا الصالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الحج: ٥٠].

٩ ـ التَّوبيخ نحو: الذي أحسن إليك قد أسأتَ إليه.

١٠ ـ الاستغراق نحو: الذين يأتونك أكْرِمْهم.

١١ ـ الإبهام نحو: لكلِّ نفس مَا قدَّمتْ.

واعلم أنَّ التعريفَ بالموصوليَّة مبحث دقيق المسلك، غريب النزعة يُوقِفكَ على دقائقَ مِن البلاغة تؤنسُكَ إذا أنتَ نظرتَ إليها بثاقبِ فكرك، وتُثلجُ صدرك إذا تأمَّلتها بصادق رأيك، فأسرارُ ولطائف التعريف بالموصوليّة لا يمكن ضبطها، واعتبر في كل مقام ما تراه مناسباً.

---

١. أي من تظنون اخوتهم يحبون دماركم فأنتم مخطئون في هذا الظن، ولا يفهم هذا المعنى (لو قيل إن قوم كذا يشفي الخ).

٢. أي إن من سمك السماء بنى لنا بيتاً من العز والشرف، هو أعز وأقوى من دعائم كل بيت.

٣. أي غطاهم وسترهم من البحر موج عظيم، لا تحيط العبارة بوصفه.

٤. أي بأن كان اسمه قبيحاً كمن كان اسمه «برغوث». أو جحش. أو بطة، أو غيره.

في تعريف المسندإليه بال

يُؤتى بالمسند إليه مُعَرَّفاً بأَلْ الْعَهْدِيَّة أو أل الجنسية لأغراض آتية:

أل العهدية: تدخل على المُسند إليه للإشارة إلى فرد مَعهُود خَارجاً بين المتخاطبين وعهده يكون:

أ ـ إما بتقدُّم ذكره صريحاً كقوله تعالى: ﴿كما أرسلْنا إلى فرْعوْن رَسُولاً فعصى فرْعَوْن الرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥، ١٦]: ويسمَّى عهداً صريحيّاً.

ب ـ وإما بتقدُّم ذكره تلويحاً كقوله تعالى: ﴿وَليسَ الذكر كالأُنثى﴾ [آل عمران: ٣٦]. فالذكر وإن لم يكن مسبوقاً صريحاً، إلا أنه إشارة إلى ما في الآية قبله: ﴿رَبِّ إني نذرْتُ لك (ما) في بطني مُحَرَّراً﴾[1]. فإنهم كانوا لا يُحررون لخدمة بيت المقدس إلا الذكور، وهو المعنيُّ بـ «ما» ويسمَّى كنائياً.

ج ـ وإما بحضُوره بذاته نحو: ﴿الْيَومَ أكْمَلْتُ لَكُم دِينكُم﴾ [المائدة: ٣] أو بمعرفة السامع له نحو: هل انعقد المجلس، ويسمّى عهداً حُضورياً.

أل الجنسية: وتسمَّى لامَ الحقيقة: تدخل على المسند إليه لأغراض أربعة:

١ ـ للإشارة إلى الحقيقة: من حيث هي بقطع النظر عن عمومها وخصوصها، نحو: الإنسان حيوانٌ ناطق. وتسمَّى لام الجنس لأن الإشارة فيه إلى نفس الجنس، بقطع النظر عن الأفراد نحو: الذهب أثمن من الفضَّة.

---

١ . التحرير هو العتق لخدمة بيت المقدس. أي: وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لها، فطلبها الذكر كان بطريق الكناية في قولها ﴿رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً﴾ فإن ذلك كان مقصوراً عندهم على المذكور قال في «الذكر» عائدة إلى مذكر بطريق الكناية، وأل في «الأنثى» عائدة إلى مذكور صريحاً في قولها ﴿رب إني وضعتها أنثى﴾.

٢ ـ أو للإشارة إلى الحقيقة في ضمن فرد مُبهم، إذا قامت القرينة على ذلك، كقوله تعالى: ﴿وأَخَافُ أَنْ يأكُلَهُ الذِّئبُ﴾ [يوسف: ١٣]. ومدخولها في المعنى كالنكرة فيُعامل مُعاملتها. وتسمَّى لامَ العهد الذِّهني.

٣ ـ أو للإشارة إلى كلِّ الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب اللغة.

أ ـ بمعونة قرينة حالية نحو: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادة﴾ [الأنعام: ٧٣، التوبة: ٩٤]. أي كل غائب وشاهد.

ب ـ أو بمعونة قرينة لفظية نحو: ﴿إنَّ الإنسان لَفِي خِسْر﴾ [العصر: ٢]. أي كل إنسان بدليل الاستثناء بعده. ويسمَّى **استغراقاً حقيقياً**.

٤ ـ أوْ للإشارة إلى كلِّ الأفراد مقيَّداً نحو: جمع الأميرُ التُّجار وألقى عليهم نصائحه أي جمع الأمير تجَّار مملكته لا تجَّار العالَم أجمعَ. ويسمى **استغراقاً عرفياً**.

تنبيهات

التنبيه الأول: علم مما تقدم أن أل التعريفية قسمان:

القسم الأول: لام العهد الخارجي، وتحته أنواع ثلاثة: صريحي وكنائي وحضوري.

والقسم الثاني: لام الجنس: وتحته أنواع أربعة: لام الحقيقة من حيث هي، ولام الحقيقة في ضمن فرد مبهم، ولام الاستغراق الحقيقي، ولام الاستغراق العرفي.

التنبيه الثاني: استغراق المفرد أشمل من استغراق المثنى، والجمع، واسم الجمع. لأن المفرد: يتناول كل واحد واحد من الأفراد. والمثنى إنما يتناول كل اثنين اثنين. والجمع إنما يتناول كل جماعة جماعة بدليل صحة: لا رجال في الدار، إذا كان فيها رجل أو رجلان، بخلاف قولك: لا رجل، فإنه لا يصح إذا كان فيها رجل أو رجلان.

وهذه القضية ليست بصحيحة على عمومها، وإنما تصح في النكرة المنفية، دون الجمع المعرف باللام، لأن المعرف بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الأفراد نحو ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ [النساء: ٣٤] بل هو في المفرد أقوى، كما دل عليه الاستقراء وصرح به أئمة اللغة

وعلماء التفسير في كل ما وقع في القرآن العزيز نحو: ﴿أعلم غيب السموات والأرض﴾ [البقرة: ٣٣]، ﴿والله يحب المحسنين﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ [البقرة: ٣١] إلى غير ذلك من آي الذكر الحكيم كما في المطولات.

التنبيه الثالث: قد يعرف الخبر بلام الجنس لتخصيص المسند إليه بالمسند المعروف وعكسه حقيقة نحو: هو الغفور الودود. ونحو: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ [البقرة: ١٩٧] أو ادعاء للتنبيه على كمال ذلك الجنس في المسند إليه نحو: محمد العالم، أي الكامل في العلم، أو كمال في المسند، نحو الكرم التقوى أي لا كرم إلا هي.

في تعريف المسندإليه بالإضافة

يُؤْتَى بالمسند إليه مُعرَّفاً بالإضافة إلى شيء من المعارف السَّابقة لأغراض كثيرة

١ ـ منها أنها أخصر طريق إلى إحضاره في ذهن السامع نحو: جاء غلامي فإنه أخصر من قولك: جاء الغلام الذي لي.

٢ ـ ومنها تعذُّر التَّعدُّد: أو تعسُّره نحو: أجمع أهل الحقِّ على كذا، وأهلُ مصر كرامٌ.

٣ ـ ومنها الخروجُ مِن تَبِعة تقديم البعض على البعض نحو: حضر أمراء الجند.

٤ ـ ومنها التعظيم للمضاف نحو: كاتب السُّلطان حضر.

أو التعظيم للمضاف إليه نحو: الأمير تلميذي أو غيرهما، نحو: أخو الوزير عندي.

٥ ـ ومنها التَّحقير للمضاف نحو: وَلدُ اللص قادم

أو التحقير للمضاف إليه نحو: رفيق زيد لص أو غيرهما نحو: أخو اللص عند عمرو.

٦ ـ ومنها الاختصار لضيق المقام: لفرط الضجر والسآمة كقول جعفر بن عُلبة، وهو في السجن بمكة: [الطويل]

هـوايَ مـع الرّكب اليمـانين مُـصعِدٌ ... جَـنيبٌ وجُـثماني بمكّـة مُـوثَق[1]

---

١. أي: من أهواء وأحبه ذاهب مع ركبان الإبل، القاصدين إلى اليمن منضم إليهم، مقود معهم، وجسمي مقيد بمكة، محبوس وممنوع عن السير معهم، فلفظ هواي أخصر من الذي أهواه، ونحوه.

واعلم أنَّ هيئة التركيب الإضافي: موضوعة للاختصاص المصحّح لأن يقال المضاف للمضاف إليه فإذا استعملت في غير ذلك كانت مجازاً كما في الإضافة لأدنى ملابسة نحو: مكرُ الليل وكقوله: [الطويل]

إذا كوكبُ الخرقاء لاحَ بسَحرةٍ «سُهَيلٌ» أذاعت غزلَهَا في القَرَائِبِ[1]

في تعريف المسند إليه بالنّداء[2]

يُؤْتى بالمسند إليه مُعرفاً بالنداء: لأغراض كثيرة.

١ ـ منها إذا لم يُعرف للمُخاطب عنوان خاص: نحو يا رجُل.

٢ ـ ومنها الإشارة إلى عِلة ما يُطلب منه نحو: يا تلميذ اكتب الدَّرس.

---

١. أضاف الكوكب إلى (الخرقاء) أي المرأة الحمقاء مع أنه ليس لها، لأنها لا تتذكر كسوتها إلا وقت طلوع (سهيل) سحراً في الشتاء، وتفصيل ذلك أنه يقال إن المرأة الحمقاء كانت تضيع وقتها في الصيف، فإذا طلع سهيل وهو كوكب قريب من القطب الجنوبي في السحر، وذلك قرب الشتاء أحست بالبرد، واحتاجت إلى الكسوة، ففرقت غزلها أي قطنها أو كتانها الذي يصير غزلاً في أقاربها، ليغزلوا لها بسبب عجزها عن الغزل ما يكفيها لضيق الوقت، فإضافة كوكب الخرقاء لأدنى ملابسة، وقد جعل الشاعر هذه الملابسة بمنزلة الاختصاص.

٢. اعلم أن أغلب البيانيين لم يثبت (التعريف بالنداء) في تعريف المسند إليه. وتحقيق ذلك يطلب من المطولات في علوم البلاغة.

المبحث الرابع

في تنكير المسندإليه

يُؤْتى بالمسند إليه نكرة: لعدم عِلم المتكلم بجهةٍ من جهات التعريف حقيقة أو ادعاءً،[١] كقولك: جاء هنا رجل يسأل عنك. إذا لم تعرف ما يعينه من علم أو صلة أو نحوهما، وقد يكون لأغراض أخرى.

١ ـ كالتكثير[٢] نحو: ﴿وإن يكذِّبوكَ فقدْ كذِّبتْ رسلٌ مِن قَبلكَ﴾ [فاطر: ٤] أي رسلٌ كثيرون.

٢ ـ والتقليل نحو: ﴿لو كان لنا من الأمر شيء﴾ [آل عمران: ١٥٤]، ونحو: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ [التوبة: ٧٢].

٣ ـ والتعظيم والتحقير كقول ابن أبي السمط: [الطويل]

لهُ حاجبٌ عنْ كل أمْر يشينهُ ... وليس لَهُ عنْ طالب العرْف حاجب

أي له مانع عظيم، وكثير عن كل عيب وليس له مانع قليل أو حقير عن طالب الإحسان[٣]، فيحتمل التّعظيم والتكثير والتّقليل والتّحقير.

٤ ـ وإخفاء الأمر نحو: قال رجل إنك انحرفت عن الصواب تخفي اسمه، حتى لا يلحقه أذى.

٥ ـ وقصد الإفراد نحو: ويلٌ أهْونُ من وَيْلين. «أي ويل واحد أهون من ويلين».

٦ ـ وقصد النوعية نحو: لكلّ داء دواءٌ. «أي لكل نوع من الدّاء نوع من الدّواء».

---

١. كقوله تعالى: ﴿هل أدلّكم على رجل ينبّأكم اذا مزّقتم كلّ ممزّق انكم لفي خلق جديد﴾.

٢. اعلم أن الفرق بين التعظيم والتكثير أن التعظيم بحسب رفعة الشأن وعلو الطبقة، وأن التكثير باعتبار الكميات والمقادير، تحقيقاً كما في قولك إن له لإبلاً، وإن له لغنماً، أو تقديراً نحو: ورضوان من الله أكبر، أي قليل من الرضوان أكبر من كل شيء، ويلاحظ ذلك الفرق في التحقير والتقليل أيضاً.

٣. ومنه قوله: [الطويل]

وللّه عندى جانب لا أضيعه ... وللهو عندى والخلاعة جانب

ويحتمل التكثير والتقليل قوله تعالى: ﴿إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن﴾.

المبحث الخامس

في تقديم المسندإليه(١)

مرتبة المسند إليه: التقديمُ وذلك لأنَّ مدلولَه هو الذي يخطر أولاً في الذهن، لأنه المحكوم عليه، والمحكوم عليه سابق للحكم طبعاً. فاستحقَّ التقديم وضعاً، ولتقديمه دواعٍ شتى.

---

١ . معلوم: أن الألفاظ قوالب المعاني. فيجب أن يكون ترتيبها الوضعي حسب ترتيبها الطبيعي. ومن البين أن (رتبة المسند إليه التقديم) لأنه المحكوم عليه، ورتبة المسند التأخير، إذ هو المحكوم به، وما عداهما فهو متعلقات وتوابع تأتي تالية لهما في الرتبة ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا والاعتبارات ما يدعو إلى تقديمها، وإن كان من حقها التأخير فيكون من الحسن إذاً تغيير هذا الأصل واتباع هذا النظام ليكون المقدم مشيراً إلى الغرض الذي يؤدي إليه، ومترجماً عما يريد. ولا يخلو (التقديم) من أحوال أربع:

الأول: ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ وذلك هو الغاية القصوى وإليه المرجع في فنون البلاغة، والكتاب الكريم هو العمدة في هذا. انظر إلى قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ تجد أن تقديم الجار في هذا قد أفاد التخصيص وأن النظر لا يكون إلا لله، مع جودة الصياغة وتناسق السجع.

الثاني: ما يفيد زيادة في المعنى فقط نحو ﴿بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾ فتقديم المفعول في هذا لتخصيصه بالعبادة، وأنه ينبغي ألا تكون لغيره، ولو أخر ما أفاد الكلام ذلك.

الثالث: ما يتكافأ فيه القديم والتأخير، وليس لهذا الضرب شيء من الملاحة كقوله: [الطويل]

وكانت يدي ملأى به ثم أصبحت «بحمد إلهي» وهي منه سليب

فتقديره: ثم أصبحت وهي منه سليب بحمد إلهي.

الرابع: ما يختل به المعنى ويضطرب، وذلك هو التعقيد اللفظي، أو المعاظلة التي تقدمت، كتقديم الصفة على الموصوف، والصلة على الموصول، أو نحو ذلك من الأنواع التي خرجت عن الفصاحة، ومنها قول لفرزدق: [الطويل]

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره

فتقديره: إلى ملك أبوه ما أمه من محارب، أي ما أم أبيه منهم، ولا شك أن هذا لا يفهم من كلامه للنظرة الأولى، بل يحتاج إلى تأمل وتريث ورفق، حتى يفهم المراد منه.

١ ـ تعجيل المسَرَّة نحو: ألعفو عنك صدر به الأمر.

٢ ـ تعجيل المساءة نحو: القصّاصُ حكم به القاضي.

٣ ـ التشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدِّمُ مشعراً بغرابة كقول أبي العلاء المعري: [الخفيف]

والذي حـــارت البريّـــة فـــيه حَـــيوانٌ مُسْـــتَحْدَثٌ مـن جمـاد[1]

٤ ـ التلذذ نحو: ليلى وصلت، وسلمى هجرت.

٥ ـ التبرك: نحو: اسم الله اهتديت به.

٦ ـ النص على عموم السلب أو النص على سلب العموم.

فعموم السلب: يكون بتقديم أداة العموم[2] ككُلّ، وجميع على أداة النفي نحو: كل ظالم لا يفلح، المعنى: لا يفلح أحد من الظلمة. ونحو: كل ذلك لم يكن: أي لم يقع هذا ولا ذاك. ونحو: كل تلميذ لم يقصر في واجبه، ويسمى شمول النفي.

واعلم: أن عموم السلب يكون النفي فيه لكل فرد. وتوضيح ذلك: أنك إذا بدأت بلفظة كلّ، كنت قد سلطت الكلية على النفي، وأعملتَها فيه وذلك يقضي ألا يشذ عنه شيء.

وسلب العموم: يكون بتقديم أداة النفي على أداة العموم. نحو: لم يكن كلّ ذلك، أي لم يقع المجموع، فيحتمل ثبوت البعض ويحتمل نفي كل فرد لأن النفي يوجه إلى الشمول خاصة، دون أصل الفعل. ويسمى نفي الشمول.

واعلم: أن سلب العموم يكون النفي فيه للمجموع غالباً كقول المتنبي: [البسيط]

ما كلُّ رأيِ الفتى يدعُو إلى رَشدِ.

---

١ . قيل (الحيوان) هو الإنسان، (والجماد) الذي خلق منه هو النطفة وحيرة البرية فيه هو الاختلاف في إعادته للحشر، وهو يريد أن الخلائق تحيرت في المعاد الجسماني، يدل لذلك قوله قبله: [الخفيف]

٢ . بشرط أن تكون أداة العموم غير معمولة للفعل الواقع بعدها كما مثل، فإن كانت معمولة للفعل بعدها: سواء تقدمت لفظاً أو تأخرت، نحو: كل ذنب لم أصنع، ولم آخذ كل الدراهم، أفاد الكلام سلب العموم ونفي الشمول غالباً.

وقد جاء لعموم النفي قليلاً: نحو قوله تعالى: ﴿إنَّ الله لا يُحِبُّ كلَّ مختال فخور﴾ [لقمان: ١٨] ودليل ذلك: الذوق والاستعمال.

٧ ـ إفادة التخصيص قطعاً[١] إذا كان المسند إليه مسبوقاً بنفي، والمسند فعلاً نحو: ما أنا قلت هذا، أي: لم أقله، وهو مقول لغيري. ولذا لا يصحّ أن يقال: ما أنا قلت هذا ولا غيري، لأن مفهومَ: ما أنا قلت، أنّه مقول للغير، ومنطوق: ولا غيري كونه غير مقول للغير فيحصل التناقض سلباً وإيجاباً.

وإذا لم يسبق المسند إليه نفيٌ كان تقديمه محتملاً[٢] لتخصيص الحكم به أو تقويته، إذا كان المسند فعلاً[٣] نحو: أنتَ لا تَبخل. ونحو: هو يهبُ الألوف، فإنَّ فيه الإسناد مرتين. إسناد الفعل إلى ضمير المخاطب: في المثال الأول. وإسناد الجملة إلى ضمير الغائب: في المثال الثاني.

٨ ـ مُراعاة الترتيب الوُجودي: نحو: ﴿لا تأخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

---

١. وذلك يكون في ثلاثة مواضع.

الأول: أن يكون المسند إليه معرفة ظاهرة بعد نفي، نحو: ما فؤاد فعل هذا.

الثاني: أن يكون المسند إليه معرفة مضمرة بعد نفي، نحو: ما أنا قلت ذلك.

الثالث: أن يكون المسند إليه نكرة بعد نفي، نحو: ما تلميذ حفظ الدرس.

٢. وذلك في ستة مواضع:

الأول: أن يكون المسند إليه معرفة ظاهرة قبل نفي، نحو فؤاد ما قال هذا.

الثاني: أن يكون المسند إليه معرفة ظاهرة مثبته، نحو عباس أمر بهذا.

الثالث: أن يكون المسند إليه معرفة مضمرة قبل نفي، نحو أنا ما كتبت الدرس.

الرابع: أن يكون المسند إليه معرفة مضمرة مثبتة، نحو أنا حفظت درسي.

الخامس: أن يكون المسند إليه نكرة قبل نفي، نحو رجل ما قال هذا.

السادس: أن يكون المسند إليه نكرة مثبتة، نحو تلميذ حضر اليوم في المدرسة. واعلم أن ما ذكرناه هو مذهب عبدالقاهر الجرجاني وهو الحق، وخالفه السكاكي.

٣. فإن قيل: لماذا اشترط أن يكون المسند فعلاً، وهل إذا كان المسند وصفاً مشتملاً على ضمير، نحو: أنت بخيل، لم يكن كالفعل في إفادة التقوية؟

المبحث الثالث عشر
في تأخير المسند إليه

يؤخر المسند إليه: إن اقتضى المقامُ تقديم المسند كما سيجيء ولا نلتمس دواعي التقديم والتأخير إلا إذا كان الاستعمال يبيح كليهما.

تطبيق عام على أحوال المسند إليه وما قبله

أمير المؤمنين يأمرك بكذا: جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، المراد بالخبر بيان سبب داعي الامتثال. المسند إليه أمير المؤمنين. ذكر للتعظيم. وقدم لذلك. والمسند جملة يأمر، ذكر لأن الأصل فيه ذلك، وأخر لاقتضاء المقام تقديم المسند إليه وأتى به جملة لتقوية الحكم بتكرار الإسناد والتعظيم وتقوية الحكم و كون ذكر المسند هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه واقتضاء المقام تقديم المسند إليه أحوال، والذكر والتقديم والتأخير مقتضيات، والإتيان بهذه الجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال.

أنت الذي أعانني. وأنت الذي سرني: ذكر أنت ثانياً لزيادة التقرير و الإيضاح فزيادة التقرير و الإيضاح حال، والتقرير مقتضى والإتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال.

سعيد يقتحم الأخطار: بعد مدحه ذكر سعيد للتعظيم والتعجب، فالتعظيم والتعجب حال والذكر مقتضى، والإتيان بالجملة على هذا الوجه مطابقة لمقتضى الحال.

علي كتب الدرس: جواب ما الذي عمل علي، ذكر علي للتعريض بغباوة السامع. وقدم لتقوية الحكم لكون الخبر فعلاً، فالتعريض والتقوية حالان والذكر والتقديم مقتضيان. والإتيان بالجملة على هذا الوجه: مطابقة لمقتضى الحالين.

محمود نعم التلميذ: بعد مدح كثير له، ذكر محمود لقلة الثقة بالقرينة وقدم لتقوية الحكم.

معطي الوسامات والرتب: حذف المسند إليه للتنبيه على تعيين المحذوف ادعاء كالسلطان مثلاً.

﴿**ألم يجدك يتيماً فآوى**﴾ [الضحى: ٦]: حذف مفعول آوى للمحافظة على الفاصلة.

صاحبك يدعو إلى وليمة العرس: حذف مفعول يدعو للتعميم باختصار.

لايعطي ولا يمنع إلا الله تعالى: حذف المفعولان لعدم تعلق الغرض بهما.

أهين الإمير: حذف الفاعل للخوف عليه.

لسان الفتى نصف، ونصف فؤاده: قدم نصف الثاني للمحافظة على الوزن.

ما كل ما يتمنى المرء يدركه: قدمت أداة النفي على أداة العموم لإفادة سلب العموم ونفي الشمول.

جميع العقلاء لايسعون في الشر: قدمت أداة العموم على أداة النفي لإفادة عموم السلب وشمول النفي.

﴿**وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾ [آل عمران: ١٢٢]: قدم الجار والمجرور للتخصيص.

ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا

[الوافر]

الجملة الأولى خبرية اسمية، من الضرب الابتدائي، والمراد بالخبر إظهار الفخر والشجاعة. المسند إليه نحن. ذكر لأن ذكره الأصل. وقدم للتعظيم، وعرف بالإضمار لكون المقام للتكلم مع الاختصار. والمسند التاركون. ذكر وأخر لأن الأصل ذلك.

وأنت الذي أخـــلفتني مـا وعـدتني وأشمتَّ بي مـــن كـــان فـيك يـلوم

[الطويل]

جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي. والمراد بالخبر التوبيخ. المسند إليه أنت ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك. وعرف بالإضمار لكون المقام للخطاب مع الاختصار والمسند لفظة الذي، وقد ذكر وأخر لأن الأصل فـيه ذلك وعـرف بـالموصولية للـتعليل. يـعني أن إخلاف وعده كان سبب الشماتة واللوم. وأما جملة أشمتَّ فمعطوفة على جمـلة أخـلفت ووصلت بها لما تقدم. وعرف المسند إليه وهو الفاعل في يـلوم بـالاضمار لكـون المـقام للغيبة مع الاختصار.

أبولهب فعل كذا: جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الاسناد. والمراد بالخبر أصل الفائدة لمن يجهل ذلك. المسند إليه أبولهب. ذكـر وقـدم لأن الأصل فيه ذلك. وعرف بالعلمية كناية عن كونه جهنمياً.

أسئلة على أحوال المسند إليه يطلب أجوبتها

ما هو المسند إليه؟ ماهي أحواله؟ متى يجب ذكره؟ ما هي الوجوه الّتي نرجح ذكره عند وجود القرينة، متى يحذف؟ماالفرق بين المعرفة والنكرة؟ لم يعرّف المسند إليه بالإضمار؟ ما هوالأصل في الخطاب؟ ما الإصل في وضع الضمير؟ لم يعرّف المسند إليه بالعلمية؟ لم يعرّف بالإشارة؟ لم يعرّف بالموصولية؟ لم يعرّف بالنداء؟ لأي شيء ينكر المسند إليـه؟ لم يـقدّم المسند إليه؟ ما الفرق بين عموم السلب و سلب العموم؟ لم يؤخر المسند إليه؟

الباب الرابع

في المسند وأحواله[1]

المُسْند، هو: الخبر، والفعل التام؛ واسم الفعل، والمبتدأ الوصف المستغني بمرفوعه عن الخبر وأخبار النواسخ، والمصدر النَّائب عن الفعل.

وأحواله: هي الذكر، والحذف، والتَّعريف، والتَّنكير، والتَّقديم، والتأخير، وغيرها وفي هذا الباب ثلاثة مباحث.

المبحث الأول

في ذكر المسند أو حذفه

يُذكر المسند للأغراض الّتي سبقت في ذكر المسند إليه، وذلك:

١ ـ ككون ذكره هوالأصل، ولا مُقتضَى للعُدول عنه، نحو: العلم خيرٌ من المال.

٢ ـ وكضَعف التَّعويل على دلالة القرينة، نحو: حالي مستقيم ورزقي ميسور، إذ لو حُذف ميسور لا يدلُّ عليه المذكور.

---

١ . وإنما ذكر المسند بعد المسند إليه لأن المسند محكوم به، والمسند إليه محكوم عليه، والمحكوم به مؤخر عن المحكوم عليه طبعاً، فاستحق ذلك الترتيب وضعاً.

ومبحث الذكر: لم يعرض له كثير كأبي هلال العسكري. و الإمام عبد القاهر ولعله يتعلق كثيراً بالنحو.

٣ ـ و كضعف تَنبُّه السَّامع، نحو: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤] إذ لو حُذف ثابت رُبما لا يتنبَّه السامع لضعف فهمه.

٤ ـ وكالرَّد على المخاطب، نحو: ﴿قُلْ يُحْيِيها الذي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩]، جواباً لقوله تعالى: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِي رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].

٥ – وكإفادة أنه: فِعْلٌ فيفيد التَّجَدّد والحدوث، ومُقَيَّداً بأحد الأزمنة الثلاثة بطريق الاختصار.

أو كإفادة أنه اسم فيفيد الثبوت مطلقاً، نحو: ﴿يُخَادِعُونَ الله وهو خادعهم﴾ [النساء: ١٤٢]. فإنَّ يخادعون تُفيد التَّجَدُّد مرَّة بعد أخرى، مُقَيَّداً بالزمن من غير افتقار إلى قرينة تدلّ عليه كذكر الآن أو الغد. وقوله: وهو خادعهم تُفيد الثّبوت مطلقاً من غير نظر إلى زمان.

ويُحذف المسند لأغراض كثيرة:

١ ـ منها إذا دلت عليه قرينة، وتعلَّق بتركه غرض مِمَّا مرَّ في حذف المسند إليه.

والقرينة: إمَّا مذكورة، كقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّموات والأرضَ لَيَقُولُنَّ الله﴾ [لقمان: ٢٥، الزمر: ٣٨] أي: خَلَقَهُنَّ الله. وإمَّا مُقَدَّرة، كقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ له فيها بالغدُوِّ والآصالِ رِجالٌ﴾ [النور: ٣٦] أى: يُسَبحهُ رِجالٌ، كأنَّه قيل: من يُسَبِّحُه؟

٢ ـ ومنها الاحتراز عن العَبث، نحو: ﴿إن الله بريءٌ مِنَ الْمُشركين ورسولُه﴾ [التوبة: ٣] أى: ورسوله بريء منهم أيضاً. فلو ذكر هذا المحذوف لكان ذكره عبثاً لعدم الحاجة اليه.

٣ ـ ومنها ضيق المقام عن إطالة الكلام، كقول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرَّأيُ مُخْتَلِف

أى: نحن بما عندنا راضُون، فحذف لضيق المقام.

٤ – ومنها اتباع ومجاراة ما جاء في استعمالاتهم الواردة عن العرب نحو: ﴿لو لا أنتم لكنا مؤمنين﴾ [سبأ: ٣١]. أى: لولا أنتم موجودون. وقولهم في المثل: رمية من غير رام أي هذه رمية.

تمرين

عيّن أسباب الحذف ونوع المحذوف في الأمثلة الآتية:

١ ـ نحو: ﴿ذَلكم أَزْكَى لَكُم وأَطْهَر واللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتمْ لاَ تَعْلَمُون﴾ [البقرة: ٢٣٢].

٢ ـ وقال عليه الصلاة والسلام: «عَلاَمَة المؤمِن ثَلاَثٌ: إذَا حَدَّث صَدَقَ، وإذَا وَعَدَ وفى، وإذا اؤتمنَ لم يخنْ».

٣ ـ وقال: «يقول ابن آدم، مَالِي مَالِي، وأنمَا لك من مالك ما أكَلتَ فَأفنيْتَ، أو لبستَ فأبليتَ، أو تصدَّقت فأبقيت».

٤ ـ وقال: «إن أحبّكم إليَّ وأقربَكم مني مجَالس يَوْمَ القيَامة، أحَاسِنكم أخلاقاً، الموطئونَ أكْنَافاً، الذينَ يَألَفونَ ويُؤلفونَ».

٥ ـ وقال أبو العتاهية: [الطويل]

جـزَى اللهُ عَـني صـالحاً بـوفائه ... وأضـعفَ أضـعافاً له في جـزائـه
صديقٌ إذا مـا جِـئتُ أبـغيهِ حـاجةً ... رَجـعتُ بمَـا أبـغي، ووجْـهي بمـائه

٦ ـ وقال البحتري يمدحَ الفَتح بن خاقان: [الطويل]

رزيـنٌ إذا القـوْمُ خـفتْ حُـلومُهم ... وقورٌ إذا مـا حـادثُ الدهـر أجـلَبَا
فتى لم يُـضيِّع وجـه حـزم ولم يَـبتْ ... يـلاحظُ أعـجَازَ الأُمـور تَـعُقَّبا

٧ ـ وقال الشاعر: [المجتث]

مـن قـاس جـدْواك يـوماً ... بـالسَّحْب أخْـطأ مـدحكْ
السُّـحْبُ تُـعطي وتَـبْكي ... وأنت تُـعْطي وتـضحكْ

٨ ـ وقال المتنبي: [الوافر]

ولمـا صـار ودُّ النـاس خـبّاً ... جـزَيْتُ عـلى ابـتسام بـابتسَام
وصرت أشُكُّ فـيمن أصـطفيه ... لعـلْمي أنـه بـعضُ الأنـام

٩ ـ وقال: [البسيط]

لو لا المشقَّةُ سادَ الناس كلهمُ ... الجُودُ يفقِرُ والإقدامُ قتَّالُ

١٠ ـ وقال أبوفراس: [مجزوء الكامل]

لا تطلبنَّ دنوَّ دار ... من خليل أو معاشرْ

أبقِ لأسباب المَودَّ ... ةِ أن تزُورَ ولا تعاشرْ

تدريب

عيّن أسباب الذكر في الأمثلة الآتية:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلذينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بأيْديهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا من عندِ اللهِ ليشترُوا بِه ثَمناً قَليلاً، فَوَيْلٌ لهمْ مِمَّا كَتَبَتْ أيْدِيهِم، وَ ويلٌ لهم مِمَّا يَكسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

٢ ـ وقال مروانُ بنُ أبي حفصَةَ يمدح معنَ بن زائدة: [الطويل]

بَنو مَطَرٍ يَوْمَ اللقاء كأنهم ... أُسُودٌ لها في بطن خفان أشْبُلُ

هم يَمْنعونَ الجارَ حتى كأنما ... لِجَارِهِمُ بَيْنَ السَّماكَين منزلُ

٣ ـ وقال السموألُ بن عادياء: [الطويل]

إذا المرءُ لم يدنس من اللؤْم عرضه ... فكلُّ رداءٍ يرْتديهِ جميل

وإن هو لم يحملْ على النفس ضيمها ... فَلَيْسَ إلى حسنِ الثناء سبيل

٤ ـ وقال أبوالعتاهية: [الطويل]

إذا أنت لم تشربْ مراراً على القذى ... ظمئْتَ وأيُّ الناس تصفو مشاربه

المبحث الثاني
في تعريف المسند أو تنكيره

تعريف المسند:

١ ـ لإفادة السامع حُكماً على أمر معلوم عنده بأمر آخر مثله: بإحدى طُرُق التعريف، نحو: هذا الخطيب، وذاك نقيب الأشراف.

٢ ـ ولإفادة قصره على المسند إليه حقيقة نحو: سعد الزعيم إذا لم يكن زعيم سواه أو إدعاءً مبالغة لكمال معناه في المسند إليه، نحو سعدٌ الوطنيُّ أي الكامل الوطنية، فيخرج الكلام في صورة تُوهم أن الوطنية لم توجد إلا فيه، لعدم الاعتداد بوطنية غيره.

وذلك: إذا كان المسند معرفاً بلام الجنس[1].

ويُنكّر المسند: «لعدم الموجب لتعريفه» وذلك:

١ ـ لعدم قصد إرادة العهد أو الحصر نحو: أنت أمير وهو وزير.

٢ ـ ولاتباع المسند إليه في التنكير نحو: تلميذ واقفٌ بالباب:

٣ ـ ولافادة التفخيم نحو: ﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة: ٢].

٤ ـ ولقصد التحقير نحو: ما خالد رجلاً يذكر.

---

١. على أن التعريف بلام الجنس لا يفيد احياناً القصر، كقول الخنساء [الوافر]

إذا قبح البكاء على قتيل ... وجدت بكاءك الحسن الجميل

فالخنساء: لا تقصد قصر الجنس على بكاء قتيلها، لكنها تريد أن تثبت له، وتخرجه من جنس بكاء غيره من القتلى فهو ليس من القصر في شيء.

المبحث الثالث

في تقديم المسند أو تأخيره

يقدم المسند: إذا وجد باعث على تقديمه كأن يكون عاملاً نحو: قام علي. أو مما له الصدارة في الكلام، نحو: أين الطريق؟ أو إذا أريد به غرض من الأغراض الآتية:

١ ـ التخصيص بالمسند إليه نحو: ﴿لله مُلك السموات والأرض﴾ [المائدة: ١٢٠].

٢ ـ التنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت كقوله: [الطويل]

له همـمٌ لا منتهى لكبارها ... وهمته الصغرى أجلّ من الدهر

له راحةٌ لو أن معشار جودها ... على البر كان البر أندى من البحر

فلو قيل: همم له، لتوهم ابتداء كون له صفة لما قبله.

٣ ـ التشويق للمتأخر، إذا كان في المتقدم ما يشوق لذكره. كتقديم المسند في قوله تعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ [آل عمران: ١٩٠].

وكقوله: [الكامل]

خير الصنائع في الأنام صنيعةٌ ... تنبو بحاملها عن الإذلال

٤ ـ التفاؤل: كما تقول للمريض: في عافية أنت. وكقوله: [الكامل]

سعدت بغرة وجهك الأيامُ ... وتزينت بلقائك الأعوامُ

٥ ـ ومنها: إفادة قصر المسند إليه على المسند نحو: ﴿لكم دينكم ولىَ دين﴾ [الكافرون: ٦]، أي دينكم مقصورٌ عليكم وديني مقصور عليّ.

٦ – ومنها: المساءة نكاية بالمخاطب: كقول المتنبي: [الطويل]

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدوّاً له ما من صداقته بُدُّ

٧ ـ ومنها: تعجيل المسرة للمخاطب، أو التعجب، أو التعظيم، أو المدح، أو الذم، أو الترحم، أو الدعاء. نحو: لله درّك، وعظيم أنت يا ألله، ونعم الزعيم سعد، وهلم جرا. وبئس الرجل خليل، وفقير أبوك، ومباركٌ وصولك بالسلامة.

ويؤخر المسند لأنَّ تأخيره هو الاصل، وتقديم المسند إليه أهم، نحو: الوطن عزيز.

خاتمة

وينقسم المسند من حيث الإفراد وعدمه إلى قسمين ـ مفرد ـ وجملة، فالمسند المفرد قسمان: فعل ـ نحو قدم سعد ـ واسم: نحو سعد قادم. والمسند الجملة ثلاثة أنواع:

١ ـ أن يكون سببياً نحو خليل أبوه منتصر، أو أبوه انتصر، أو انتصر أبوه.

٢ ـ وأن يقصد تخصيص الحكم بالمسند إليه، نحو أنا سعيت في حاجتك أي الساعي فيها أنا لا غيري.

٣ ـ وأن يقصد تأكيد الحكم نحو: سعد حضر.

وذلك: لما في الجملة: من تكرار الإسناد مرتين.

ويؤتى بالمسند: ظرفاً للاختصار، نحو خليل عندك. وجاراً و مجروراً، نحو: محمود في المدرسة.

تمرين

بيّن أسباب التقديم و التأخير فيما يأتي:

١ ـ ما كلّ ما فوق البسيطة كافياً فإذا قنعت فبعض شيء كافي[١]

[الكامل]

٢ ـ إذا شئت يوماً أن تسود عشيرة فبالحلم سدْ لا بالتسرع والشتم[٢]

[الكامل]

٣ ـ ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر[٣]

[البسيط]

٤ ـ أفي الحق أن يعطى ثلاثون شاعراً ويحرم ما دون الرضا شاعر مثلي[٤]

[البسيط]

٥ ـ فكيف وكلٌّ ليس يعدو حمامه وما لا مرىء عما قضى الله مرحل[٥]

[الكامل]

---

١. قدم حرف النفي وهو «ما» على لفظ العموم وهو «كل» ليدل على عموم السلب، والمعنى لا يكفيك جميع ما على الأرض إذا كنت طامعاً.

٢. قدم الجار والمجرور في قوله (بالحلم سد) ليدل على التخصيص، أي إنك تسود بالحلم لا بغيره. وكذا إذا تقدم الظرف. وما أشبههما، مما رتبته التأخير: كما سلف.

٣. قدم العدد وهو ثلاثة وأخر المعدود ليشوق إليه لأن الأنسان إذا سمع العدد مجموعاً يشتاق إلى تفصيل آحاده.

٤. قدم الجار المجرور بعد الاستفهام في قوله أفي الحق أن يعطى، ليدل على أن ذلك المقدم هو محط الأنكار. فتحليل المعنى: أنه لا ينكر الاعطاء، ولكنه ينكر أن يعد ذلك حقاً وصواباً مع حرمانه هو.

٥. قدم أداة العموم على أداة السلب في قوله: (كل ليس يعدو) ليدل على عموم السلب، أي أن الناس واحداً واحداً يشملهم حكم الموت ولا مفر منه.

٧ ـ وقال الله تعالى: ﴿بل الله فَاعْبُدْ، وكن من الشاكرين﴾ [الزمر: ٦٦][1].

٨ ـ بك اقتدت الأيـام في حسناتها وشـيمتها لولاك هـمٌّ وتكـريب

[الكامل]

تطبيق عام على أحوال المسند

لما صدأت مرآة الجنان، قصدت لجلائها بعض الجنان: الجملة الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها وهو قصدت. وهي خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، وامراد بها أصل الفائدة المسند قصد. ذكر: لأن ذكره الأصل. وقدم لإفادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار. والمسند إليه التاء ذكر لأن الأصل فيه ذلك، وأخر لاقتضاء المقام تقديم المسند، وعرف بالإضمار لكون المقام للمتكلم مع الاختصار.

كأنه الكوثر الفياض: جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، والمراد بها المدح، فتي تفيد الاستمرار بقرينة المدح، المسن إليه الهاء، ذكر و قدم لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بالإضمار لكون المقام للغيبة مع الاختصار، والمسند الكوثر ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بأل للعهد الذهني.

كتاب في صحائفه حكم: التنكير في هذه الجملة للتعظيم.

ما هذا الرجل إنساناً: نكر المسند إنساناً للتحقير.

له همم لا منتهى لكبارها: المسند له قدم لإفادة أنه خبر من أول الأمر لأنه لو تأخر لتوهم أنه صفة المسند إليه لأنه نكرة.

---

١. قدم المفعول على الفعل في قوله: (الله فاعبد) ليدل على التخصيص أي اعبد الله ولا تعبد غيره.

﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ [الإخلاص: ٤]: قدم المسند كفواً على المسند إليه أحد للمحافظة على الفاصلة، على رأى بعضهم والمنصوص عليه في كتب التفسير المعتبرة أن التقديم للمبادرة إلى نفي المثل.

زهرة العلم أنضر من زهرة الروضة: جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي والمراد بها الاستمرار بقرينة المدح، المسند إليه زهرة العلم ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بالإضافة الى العلم لتعظيمه، والمسند أنضر. ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك، ونكر لتعظيمه.

غلامي سافر، أخي ذهبت جاريته، أنا أحب المطالعة، الحق ظهر، العضب آخره ندم: أتى بالمسند في هذه المثل جملة لتقوية الحكم لما فيها من تكرار الإسناد.

الباب الخامس

في الاطلاق[1] والتقييد

إذا اقتصر في الجملة على ذكر جزأيها المسند إليه و المسند فالحكم مطلق وذلك: حين لا يتعلق الغرض بتقييد الحكم بوجه من الوجوه ليذهب السامع فيه كل مذهب ممكن.

وإذا زيد عليهما شيء مما يتعلق بهما أو بأحدهما. فالحكم مقيد وذلك: حيث يراد زيادة الفائدة وتقويتها عندالسامع، لما هو معروف من أن الحكم كلما كثرت قيوده ازداد إيضاحاً وتخصيصاً، فتكون فائدته أتم وأكمل، ولو حذف القيد لكان الكلام كذباً أو غير مقصود نحو. قوله تعالى: ﴿وما خَلَقنَا السموات والأرضَ وما بينهما لاعبين﴾ [الأنبياء: ١٦]. فلو حذف الحال وهو لاعبين لكان الكلام كذباً. بدليل المشاهدة والواقع. ونحو: قوله تعالى: ﴿يكاد زيتها يضيء﴾ [النور: ٣٥] إذ لو حذف (يكاد) لفات الغرض المقصود، وهو إفادة المقاربة.

---

١ . الاطلاق والتقييد: وصفان للحكم. فالاطلاق أن يقتصر في الجملة على ذكر (المسند والمسند إليه) حيث لا غرض يدعو إلى حصر الحكم، ضمن نطاق معين بوجه من الوجوه، نحو: الوطن عزيز، والتقييد أن يزاد على المسند والمسند إليه شيء يتعلق بهما، أو بأحدهما، مما لو أغفل لفاتت الفائدة المقصودة أو كان الحكم كاذباً نحو: الولد النجيب يسر أهله.

واعلم: أن معرفة خواص التراكيب وأسرار الأساليب وما فيها من دقيق الوضع، وباهر الصنع، ولطائف المزايا، يسترعي لُبك، إلى أن التقييد بأحد الأنواع الآتية: يكون لزيادة الفائدة، و تقويتها عند السامع. لما هو معروف من أن الحكم كلما ازدادت قيوده ازداد إيضاحاً وتخصيصاً.

والتقييد يكون: بالتوابع، و ضمير الفصل، والنواسخ، وأدوات الشرط، والنفي، والمفاعيل الخمسة، والحال، والتمييز، وفي هذا الباب جملة مباحث[1].

المبحث الأول
في التقييد بالنّعت

أما النعت: فيؤتى به للمقاصد و الأغراض الّتي يدل عليها.

أ ـ منها: تخصيص المنعوت بصفة تميِّزه إن كان نكرة، نحو: جاءني رجل تاجر.

ب ـ ومنها: توضيح المنعوت إذا كان معرفة لغرض:

١ ـ الكشف عن حقيقته، نحو: الجسم الطويل، العريض، يشغل حَيِّزاً من الفراغ.

٢ ـ أو التأكيد، نحو: وأمسِ الدَّابرُ كان يوماً عظيماً.

٣ ـ أو المدح، نحو: حضر سعد المنصور.

٤ ـ أو الذم، نحو: فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم

٥ ـ أو الترحم، نحو: قَدِم زيد المسكينُ.

---

١ . اعلم أن التقييد: يكون لتمام الفائدة، لما تقرر من أن الحكم كلما زاد قيده زاد خصوصية، و كلما زاد خصوصية زادت فائدته. لا فرق بين المسند إليه أو مسند أو غيرهما، كما لا فرق بين تقييده بالتوابع أو غيرها.

المبحث الثاني في التقييد بالتوكيد

أما التوكيد: فيؤتى به للأغراض الّتي يدل عليها، فيكون:

١ ـ لمجرد التقرير، وتحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السامع. ونحو: جاء الأميرُ الأميرُ.

٢ ـ وللتقرير مع دفع توهم خلاف الظاهر نحو: جاءني الامير نفسه.

٣ ـ وللتقرير مع دفع توهم عدم الشمول نحو: ﴿فسجدَ الملائكة كلهمْ أجمعون﴾ [الحجر: ٣٠].

٤ ـ ولإرادة انتقاش معناه في ذهن السامع نحو: ﴿اسْكُنْ أنتَ وزوجُك الجنة﴾ [البقرة: ٣٥].

المبحث الثالث في التقييد بعطف البيان

أما عطف البيان: فيؤتى به لمقاصد والأغراض الّتي يدل عليها، فيكون:

أ ـ لمجرد التوضيح للمتبوع باسم مختص به[1]

ب ـ وللمدح: كقوله تعالى: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس﴾ [المائدة: ٩٧] فالبيت الحرام، عطف بيان: للمدح.

المبحث الرابع في التقييد بعطف النسق

أما عطف النسق: فيؤتى به للإغراض الآتية:

١ – لتفصيل المسند إليه باختصار، نحو: جاء سعد و سعيد، فإنه أخصر من: جاء سعد، وجاء سعيد، ولا يعلم منه تفصيل المسند لأن الواو لمطلق الجمع.

---

١. يكفي في التوضيح: أن يوضح الثاني الأول، عند الاجتماع، وإن لم يكن أوضح منه عند الانفراد، نحو علي زين العابدين، ونحو: عسجد ذهب.

٢ ـ ولتفصيل المسند مع الاختصار ايضاً، نحو: جاء نصر فمنصور[١] أو ثم منصور، أو قدم الحجيج حتى المشاة، لأن هذه الأحرف الثلاثة مشتركة في تفصيل المسند، إلا أن الأول يفيد الترتيب مع التعقيب، والثاني يفيد الترتيب مع التراخي، والثالث يفيد ترتيب أجزاء ما قبله، ذاهباً من الاقوى إلى الأضعف، أو بالعكس، نحو: مات الناس حتى الأنبياء.

٣ ـ ولرد السامع إلى الصواب مع الاختصار، نحو جاء نصر، لا منصور.

٤ ـ ولصرف الحكم إلى آخر، نحو: ما جاء منصور، بل نصر.

٥ ـ وللشك من المتكلم أو التشكيك للسامع، أو للإبهام. نحو قوله تعالى: ﴿وإنا أو إياكم لعَلى هُدًى أوْ في ضلال مُبين﴾ [سبأ: ٢٤].

٦ ـ وللإباحة أو التخيير.

مثال الأول: تعلم نحواً أو صرفاً. أو نحو: تعلم إما صرفاً وإما نحواً.

ومثال الثاني: تزوج هنداً أو أختها أو نحو: تزوج إما هنداً وإما أختها.

---

١. قد تجيء الفاء للتعقيب في الذكر: دون الزمان، إما مع ترتيب ذكر الثاني على الأول: كما في تفصيل الإجمال في قوله تعالى: ﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي﴾ ونحو قوله تعالى: ﴿ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾. وأما بدون ترتيب: وذلك عند تكرير اللفظ الأول نحو: بالله، فبالله، وقد تجيء ثم للتراخي في الذكر: دون الزمان، إما مع الترتيب المذكور. نحو: [الخفيف]

أن مـن سـاد ثم سـاد أبـوه ... ثم سـاد من قبل ذلك جده

ونحو: [الطويل]

هو الكلب وابن الكلب والكلب جده ... ولا خير في كلب تناسل من كلب

فإن الغرض ترتيب درجات حال الممدوح في البيت الأول. فابتدأ بسيادته، ثم بسيادة أبيه، ثم بسيادة جده. وإما بدون ترتيب، نحو: ﴿وما أدراك ما يوم الدين ثم ما إدراك ما يوم الدين﴾. ولاستبعاد مضمون جملة عن مضمون جملة أخرى، نحو: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ فنزلوا الترتيب في هذه الامور منزلة الترتيب الزماني. المستفاد منها بأصل الوضع. ولذا يكون استعمالها في هذه الأمور مجازاً.

المبحث الخامس في التقييد بالبدل

أما البدل: فيؤتى به للمقاصد والأغراض الّتي يدل عليها.

ويكون لزيادة التقرير و الإيضاح، لأن البدل مقصود بالحكم بعد إبهام نحو: حضر ابني علي، في بدل الكل.

ونحو: سافر الجند أغلبه، في بدل البعض. ونحو: نفعني الأستاذ علمه، في بدل الاشتمال.

ونحو: وجهك بدر شمس، في بدل الغلط[1]. وذلك: لإفادة المبالغة الّتي يقتضيها الحال.

المبحث السادس في التقييد بضمير الفصل

يؤتى **بضمير الفصل:** لإغراض كثيرة، منها:

١ ـ التخصيص، نحو: ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ [التوبة: ١٠٤] .

٢ ـ وتأكيد التخصيص إذا كان في التركيب مخصص آخر. كقوله تعالى: ﴿إن الله هو التواب الرحيم﴾ [التوبة ١١٨].

٣ ـ وتمييز الخبر عن الصفة، نحو: العالم هوالعامل بعلمه.

المبحث السابع في التقييد بالنواسخ

التقييد بها: يكون للأغراض الّتي تؤديها معاني ألفاظ النواسخ كالاستمرار أو لحكاية الحال الماضية في «كان»[2]. وكالتوقيت بزمن معين: في «ظل، وبات، وأصبح، وأمسى، وأضحى». وكالتوقيت بحالة معينة: في «مادام». وكالمقاربة: في كاد، وكرب، و«أوشك». وكالتأكيد: في إن و أنَّ، وكالتشبيه: في «كأنَّ». وكالاستدراك: في لكنَّ، و كالرجاء: في «لعلَّ». وكالتمني: في ليت، وكاليقين: في «وجد، وألفى، ودرى، وعلم». وكالظن: في خال، وزعم، وحسب، وكالتحول: في «اتخذ، وجعل، و صيَّر».

---

١ . لكن الحق الذي عليه الجمهور: أن بدل الغلط لا يقع في كلام البلغاء.

٢ . فالجملة تنعقد من الاسم والخبر، أو من المفعولين اللذين أصلهما مبتدأ وخبر ويكون الناسخ قيداً، فإذا قلت: رأيت الله أكبر كل شيء، فمعناه (الله أكبر كل شيء) على وجه العلم واليقين. وهكذا.

المبحث الثامن في التقييد بالشرط

التقييد به. يكون للأغراض الّتي تؤديها معاني أدوات الشرط. كالزمان في «متى، وأيان» والمكان في «أين، وأنى، وحيثما» والحال في «كيفما» واستيفاء ذلك وتحقيق الفرق بين تلك الأدوات يذكر في علم النحو. وإنما يفرق هنا بين إن، وإذا، ولو، لاختصاصها بمزايا تعد من وجوه البلاغة.

الفرق بين «إن، إذا، لو»

الأصل عدم جَزم وقطع المتكلم بوقوع الشرط في المستقبل مع إن. ومِن ثَمَّ كثُرَ أن تُستعمل، إنْ، في الأحوال الّتي يندُر وقوعها. ووجب أن يتلوها لفظ المضارع لاحتمال الشك في وقوعه[1].

بخلاف، إذا، فتُستعمل بحسب أصلها في كل ما يقطعُ المتكلمُ بوقوعه في المستقبل، ومن إجل هذا لا تُستعمل، إذا، إلا في الأحوال الكثيرة الوقوع ويتلوها الماضي لدلالته على الوقوع والحصول قطعاً. كقوله تعالى: ﴿فإذا جاءتهمُ الحسنةُ قالوا لنا هذه وأن تُصِبْهمْ سيئةٌ يطَّيَّرُوا بموسى ومَنْ معه﴾ [الأعراف: ١٣١]؛ فلكون مجيء الحسنة منه تعالى مُحققاً، ذكر هو والماضي مع إذا. وإنما كان ما ذُكر محققاً لأن المراد بها مطلق الحسنة الشامل لأنواع كثيرة من خِصْب، ورخاء، وكثرة أولاد، كما يفهم من التعريف بأل الجنسية في لفظة الحسنة، ولكون مجيء السيئة نادراً، ذُكر هو والمضارع مع إن. وإنما كان ما ذكر نادراً لأن المراد بها نوع قليل: وهو جدبٌ وبلاءٌ كما يُفهم من التنكير في سيئة على التقليل.

ولو: للشرط في الماضي مع الجزم والقطع بانتفائه، فيلزم انتفاء الجزاء. على أن الجزاء كان يمكن أن يقع، لو وُجد الشرط. ويجب كون جملتيها فعليّتين ماضيتين، نحو: لو إتقنت عملك لبلغت إملك. وتسمى لو حرف امتناع لامتناع، كقوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ [الأنبياء: ٢٢] و نحو: ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ [النحل: ٩]. أي انتفت هدايته إياكم، بسبب انتفاء مشيئته لها.

---

١ . ولذا: لا يقال إن طلعت الشمس أزرك. لأن طلوع الشمس مقطوع بوقوعه، وإنما يقال:إذا طلعت الشمس أزورك.

تنبيهات

الأول: علم مما تقدم: أن المقصود بالذات من الجملة الشرطية هو الجواب: فإذا قلت إن اجتهد فريد كافأته، كنت مخبراً بأنك ستكافئه، ولكن في حال حصول الاجتهاد، لا في عموم الأحوال[١]. ويتفرع على هذا: أنها تعد خبرية أو إنشائية باعتبار جوابها.

الثاني: ما تقدم من الفرق بين إن وإذا، هو مقتضى الظاهر.

وقد يخرج الكلام على خلافه، فتستعمل إن في الشرط المقطوع بثبوته أو نفيه لأغراض كثيرة:

أ ـ كالتجاهل: نحو قول المعتذر: إن كنت فعلت هذا فمن خطأ.

ب ـ وكتنزيل المخاطب العالم منزلة الجاهل لمخالفته مقتضى علمه. كقولك للمتكبر توبيخاً له: إن كنت من تراب فلا تفتخر.

حـ ـ وكتغليب غير المتصف بالشرط على المتصف به: كما إذا كان السفر قطعيّ الحصول لسعيد، غير قطعيّ لخليل، فتقول إن سافرتما كان كذا[٢].

---

١. قال السكاكي: قد يقيد الفعل بالشرط لاعتبارات تستدعي التقييد به ولا يخرج الكلام بتقييده به عما كان عليه من الخبرية والإنشائية، فالجزاء إن كان خبراً: فالجملة خبرية نحو إن جئتني أكرمك أي أكرمك لمجيئك، وإن كان إنشاء فالجملة إنشائية: نحو إن جاءك خليل فأكرمه. إي إكرمه وقت مجيئه، فالحكم عنده في الجمل المصدرة بإن وأمثالها في الجزاء، وأما نفس الشرط فهو قيد للمسند فيه، وقد أخرجته الأداة عن الخبرية واحتمال الصدق والكذب.

٢. أي ففيه تغليب لمن لم يقطع له بالسفر على من قطع له به فاستعملت (إن) في المجزوم. وهو من قطع له به بسبب تغليبه على من لم يقطع له به، وهذا السبب مساغ لذكر (إن)، واعلم أن التغليب (الذي هو أن يعطى أحد المصطحبين، أو المتشاكلين حكم الآخر) باب واسع يجري في أساليب كثيرة نكات عديدة، سمحت بها المطولات في هذا المقام. واعلم أيضاً: أن المقصود بالذات من جملتي الشرط والجواب: هو جملة الجواب فقط، وأما جملة الشرط فهي قيد لها، فإذا قلت إن زارني سليم أكرمته فالمقصود أنك ستكرم سليماً، ولكن في حال زيارته لك. فتعد الجملة اسمية أو فعلية أو خبرية. أو إنشائية: باعتبار الجواب كما سبق توضيحه مفصلاً: فارجع إليه إن شئت.

وقد تستعمل إذا في الشرط المشكوك في ثبوته أو نفيه، لأغراض:

أ ـ منها: الإشعار بأن ذلك الشرط لا ينبغي أن يكون مشكوكاً فيه. بل ينبغي أن يكون مجزوماً به. نحو: إذا كثُر المطر في هذا العام أخصب الناس.

ب ـ ومنها: تغليب المتصف بالشرط على غير المتصف به. نحو: إذا لم تسافر كان كذا، وهلم جرّاً من عكس الأغراض الّتي سبقت.

الثالث: لما كانت إن، وإذا لتعليق الجزاء على حصول الشرط في المستقبل وجب أن يكون شرط وجزاء كل منهما جملة فعلية استقبالية لفظاً ومعنى، كقوله تعالى: ﴿وإنْ يستغيثوا يُغاثوا بماءٍ كالمهل﴾ [الكهف: ٢٩]. ونحو:

والنفس راغبة إذا رغّبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

[الكامل]

ولا يُعدل عن استقبالية الجملة لفظاً ومعنى، إلى استقباليتها معنى فقط، إلا لدواع غالباً.

منها: التفاؤل. نحو: إن عشت فعلت الخير[1].

ومنها: تخيُّل إظهار غير الحاصل وهو الاستقبال في صورة الحاصل وهو الماضي. نحو: إن مت كان ميراثي للفقراء.

الرابع: عُلم مما تقدم من كون لو للشرط في الماضي: لزوم كون جملتي شرطها وجزائها فعليتين ماضويّتين، وعدم ثبوتهما.

وهذا هو مقتضى الظاهر وقد يخرج الكلام على خلافه.

---

١ . وقد تستعمل «إن» في غير الاستقبال لفظاً و معنى. وذلك فيما إذا قصد بها تعليق الجزاء على حصول الشرط الماضي حقيقة كقول إبي العلاء المعري: [الطويل]

فيا وطني إن فاتني بك سابق من الدهر فلينعم بساكنك البال

وقد تستعمل «اذا» ايضاً في الماضي حقيقة نحو: ﴿حتى اذا ساوى بين الصدفين﴾ وللاستمرار نحو: ﴿اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾

فتستعمل لو في المضارع لدواع اقتضاها المقام، وذلك:

أ - كالإشارة إلى أن المضارع الذي دخلت عليه يقصد استمراره فيما مضى: وقتاً بعد وقت، وحصوله مرة بعد أخرى.

كقوله تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: ٧][١].

ب - وكتنزيل المضارع منزلة الماضي، لصدوره عمَّن المستقبل عنده كالماضي في تحقق الوقوع، ولا تخلف في أخباره. كقوله تعالى: ﴿ولو ترى إذِ الْمُجْرِمون ناكِسُو رُؤُوسِهِمْ عند ربهمْ﴾ [السجدة: ١٢][٢].

المبحث التاسع

في التقييد بالنفي

التقييد بالنفي: يكون لسلب النسبة على وجه مخصوص، مما تفيده أحرف النفي السبعة، وهي: لا، وما، ولات، وإنْ، ولنْ، ولم، ولمّا.

(فلا) للنفي مطلقاً و(ما، وإن، ولات) لنفي الحال. إن دخلت على المضارع و(لن) لنفي الاستقبال و(لم ولما) لنفي المُضيّ، إلا أنه (بلمّا) ينسحبُ إلى ما بعد زمن التكلم، ويختص بالمتوقع وعلى هذا فلا يقال: لمّا يقم خليلٌ ثم قام، ولا: لمّا يجتمع النقيضان كما يقال: لم يقم عليٌ ثم قام ولم يجتمع الضدان، فلمّا في النفي تقابل (قد) في الإثبات، وحينئذ يكون منفيّاً قريباً من الحال، فلا يصح: لمّا يجيء خليل في العام الماضي.

---

١. أي امتنع عنتكم. أي وقوعكم في جهد وهلاك بسبب امتناع استمراره فيما مضى على اطاعتكم.

٢. نزل وقوفهم على النار في يوم القيامة منزلة الماضي: فاستعمل فيه «إذ». ولفظ الماضي. وحينئذٍ فكان الظاهر أن يقال «ولو رأيت» بلفظ الماضي، لكن عدل عنه إلى المضارع تنزيلاً للمستقبل الصادر عمن لا خلاف في خبره. منزلة الماضي الذي علم و تحقّق معناه، كأنه قيل: قد انقضى هذا الأمر وما رأيته، ولو رأيته لرأيت أمراً فظيعاً.

المبحث العاشر

في التقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها

التقييد بها: يكون لبيان نوع الفعل، أو ما وقع عليه. أو فيه. أو لأجله أو بمقارنته، ويُقيد بالحال لبيان هيئة صاحبها وتقييد عاملها، ويُقيَّد بالتمييز لبيان ما خَفي من ذات أو نسبة. فتكون القيود هي محط الفائدة. والكلام بدونها كاذبٌ أو غيرَ مقصود بالذات كقوله تعالى: ﴿وما خلقنا السمواتِ والارضَ وما بينهما لاعبين﴾ [الأنبياء: ١٦].

وقد سبق القولُ في أول الباب مفصلاً، فارجع إليه إنْ شئت.

تنبيهات

الأول: عُلم مما تقدم أن التقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها للأغراض الّتي سبقت وتفيدها إذا كانت مذكورة. أما إذا كانت محذوفة فتفيد أغراضاً أخرى:

١ ـ منها: التعميم باختصار كقوله تعالى: ﴿واللهُ يدعُو إلى دار السلام﴾ [يونس: ٢٥]. أي جميع عباده لأن حذف المعمول يؤذن بالعموم[1]. ولو ذُكر لفات غرض الاختصار المناسب لمقتضى الحال.

٢ ـ ومنها: الاعتماد على تقدُّم ذكره كقوله تعالى: ﴿يمْحو اللهُ مَا يَشاءُ ويُثبتُ﴾ [الرعد: ٣٩] أي ويثبتُ ما يشاءُ.

---

١. أي ما لم يكن تعلق فعل المشيئة بالمفعول غريباً كقوله: [الطويل]

فلو شئت أن أبكي دماً لبكيته ... عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وأعددته ذخراً لكل ملمة ... وسهم المنايا بالذخائر أولع

فإن تعلق فعل إبكي ببكاء الدم غريب فلذا لم يحذف المفعول ليتقرر في نفس السامع.

٣ ـ ومنها: طلب الاختصار نحو: ﴿يغفِرُ لِمَنْ يشاء﴾ [الفتح: ١٤] أي يغفر الذنوب.

٤ ـ ومنها: استهجان التصريح به نحو قول عائشة: «ما رأيت منه ولا رأى منِّي» أي العورة.

٥ ـ ومنها: البيانُ بعد الإبهام كما في حذف مفعول فعل المشيئة[١]، ونحوها[٢] إذا وقع ذلك الفعل شرطاً. فإنَّ الجواب يدل عليه، ويبيِّنُه بعد إبهامه، فيكون أوقع في النفس، ويقدر المفعول مصدراً من فعل الجواب، نحو: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ﴾ [الكهف: ٢٩] أي فمن شاء الأيمان.

٦ ـ ومنها: المحافظة على سجع، أو وزن.

فالأول: كقوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ [الأعلى: ١٠]. إذ لو قيل: يخشى الله، لم يكن على سنن رؤوس الآي السابقة.

والثاني: كقول المتنبي: [الطويل]

بـناها فأعـلى والقـنا يـقرع القـنا ... ومـوجُ المـنايا حـولها مـتلاطمُ

أي: فأعلاها.

٧ ـ ومنها تعين المفعول نحو رعت الماشية، أي نباتاً.

٨ ـ ومنها: تنزيل المتعدي منزلة اللازم لعدم تعلق الغرض بالمعمول، بل يجعلُ المفعول منسياً، بحيث لا يكون ملحوظاً مقدراً. كما لا يلاحظ تعلق الفعل به أصلاً، كقوله تعالى: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ [الزمر: ٩][٣].

الثاني: الأصل في العامل أن يقدم على المعمول. وقد يعكس: فيقدم المعمول على العامل لأغراض شتى.

---

١. هذا التعميم وإن أمكن بذكر المفعول على صيغة العام؛ لكن يفوت الاختصار المطلوب.

٢. أي ما يرادفها في المعنى كالإرادة والمحبة.

٣. أي فالغرض مجرد إثبات العلم ونفيه، بدون ملاحظة تعلقه بمعلوم عام أو خاص، والمعنى: لا يستوي من ثبتت له حقيقة العلم، ومن لم تثبت له، فلو قدر له مفعول، وقيل: هل يستوي الذين يعلمون الدين، والذين لا يعلمونه، لفات هذا الغرض.

١ ـ منها: التخصيص نحو: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥][١]

٢ ـ ومنها: رد المخاطب إلى الصواب عند خطئه في تعيين المفعول نحو: نصراً رأيت، رداً لمن اعتقد أنك رأيت غيره.

٣ ـ ومنها: كون المتقدم[٢] محط الإنكار مع متعجب نحو: أبعد طول التجربة تنخدع بهذه الزخارف.

٤ ـ ومنها: رعاية موازاة رؤوس الآي نحو: ﴿خذوهُ فغلوه، ثم الجحيم صلّوه﴾ [الحاقة: ٣١] وهلم جرّا من بقية الأغراض الّتي سبقت.

تطبيق عام على الاطلاق والتقييد

إذا كـــنت في نـــعمة فـــارعها فـــإن المـعاصي تـزيل النـعم

[المتقارب]

جملة فارعها: إنشائية أمرية. والأمر مستعمل في أصل معناه، المسند إليه أنت وهي مقيدة بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل، ومقيدة بالشروط للتعليق؛ وكانت أداة الشرط (إذا) لتحقق الحصول «فإن المعاصي تزيل النعم» جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث،

---

١ . وذلك لأن المناسب لمقام عرض العبادة له تعالى تخصيصها به، لا مجرد الإخبار بأن العبادة له، فاستفادة التخصيص من التقديم إنما هي بحسب المقام، لا بأصل الوضع.

٢ . أي فيكون التقديم: التبرك: والتلذذ وموافقة كلام السامع. والاهتمام وضرورة الشعر. وغير ذلك.

واعلم أن اختلاف الترتيب بين المعمولات:

إما لأمر معنوي: نحو ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾، فلو أخر المجرور لتوهم أنه من صلة الفاعل. والمراد كونه من صلة فعله.

وإما لأمر لفظي: نحو ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ فلو قدم الفاعل لاختلفت الفواصل، لأنها مبنية على الألف، وقد يتقدم بعض المفاعيل على بعض، إما لأصالته في التقدم لفظاً: نحو حسبت زيداً كريماً فإن زيداً وإن كان مفعولاً في الحال لكنه مبتدأ في الأصل، أو معنى: نحو أعطى زيد عمراً درهماً، فإن عمراً وإن كان مفعولاً بالنسبة إلى زيد لكنه لا يخلو من معنى الفاعلية بالنسبة إلى الدرهم. لأنه آخذه، والدرهم مأخوذ.

والمراد بالخبر التحذير من المعاصي. المسند إليه (المعاصي) والمسند جملة: تزيل، وأتى به جملة: لتقوية الحكم بتكرار الأسناد، وقيد بالمفعول به «النعم» لبيان ما وقع عليه الفعل، والحكم مقيد بإن للتوكيد.

إن اجتهد خليل أكرمته: الجملة «أكرمته» وهي جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، المسند أكرم، والمسند إليه التاء، وهي مقيدة بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل وبالشرط للتعليق. وكانت أداة الشرط «إن» لعدم الجزم بوقوع الفعل.

وأصابت تلك الربى عين شمس أورثتها من لونها اصفرارا

[الخفيف]

كلما جال طرفها تترك النا س سكارى وما هم بسكارى

وأصابت تلك الربى جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي. والمراد بالخبر أصل الفائدة. المسند أصاب ذكر، لأن الأصل في ذلك. وقدم لإفادة الحدوث في الزمن الماضي مع الاختصار. والمسند إليه عين شمس. وذكر لأن الأصل فيه ذلك وأخر: لاقتضاء المقام تقديم المسند. وخصص بالإضافة لتعينها طريقاً لاحضار معناه في ذهن السامع، والمضاف إليه (شمس) قيد بالصفة «أورثتها من لونها» لأنها في محل جر صفة شمس للتخصيص، وقيد الحكم بالمفعول به «تلك» لبيان ما وقع عليه الفعل، وعرف المفعول به بالاشارة لبيان حاله في البعد. وقيد المفعول بالبدل «الربى» لتقدير حاله في نفس السامع «تترك الناس سكارى» هي الجملة الرئيسية، لأن الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها، وهي جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي، والمراد بالخبر التفخيم، المسند إليه الناس، ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك وعرف بأل للعهد الذهني، لأن المراد بالناس، الذين نظروا إليها، والمسند سكارى، ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك ونكر للتهويل، والحكم مقيد «بتترك» لإفادة التحويل، وبالشرط للتعلق، كانت أداة الشرط «كلما» لإفادة التكرار «وما هم بسكارى» جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث. والمراد بالخبر أصل الفائدة. والمسند إليه هم، والمسند سكارى والحكم مقيد بما لنفي الحال.

لا تيأسن وكن بالصبر معتصماً لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

[البسيط]

«لا تيأسن» جملة إنشائية نهيية، والمراد بالنهي الإرشاد، المسند لا تيأس والمسند إليه أنت. و«كن بالصبر معتصماً» أصلها: أنت معتصم بالصبر، وهي جملة إنشائية أمرية، والمراد بالأمر الإرشاد أيضاً، المسند إليه الضمير المستتر في كن والمسند معتصماً والحكم مقيد «بالصبر» لبيان ما وقع عليه الفعل، وبالأمر «كن» لإفادة التوقيت بالاستقبال.

«لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر» أصلها لن تبلغ المجد حتى تعلق الصبر، وهي جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائي، والمراد بالخبر الحث على الصبر. المسند تبلغ والمسند إليه أنت، الحكم مقيد بلن للنفي في المستقبل، وبالجار والمجرور لبيان غاية الفعل.

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

[الوافر]

في البيت جملة إنشائية، غير طلبية، وهي اسمية من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الإسناد، المسند إليه «الكرب» ذكر وقدّم لأن الأصل فيه ذلك وعرف بأل للعهد الذهني، وقيد بالنعت «الذي أمسيت فيه» لتوضيحه، والمسند يكون الخ، والحكم مقيد بعسى لإفادة الرجاء، وأما جملة النعت «الذي أمسيت فيه» فهي جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي: المسند إليه فيها التاء، والمسند الجار و المجرور والحكم مقيد بأمسى لإفادة المساء، وجملة الخبر (يكون وراءه فرج قريب) جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائي المسند إليه فيها «فرج» ذكر لأن الأصل فيه ذلك أخر لضرورة النظم، وقيد بالنعت «قريب» لإفادة القرب، والمسند وراءه ـ ذكر لأن الأصل فيه ذلك، وقدم للضرورة، والحكم مقيد بالناسخ «يكون» لإفادة الاستقبال.

الباب السادس

في أحوال متعلقات الفعل

متعلقات الفعل كثيرة منها: المفعول، والحال، والظرف، والجار والمجرور، وهذه المتعلقات أقل في الأهمية من ركني الجملة ومع ذلك فقد تتقدم عليهما أو على أحدهما:

يتقدَّم كلٌّ من الحال، والظرف، والجار و المجرور، لأغراض كثيرة.

١ ـ منها: تخصيصها بالفعل.

٢ ـ ومنها: كونها موضع الإنكار.

٣ ـ ومنها: مراعاة الفاصلة أو الوزن.

والأصل في المفعول: أن يُؤخَّر عن الفعل، ولا يُقدَّمُ عليه إلا لأغراض كثيرة.

١ ـ منها: التخصيص نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] رداً على من قال اعتقد غير ذلك.

٢ ـ ومنها: رعاية الفاصلة نحو: ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣١]

٣ ـ ومنها: التبرُّك نحو: قُرآناً كريماً تلوتُ.

٤ ـ ومنها: التلذذ نحو: الحبيبَ قابلتُ.

والأصل في العامل: أن يُقدم على المعمول، كما أن الأصل في المعمول أن تقدَّم عُمدته على فضلَته، فيحفظ هذا الأصل بين الفعل و الفاعل.

أما بين الفاعل والمفعول ونحوه: كالظرف، والجارِّ والمجرور، فيختلف الترتيب للأسباب الآتية:

أ ـ إمَّا لأمر معنويّ نحو: ﴿وجَاءَ مِنْ أقصى المدِينةِ رجلٌ يَسْعى﴾ [يس: ٢٠]. (فلو أخَّر المجرور لتُوُهِّم أنه من صلة الفاعل، وهو خلاف الواقع؛ لأنه صلةٌ لفعله).

ب ـ وإما لأمر لفظي نحو: ﴿وَلَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِم الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣]. فلو قدّم الفاعل لاختلفتِ الفواصلُ، لأنها مبنية على الألف.

جـ ـ وإما للأهميةِ نحو: قتل الخارجيَّ فلانٌ.

وأما تقديم الفضلات على بعض: فقد يكون.

١ ـ للأصالة في التقدُّم لفظاً نحو: حسبتُ الهلال طالعاً. فإنَّ الهلال ولو كان مفعولاً في الحال، لكنه مبتدأ في الأصل.

أو للأصالة في التقدُّم معنى وذلك كالمفعول الأول في نحو: أعطى الأمير الوزير جائزة، فإن الوزير، وإن كان مفعولاً بالنسبة إلى الأمير، لكنه فاعل في المعنى بالنسبة إلى الجائزة[1].

٢ ـ أو لإخلال في تأخيره نحو: مررت راكباً بفلان، فلو أخرت الحال لتوهّم أنها حال من المجرور، وهو خلاف الواقع، فإنها حال من الفاعل والأصل في المفعول ذكره؛ ولا يحذف إلا لاغراض تقدم ذكرها.

---

١. لأنّ الجائزة مأخوذة، والآخذ لها الوزير الذي فيه معنى الفاعلية الّتي تستدعي حق التقدم.

تطبيق

بيّن المتقدم من ركني الجملة، ومتعلقات الفعل، وسبب تقدمه.

١ ـ قال الله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الآخرة والأولى﴾ [النجم: ٢٥].

٢ ـ وكتب ابن المُعتز لأحد خُلانه: قلبي نَجِيُّ ذكْرِك، ولسَاني خادمُ شُكرك.

٣ ـ وقال الله تعالى: ﴿الله يبسط الرّزق لِمنْ يشاء ويقدر﴾ [الرعد: ٢٦].

٤ ـ كـل حـي وإن أقـام كـنوح ... في أمـان مـن الرّدى سـوف يـفنى

[الخفيف]

٥ ـ أنشـا يمـزق أثـوابي يـودبني ... أبـعد شـيبي يـبغي عـندي الأدبـا

[البسيط]

٦ ـ منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب مال.

٧ ـ عباسُ مـولاي أهـداني مـظلته ... يـظلل الله عـباساً ويسرعاه

[البسيط]

٨ ـ ما كل مـا يـتمنى المـرءُ يـدركه ... تجري الرياح بمـا لا تشـتهي الـسفنُ

[البسيط]

الجملة	نوع المتقدم	سبب تقدمه
١ ـ فللّه الآخرة والأولى	خبر	تخصيص الخبر بالمبتدأ
٢ ـ قلبي. ولساني	مبتدأ	أنه الأصل
٣ ـ الله يبسط الرزق	مبتدأ	تخصيصه الخبر
٤ ـ كل حي وإن أقام	مبتدأ	إفادة التعميم
٥ ـ أبعد شيبي يبغي	ظرف	موضع الإنكار
٦ ـ منهومان لا يشبعان	مبتدأ	التشويق إلى المبتدأ
٧ ـ عباس مولاي	مبتدأ	التعظيم
٨ ـ ما كل ما يتمنى المرء يدركه	مبتدأ	نفي العموم

تدريب

العبارات الآتية تقدم فيها بعض أجزاء الكلام على بعض. اذكر المتقدم، وبيِّن نوعه في كل عبارة:

١ ـ قال تعالى: ﴿فويلٌ لهم مما كتبتْ أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون﴾ [البقرة: ٧٩].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهْجَعُون، وبالأسحار هم يستغفرون﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨].

٣ ـ اثنان لا يستغني عنهما إنسان: العلم والمال.

٤ ـ قال عليه الصلاة والسلام: «إخوانكم خَوَلُكم، جعلهم الله تحت أيديكم».

٥ ـ قبيحٌ أنْ يحتاجَ الحارسُ إلى مَنْ يحرسُه.

٦ ـ إلى الله كلُّ الأمْرِ في الخلق كلهم وليس إلى المخلوق شيء من الأمر

[الطويل]

تمرين

عيِّن المتقدم من ركني الجملة أو من متعلقات الفعل، واذكر سبب تقدمه:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [البقرة: ٥٧].

٢ ـ وقال الله تعالى: ﴿وله من في السموات والأرض؛ كلٌّ له قانتون﴾ [الروم: ٢٦].

٣ ـ وقال الله تعالى: ﴿قالوا الآن جئت بالحق﴾ [البقرة: ٧١].

٤ ـ الدُّنيا دارُ عناء، ليس لأحد فيها البقاء، وغداً تسرّ أو تُسَاء.

٥ ـ أَلْقَتْ مقاليدَها الدنيا إلى رجل ما زال وَقْفاً عليه الجود والكرم

[البسيط]

بأيّ لفظٍ تقول الشعر زعنفةٌ تجوز عندك الا عُرْبٌ ولا عجم

[البسيط]

الباب السابع

في القصر

القصر: لغة الحبس، قال الله تعالى: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ [الرحمن: ٧٢] واصطلاحاً: هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص.

والشيء الأول: هو المقصور. والشيء الثاني: هو المقصور عليه. والطريق المخصوص لذلك التَّخصيص يكون بالطُّرُق والأدوات الآتية: نحو: ما شوقي إلا شاعر؛ فمعناه تخصيص شوقي بالشعر وقصره عليه، ونفي صفة الكتابة عنه رداً على مَنْ ظنَّ أنَّه شاعر، و كاتب. والذي دلَّ على هذا التخصيص هو النفي بكلمة ما المتقدمة، والاستثناء بكلمة إلاَّ الّتي قبل الخبر. فما قبل إلاَّ، وهو شوقي يسَمَّى مقصوراً، وما بعدها وهو شاعر يسمَّى مقصوراً عليه، وما وإلاَّ، طريق القصر وأدواته. ولو قلت شوقي شاعرٌ بدون نفي و استثناء ما فُهم هذا التَّخصيص.

ولهذا، يكون لكل قصر طرفان مقصور، ومقصور عليه. ويُعْرَفُ المقصور بأنَّهُ هو الذي يُؤلف مع المقصور عليه الجملة الأصلية في الكلام.

ومن هذا تعلم أن القصر: هو تخصيص الحكم بالمذكور في الكلام ونفيه عن سِواهُ بطريقٍ من الطرق الآتية:

وفي هذا الباب اربعة مباحث.

المبحث الأول في طُرُق القصر

للقصر طُرُق كثيرة، وأشهرها في الاستعمال أربعة[١]، وهي:

---

١. و من طرق القصر الّتي ليست مشهورة الاستعمال لفظ: وحده أو: فقط أو: لا غير. أو: ليس غير. أو: مادة الاختصاص، أو: مادة القصر، أو توسط ضمير الفصل. أو: تعريف المسند إليه. أو تقديم المسند إليه على خبره الفعلي أحياناً وغير ذلك وهذه الطرق خالية من اللطائف البلاغية وقد أوصلها «جلال الدين السيوطي» في كتابه «الاتقان في علوم القرآن» إلى أربعة عشر طريقاً. أهمها الطرق الأربعة المشهورة الاستعمال، وهي تختلف مع بعضها من أوجه كثيرة.

منها: أن «لا» العاطفة لا تجتمع مع النفي والاستثناء: لأن شرط المنفي بها ألا يكون منفياً صريحاً قبلها بغيرها فلا تقول: ما عني إلا مجتهد لا متكاسل، ولذا عيب على الحريري قوله: [الطويل]

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه ... على ما تجلى يومه لا ابن أمسه

وتحتمل «لا» مع «إنما» أو «التقديم» نحو إنما أنا مصري لا سوري ونحو المجتهد أكرمت لا الكسلان، لأن النفي فيهما غير مصرح به.

ومنها: إن الأصل في الحكم من النفي والاستثناء أن يكون مجهولاً منكراً للمخاطب «أي شأنه أن يجهله المخاطب وينكره» بخلاف «إنما» لأن النفي مع الاستثناء لصراحته أقوى في التأكيد من «إنما» فينبغي أن يكون لشديد الإنكار. ونحو: قولك «وقد رأيت شبحاً من بعد»: ما هو إلا زيد لمن اعتقد أنه غيره، ونحو:﴿إن أنتم إلا بشر مثلنا﴾ لما كانوا مصرين على دعوى الرسالة مع زعم المكذبين امتناع الرسالة في البشر. رد المكذبون اصرارهم عليهم بقولهم ذلك.

وقد ينزل المعلوم منزلة المجهول لغرض بلاغي، فيستعمل فيه النفي والاستثناء، نحو «وما محمد إلا رسول» فقد قصر الله محمداً على صفة الرسالة ونفى عنه أن يظن في أمره الخلود، فلا يموت أو يقتل. وهذا معلوم للصحابة، لكن لاستعظامهم موته، لشدة حرصهم على بقائه ﷺ، نزلوا منزلة من لا يعلمه.

وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم، نحو: ﴿إنما نحن مصلحون﴾ لادعائهم أن كونهم مصلحين أمر ظاهر، ولهذا رد عليهم بقوله: ﴿ألا إنهم هم المفسدون﴾ مؤكداً بما ترى بالجملة، فالاستثناء لقوته يكون لرد شديد الإنكار حقيقة، أو ادعاء و«إنما» لضعفها تكون لرد الإنكار في الجملة حقيقة أو ادعاء، ويكون للقصر «بإنما» مزية

←

أولاً: يكون القصر بالنفي والاستثناء[1]، نحو: ما شوقي إلا شاعر أو ما شاعر إلا شوقي.

ثانياً: يكون القصر بإنما نحو: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨] وكقول الشاعر:

إنمـــا يشـــتري المحـــامد حـــر طـــاب نـــفساً لهـــن بـــالأثمان

[الخفيف]

ثالثاً: يكون القصر بالعطف بلا، وبل، ولكن، نحو: الأرض متحركة لا ثابتة، وكقول الشاعر:

عـــمرُ الفـتى ذكـره لا طـول مـدته ومـــوته خـــزيه لا يـــومه الداني

[البـــيط]

وكقوله: [الكامل]

مـــا نـــال في دنـــياه وان بـــغية لكـــن أخـــو حـــزم يجـدّ ويـعمل

رابعاً: يكون القصر بتقديم ما حقه التأخير نحو: ﴿إياك نعبد و إياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] أي نخصك بالعبادة والاستعانة.

١ ـ فالمقصور عليه في النفي والاستثناء هو المذكور بعد أداة الاستثناء نحو: وما توفيقي إلا بالله.

٢ ـ والمقصور عليه مع إنما: هو المذكور بعدها، ويكون مؤخراً في الجملة وجوباً، نحو:

→

على العطف لأنه يفهم منه الاثبات للمذكور، والنفي عما عداه معاً، بخلاف العطف لأنه يفهم منه أولاً الإثبات، ثم النفي: أو عكسه، نحو إنما خليل فاهم، خليل فاهم لا حافظ، وأحسن موقعها التعريض نحو: ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾.

واعلم أن «غير» كإلا: في إفادة القصر، وفي امتناع اجتماعه مع لا العاطفة، فلا يقال: ما علي غير شاعر لا منجم، و ما شاعر غير علي لا نصر.

١. يكون النفي بغير «ما» كقوله تعالى: ﴿إن هذا إلا ملك كريم﴾ كما يكون الاستثناء بغير «إلا» نحو:

لم يـبق ســواك تـلوذ بـه بـــا نخشـــاه مـــن المحـــن

[المتدارك]

إنما الدنيا غرور.

٣ ـ والمقصور عليه مع لا العاطفة: هو المذكور قبلها. والمُقابلُ لما بعدها. نحو: الفخر بالعلم لا بالمال.

٤ ـ والمقصور عليه مع بَلْ ولكن، العاطفتين: هو المذكور بعدهما نحو: ما الفخر بالمال بل بالعلم، ونحو: ما الفخر بالنَّسَب لكن بالتقوى.

٥ ـ والمقصور عليه في تقديم ما حقه التأخير: هو المذكور المتقدِّمُ نحو: على الله توكلنا، وكقول المتنبي: [الكامل]

ومن البليَّة عذل من لا يرعَوي ... عن غَيِّه وخطاب من لا يفهم

ملاحظات

أولاً: يشترط في كل من بل ولكن أن تُسْبق بنفي، أو نهي،وأن يكون المعطوف بهما مفرداً، وألا تقترن، لكن، بالواو.

ثانياً: يشترط في لا، إفراد معطوفها، وأن تُسْبق بإثبات، وألا يكون مابعدها داخلاً في عموم ماقبلها.

ثالثاً: يكون للقصر بإنما، مزية على العطف لأنها تفيد الإثبات للشيء، والنفي عن غيره دفعة واحدة، بخلاف العطف، فإنه يفهم منه الإثبات أولاً، ثم النفي ثانياً، أو عكسه.

رابعاً: التقديم: يدل على القصر بطريق الذوق السليم، والفكر الصائب، بخلاف الثلاث الباقية فتدل على القصر بالوضع اللغوي للأدوات.

خامساً: الأصل أن يتأخر المعمول على عامله إلا لضرورة. ومن يتتبع أساليب البلغاء في تقديم ما حقه التأخير: يجد بأنهم يريدون بذلك: التخصيص.

المبحث الثاني

في تقسيم القصر باعتبار الحقيقة والواقع إلى قسمين

الف ـ قصر حقيقي[١]: وهو أن يختصَّ المقصورُ بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع، بألاّ يتعداه إلى غيره أصلاً: نحو لا إلٰهَ إلّا اللّٰهُ.

ب ـ وقصر إضافي: وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر مُعَيَّن، لا لجميع ما عداه، نحو: ما المسافر الاخليل فإنك تقصد قصر السفر عليه بالنسبة لشخص غيره، كمحمود مثلاً وليس قصدك أنه لايوجد مُسَافر سواه إذ الواقع يشهد ببطلانه.

تنبيهات

الأول: الاصل في العطف أن ينص فيه على المثبت له الحكم، والمنفي عنه إلا إذا خيف التطويل، وفي الثلاثة الباقية ينص على المثبت فقط.

الثاني: النفي بلا العاطفة: لا يجتمع مع النفي والاستثناء، فلا تقول ما محمد إلا ذكي لا غبي. لأن شرط جواز النفي بلا، ألا يكون ماقبلها منفياً بغيرها.

ويجتمع النفي بلا العاطفة مع كل من إنما، والتقديم فتقول: إنما محمد ذكي لا غبي وبالذكاء يتقدم محمد لا بالغباوة.

والأصل في العطف بلا أن يتقدم عليه مثبت، ويتأخر منفي بعده. وقد يترك إيضاحه اختصاراً، مثل: علي يجيد السباحة لا غير. أي لا المصارعة، ولا الملاكمة ولا غير ذلك من الصفات.

الثالث: الأصل في النفي والاستثناء أن يجيء لأمر ينكره المخاطب، أو يشك فيه، أو لما هو منزل

---

١ . ومنه نوع يسمى: قصر «الحقيقي الادعائي» ويكون على سبيل المبالغة بفرض أن ما عدا المقصور عليه لا يعتد به.

هذه المنزلة: ومن الأخير قوله تعالى: ﴿وما أنت بمسمع من في القبور* إن أنت إلا نذير﴾ [فاطر: ٢٢، ٢٣].

الرابع: الأصل في إنما أن تجيء لأمر من شأنه ألا يجهله المخاطب، ولا ينكره، وإنما يراد تنبيهه فقط، أو لما هو منزل هذه المنزلة، فمن الأول قوله تعالى: ﴿إنما يستجيب الذين يسمعون﴾ [الانعام: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ [الرعد: ٤٠] ومن الثاني قوله تعالى حكاية عن اليهود: ﴿إنما نحن مصلحون﴾ [البقرة: ١١] فهم قد ادعوا أنّ إصلاحهم أمر جلي لا شك فيه، وقال الشاعر: [الطويل]

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما ... يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

أسباب ونتائج

الغاية من القصر تمكين الكلام وتقريره في الذهن، كقول الشاعر: [الطويل]

وما المرء إلا كالهلال وضوئه ... يوافي تمام الشهر ثم يغيب

وقد يراد بالقصر المبالغة في المعنى كقول الشاعر: [الطويل]

وما المرء إلا الأصغران لسانه ... ومعقوله والجسم خلق مصور

وكقوله: [مجزوء الكامل]

لا سيف إلا ذو الفقار ... ولا فتى إلا علي

وذوالفقار، لقب سيف الإمام عليّ عليه السلام.

والقصر: قد ينحو فيه الأديب مناحي شتى، كأن يتجه إلى القصر الإضافي، رغبة في المبالغة، كقوله: [الوافر]

وما الدنيا سوى حلم لذيذ ... تنبهه تباشير الصباح

وقد يكون من مرامي القصر التعريض كقوله تعالى: ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ [الرعد: ١٩] إذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها، ولكنها تعريض بالمشركين الذين في حكم من لا عقل له.

المبحث الثالث

في تقسيم القصر باعتبار طَرَفيه

ينقسم القصر باعتبار طرفيه: المقصُور والمقصور عليه. سواء أكان القصر حقيقياً أم إضافياً، إلى نوعين:

أ ـ قصر صفة على موصوف: هو أن تُحبسَ الصفة على موصوفها وتُختصّ به، فلا يتّصف بها غيره، وقد يتصف هذا الموصوف بغيرها من الصفات.

مثاله من الحقيقي: لا رازق إلاّ الله. ومثاله من الإضافي، نحو: لا زعيم إلا سعد.

ب ـ قصر موصوف على صفة، هو أن يحبس الموصوف على الصفة ويختصّ بها، دون غيرها، وقد يشاركه غيره فيها.

مثاله مِن الحقيقي، نحو: انّما الله جامع جميع صفات الكمال[1]. ومثاله من الإضافي، قوله تعالى: ﴿وما مُحَمَّدٌ إلا رَسولٌ[2] قد خَلَتْ منْ قبله الرسلُ أفإنْ ماتَ أوْ قتلَ انْقلبتم على اعقابكمْ، ومَنْ ينقلبْ على عقبيهِ فلن يضرَّ اللّهَ شيئاً﴾ [آل عمران: ١٤٤].

واعلم أن المراد بالصفة هنا الصفة المعنوية الّتي تدل على معنى قائم بشيء، سواء أكان اللفظ الدال عليه جامداً أو مشتقاً، فعلاً أو غير فعل، فالمراد بالصفة ما يحتاج إلى غيره ليقوم به كالفعل و نحوه وليس المراد بها (الصفة النحوية المسماة بالنعت).

---

١. قصر الموصوف على الصفة في القصر الحقيقي. لا يكاد يوجد لتعذر الاحاطة بصفات الشيء، حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها، ويكثر القصر الحقيقي في قصر الصفة على الموصوف، بخلاف القصر الإضافي الذي يأتي كثيراً في كل من قصر الصفة على الموصوف، وقصر الموصوف على الصفة.

٢. فقد قصر الله محمداً على صفة الرسالة، ونفى عنه أن يظن في أمره الخلود، فلايموت، أو يقتل.

المبحث الرابع

في تقسيم القصر الإضافي

ينقسم القصر الإضافي بنوعيه السّابقين[١] على حسب حال المخاطب إلى:

أ ـ **قصر إفراد**: إذا اعتقد المخاطب الشركة، نحو إنما الله إلهٌ واحدٌ، رَدّاً على من اعتقد أنَّ اللّهَ ثالثُ ثلاثةٍ.

ب ـ **قصر قلب**: إذا اعتقد المخاطب عكسَ الحكم الذي تثبته نحو: ما سافر إلا علي، رَدّاً على من اعتقد أن المسافرَ خليل لا عليٌّ. فقد قلبت وعكست عليه اعتقادَه.

جـ ـ **قصر تعيين**: إذا كان المخاطب يتردَّد في الحكم: كما إذا كان متردِّداً في كون الأرض متحركةً أو ثابتة، فتقول له: الأرض متحركة لا ثابتة، ردّاً على من شكَّ وتردَّد في ذلك الحكم.

واعلم إن القصر بنوعيه يقع بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل والفاعل وبين الفاعل والمفعول، وبين الحال و صاحبها وغير ذلك من المتعلقات، ولا يَقَعُ القصرُ مع المفعول معه.

والقصر من ضروب الإيجاز الذي هو أعظم ركن من أركان البلاغة، إذ إن جملة القصر في مقام جملتين، فقولك: ما كامل إلا الله تعادل، قولك: الكمال لله، وليس كاملاً غيره.

وأيضاً: القصرُ يحدد المعاني تحديداً كاملاً، ويكثر ذلك في المسائل العلمية: وما يماثلها.

---

١. بخلاف القصر الحقيقي بنوعيه، إذ العاقل لا يعتقد اتصاف أمر بجميع الصفات أو اتصافه بجميعها إلا واحدة، أو يتردد في ذلك، كيف وفي الصفات ما هي متقابلة فلا يصح أن يقصر الحكم على بعضها وينفى عن الباقي: إفراداً، أو قلباً، أو تعييناً. وعلى هذا المنوال قصر الصفة على الموصوف، كما في المطول.

تطبيق

وضّح فيما يلي نوع القصر وطريقه

١ ـ ما الدهرُ عندك إلا روضةٌ أُنُفٌ ... يا من شمائلهُ في دهره زَهَرُ

[البسيط]

٢ ـ ليس عارٌ بأن يُقَالُ فَقيرٌ ... إنما العار أن يقال بخيلُ

[الخفيف]

٣ ـ وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هُمُ ذهبتْ أخلاقهم ذهبوا *

[البسيط]

تمرين

عيِّن المقصور، والمقصور عليه، نوع القصر وطريقته، فيما يأتي:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿فذكِّرْ إنَّما أنتَ مذكِّرٌ لستَ عليهم بمصيطرٍ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢].

٢ ـ وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إنما أنَا بَشرٌ مِثْلكُم يُوحى إليَّ أنما إلهكُم إلهٌ واحدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

٣ ـ وقال تعالى: ﴿إنما يَفتري الْكذِب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأُولئك هُم الكاذبونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

٤ ـ قال ابن الرومي: [الكامل]

غلط الطبيبُ عَليَّ غلطةَ مُوردٍ ... عجزتْ موارده عن الإصدار

والناس يلحونَ الطبيبَ وإنما ... غلط الطبيب إصابة الأقدار

---

*

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	نوعه باعتبارالواقع	طريقه
١	ماالدهر...	موصوف على صفة	إضافي	النفي والاستثناء
٢	إنما العار...	موصوف على صفة	إضافي	إنما
٣	إنما الأمم...	موصوف على صفة	حقيقي ـ ادعائي	إنما

تطبيق عام على القصر وأنواعه والأبواب السابقة

لا حول ولا قوة إلا بالله: جملتان خبريتان اسميتان من الضرب الثالث لما فيهما من التوكيد بالقصر الذي هو أقوى طرق التوكيد. المسند إليه حول وقوة والمسند الجار والمجرور، ولا نظر لتقديم الخبر لأن ذلك مراعاة لقاعدة نحوية لا يعتبرها أهل المعاني ولا يعدون حذفه إيجازاً، والحكمان مقيدان بالنفي والاستثناء إياك وقدم المفعولين لإفادة القصر، ففيهما قصر صفة وهو التحول عن المعاصي، والقوة على الطاعة على موصوف وهو الذات الأقدس، وهو قصر إضافي طريقه النفي والاستثناء، ثم إن كان للرد على من يعتقد أن التحول عن المعاصي والقوة على الطاعة بغير الله تعالى فهو قصر قلب، أو على من يعتقد الشركة فهو إفراد، أو على من يتردد فهو تعيين.

﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ [الفاتحة: ٥]: جملتان خبريتان فعليتان من الضرب الثالث. المسند نعبد و نستعين، والمسند إليه الضمير المستتر فيهما، وهما مقيدتان بالمفعولين لإفادة القصر، ففيهما قصر صفة وهو العبادة والاستعانة، على موصوف وهو الذات الأقدس، طريقة تقديم ما حقه التأخير، وهو إضافي ثم إن كان للرد على من يعتقد أن المعبود غير الله تعالى، فهو: قلب أو على من يعتقد الشرك فهو إفراد، أو على من يتردد فهو تعيين.

إنما شوقي شاعر: فيه قصر موصوف وهو شوقي على صفة وهو الشعر، وطريقه إنما، وهو قلب أو إفراد، أو تعيين على حسب حال المخاطب.

الله الغفور الرحيم: فيه قصر الصفة وهو المغفرة والرحمة على موصوف وهو الله تعالى: طريقه تعريف المسند بأل.

وهو: قلب أو إفراد أو تعيين على حسب حال المردود عليه.

إنما الشجاع علي: فيه قصر صفة وهو الشجاعة على موصوف وهو عليّ وطريقه إنما.

المرء بآدابه لا بثيابه: فيه قصر الموصوف على الصفة، قصر قلب بين المسند إليه والمسند، طريقه العطف بلا.

إنما الإله واحد: فيه قصر الموصوف على الصفة، قصراً حقيقياً، طريقه إنما: وهو واقع بين المسند إليه والمسند.

الباب الثامن

في الوصل والفصل

تمهيد

العلم بمواقع الجمل والوقوف على ما ينبغي أن يصنع فيها من العطف و الاستئناف والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها أو تركها عند عدم الحاجة إليها صعب المسلك، لا يوفق للصواب فيه إلا من أوتي قسطاً موفوراً من البلاغة، وطبع على إدارك محاسنها، ورزق حظاً من المعرفة في ذوق الكلام، وذلك لغموض هذا الباب، ودقة مسلكه، وعظيم خطره وكثير فائدته: يدل لهذا، أنهم جعلوه حداً للبلاغة. فقد سئل عنها بعضُ البلغاء، فقال: هي معرفة الفصل والوصل.

تعريف الوصل والفصل في حدود البلاغة

الوصل عطف جملة على أخرى بالواو، والفصل ترك هذا العطف[1] بين الجملتين،

---

١ . إذا توالت الجملتان، لا يخلو الحال من أن يكون، للأولى محل من الإعراب، أو لا. وإن كان لها محل من الإعراب فلابد من أن يقصد تشريك الثانية لها في حكم الإعراب، أو لا. فإن قصد التشريك عطفت الثانية عليها نحو ﴿الله يحيي ويميت﴾، وإلا فصلت عنها نحو ﴿قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم﴾. لم يعطف قوله الله يستهزئ بهم على ما قبله لئلا يشاركه في حكم المفعولية للقول وهو ليس مما قالوه

والمجيء بها منثورة، تستأنفُ واحدة منها بعد الأخرى. **فالجملة الثانية:** تأتي في الأساليب البليغة مفصولة أحياناً، وموصولة أحياناً.

فمن الفصل، قوله تعالى: ﴿ولا تستَوِي الحسنةُ ولا السيئةُ ادْفعْ بالّتي هي أحسنُ﴾ [فصلت: ٣٤] فجملة ادفع مفصولة عمّا قبلها، ولو قيل: وادفع بالّتي هي أحسن، لما كان بليغاً.

ومن الوصل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقُوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة: ١١٩] عطف جملة: وكونوا على ما قبلها. ولو قيل: اتقو الله كونوا مع الصادقين، لما كان بليغاً.

فكل من الفصل والوصل يجيء لأسباب بلاغية. ومن هذا يُعلم أن الوصل جمع وربط بين جملتين بالواو خاصة لصلة بينهما في الصورة والمعنى، أو لدفع اللَّبس.

والفصل: ترك الربط بين الجملتين. إما لأنهما متحدتان صورة ومعنى، أو بمنزلة المتحدثين، وإما لأنه لا صلةَ بينهما في الصورة أو في المعنى.

←

كما سيأتي، وإن لم يكن لها محل من الإعراب، فإن كان لها حكم لم يقصد اعطاؤه للثانية وجب الفصل، دفعاً للتشريك بينهما، نحو ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد، الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾، لم يعطف (قوله الله يعلم) على ما قبله لئلا يشاركه في حكم القصر فيكون تعالى مقصوراً على هذا العلم، وإن لم يكن لها ذلك الحكم نحو: زيد خطيب وعمرو متشرع، أو قصد إعطاء حكمها للثانية نحو إنما زيد كاتب و عمرو شاعر، وجب الوصل كما رأيت، ما لم تكن إحدى الجملتين مطلقاً منقطعة عن الأخرى انقطاعاً كاملاً بحيث لا يصلح ارتباطها أو متصلة بها اتصالاً كاملاً بحيث لا تصح المغايرة بينهما. فيجب الفصل لتعذر ارتباط المنقطعتين بالعطف وعدم افتقار المتصلتين إلى ارتباط به. ويحمل شبه كل واحد من الكمالين عليه فيعطى حكمه، واعلم أنه لا يقبل في العطف إلا عطف المتناسبات مفردة أو جملاً بالواو أو غيرها، فالشرط وجود جهة جامعة بين المتعاطفات، فنحو الشمس والقمر والسماء والأرض. محدثة (مقبول) ونحو الشمس والأرنب والحمار. محدثة (غير مقبول) لكن اصلاحهم اختصاص الوصول والفصل (بالجملة، وبالواو) فلا يحسن الوصل إلا بين الجمل المتناسبة، لا المتحدة ولا المتباينة، وإلا فصل.

واعلم أنه إن وجدت الواو بدون معطوف عليه قدر مناسب للمقام، نحو (أو كلما عاهدوا عهداً) فتقدر (أكفروا وكلما عاهدوا) لأن الهمزة تستدعي فعلاً.

بلاغة الوصل

وبلاغة الوصل: لا تتحقق إلا بالواو العاطفة فقط دون بقية حروف العطف، لأن الواو هي الأداة الّتي تخفّ الحاجةُ إليها، ويحتاج العطف بها إلى لُطف في الفهم، ودقة في الإدراك، إذ لا تفيد إلا مجرَّد الربط، وتشريك ما بعدها لِمَا قبلها في الحكم: نحو: مضى وقت الكسل، وجاء زمن العمل، وقُم واسْعَ في الخير.

بخلاف العطف بغير الواو فيُفيدُ مع التشريك معاني أخرى، كالترتيب مع التعقيب في الفاء وكالترتيب مع التراخي في ثُمَّ، وهكذا باقي أدوات العطف الّتي إذا عُطف بواحد منها ظهر الفائدة، ولا يقع اشتباه في استعماله.

وشرط العطف بالواو أن يكون بين الجملتين جامعٌ. كالموافقة في نحو: يقرأ ويكتبُ، وكالمضادة في نحو: يضحك ويبكي، وإنما كانت المضادَّة في حكم الموافقة، لأنَ الذهنَ يتصوّر أحد الضدين عند تصور الآخر، فالعلم يخطر على البال عند ذكر الجهل. كما تخطر الكتابة عند ذكر القراءة.

والجامع يجب أن يكون باعتبار المسند إليه والمسند جميعاً. فلا يُقال: خليل قادم والبعير ذاهب، لعدم الجامع بين المسند إليهما كما لا يقال: سعيد عالم، وخليل قصير، لعدم الجامع بين المسندين، وفي هذا الباب مبحثان.

المبحث الأول

في مواضع الوصل

الوصلُ: عطف جملة على أخرى بالواو، ويقع في ثلاثة مواضع[١]:

الأول: إذا اتحدت الجملتان في الخبرية والإنشائية لفظاً ومعنى. أو معنى فقط[٢] ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما وكانت بينهما مناسبة تامة في المعنى.

---

١. الوصل يقع وجوباً بين جملتين متناسبتين لا متحدتين ولا مختلفتين كما سيأتي تفصيل ذلك.

٢. المعول عليه اتحادهما في المعنى لأن العبرة به ولا قيمة لاختلاف الصورة اللفظية.

فمثال الخبريتين قوله تعالى: ﴿إنَّ الأبرارَ لَفي نَعيمٍ[١] وإنَّ الفُجَّار لفي جحيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣].

ومثال الإنشائيتين قوله تعالى: ﴿فادْعُ واستقِمْ كما أُمِرْتَ﴾ [الشورى: ١٥] وقوله تعالى: ﴿واعبدُوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾ [النساء: ٣٦]. وصل جملة ﴿ولا تشركوا﴾ بجملة ﴿واعبدوا﴾ لاتحادهما في الإنشاء، ولأن المطلوب بهما مما يجب على الإنسان أن يودِّيه لخالقه، ويختصَّه به. ومن هذا النوع قول المرحوم شوقي بك: [الرمل]

عالجوا الحكمة واستشفوا بها وانشدُوا ما حلَّ منها في السِّيَرْ

فقد وصل بين ثلاث جمل، تتناسب في أنها مما يتعلق بأمر الحكمة وبواجب الشباب في طلبها، والانتفاع بها.

ومثال المختلفتين، قوله سبحانه: ﴿إني أُشْهِدُ اللّهَ، واشْهَدُوا أَني بَرِيءٌ مِمَّا تشركون﴾ [هود: ٥٤]. أي: إني أُشْهِدُ الله وأُشْهِدُكم[٢]، فتكون الجملة الثانية في هذه الآية: إنشائية لفظاً، ولكنها خبرية في المعنى[٣]. ونحو: اذهب إلى فلان، وتقول له كذا، فتكون الجملة الثانية من هذا المثال خبرية لفظاً، ولكنها إنشائية معنى: وقُلْ له. فالاختلاف في اللفظ، لا في المعنى المعوّل عليه، ولهذا وجب الوصل. وعطف الجملة الثانية على الأولى لوجود الجامع بينهما، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما، وكل من الجملتين لا موضع له من ا لإعراب.

---

١. في هذا الكلام جملتان خبريتان وصلت الثانية بالأولى لأن بين الجملتين تناسباً في الفكر. فإذا جرى في الذهن حال أحد الفريقين تصور حال الفريق الآخر.

٢. والداعي لذكر الجملة الثانية إنشائية، ولم تذكر كالأولى خبرية، لأجل التحاشي عن مساواة شهادتهم بشهادته عز وجل، تعال الله عما يقولون علواً كبيراً.

٣. اعلم أن صور الجملتين ثمانية، لأنهما (إما خبريتان) لفظاً ومعنى، أو معنى لا لفظاً، أو الأولى جملة خبرية معنى لا لفظاً، أو بالعكس. (وإما إنشائيتان) لفظاً ومعنى، ومعنى لا لفظاً، أو الأولى جملة خبرية صورة والثانية إنشائية، أو بالعكس كما مثلنا.

الثاني: دفع توهُّم غير المراد، وذلك إذا اختلفت الجملتان في الخبرية والإنشائية، وكان الفصل يُوهِم خلاف المقصود[١] كما تقول مجيباً لشخص بالنفي «لا شفاه الله»[٢]. لمن يسألك: هل بَرِىءَ عليٌّ من المرض؟؟ فترك الواو يُوهم السامع الدعاء عليه، وهُو خلاف المقصود، لأن الغرض الدعاء له[٣]. ولهذا وجبَ أيضاً الوصلُ. وعطف الجملة الثانية الدعائية الإنشائية على الجملة الأولى الخبرية المصَوَّرة بلفظ لا لدفع الإيهام، وكلٌّ من الجملتين لا محل له من الإعراب.

الثالث: إذا كان للجملة الأولى محل من الإعراب، وقُصِد تشريك الجملة الثانية لها في الإعراب حيث لا مانع، نحو: عليٌّ يقول، ويفعل[٤].

---

١. أما إذا لم يحصل إيهام خلاف المقصود فيجب الفصل نحو سافر فلان سلمه الله.

٢. فجملة شفاه الله خبرية لفظاً إنشائية معنى: والعبرة بالمعنى، واعلم أن الجملة الأولى المدلول عليها بكلمة «لا» جملة خبرية إذ التقدير «لا برء حاصل له» وهكذا يقدر المحذوف بحسب كل مثال يليق به.

٣. كما حكي: أن (صحابياً) مرّ برجل في يده ثوب. فقال له: أتبيع هذا؟ فقال الرجل «لا، يرحمك الله» فقال الصحابي: «لا تقل هكذا، بل قل: لا، ويرحمك الله» وهكذا إذا سئلت عن مريض: هل أبل؟ فقل: «لا، وشفاه الله» حتى لا يتوهم السامع أنك تدعو عليه، وأنت تريد الدعاء له، فالجملة الأولى المدلول عليها بكلمة «لا» خبريه، والثانية إنشائية في المعنى، لأنها لطلب الرحمة والشفاء، وكان الواجب الفصل بينهما، لو لا ما يسببه الفصل من الوهم.

٤. فجملة (يقول) في محل رفع خبر المبتدأ، وكذلك جملة: (ويفعل) معطوفة على جملة يقول، وتشاركها بأنها في محل رفع خبر ثان للمبتدأ، فاشتراك الجملتين في الحكم الإعرابي يوجب الوصل. وحكم هذه الجملة حكم المفرد المقتضي مشاركة الثاني للأول في إعرابه.

والأحسن أن تتفق الجملتان في الاسمية والفعلية والفعليتان في الماضوية والمضارعية.

تمرين

وضّح أسباب الوصل في الجمل الآتية:

١ ـ قال عز وجل: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عُنقك ولا تبسُطها كل البَسْط فتقعُدَ ملوماً محسوراً﴾ [الإسراء: ٢٩].

٢ ـ وقال سبحانه: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارونَ وزيراً﴾ [الفرقان: ٣٥].

٤ ـ وقال عليه الصلاة والسلام: «اتقِ اللّهَ حيثما كنتَ، وأتبع السيئةَ الحسنة تَمْحُها، وخالِق الناس بخُلُقٍ حَسَن».

٥ ـ قال أبو العتاهية:

تأتي المكارهُ حين تأتي جملة ... وأرى السرورَ يجيء في الفلتات

[الكامل]

تمرين اخر

بين أسباب الفصل في الإمثلة الآتية:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وضَرَبَ لنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ. قَالَ مَنْ يُحيي الْعِظَامَ وَهِيَ رَميم * قُلْ يُحييها الذي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿فإنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً، إنَّ مَعَ العُسْرِ يسْرا﴾ [الشرح: ٥، ٦].

٣ ـ وقال تعالى: ﴿إنَّ فرْعَوْنَ عَلَا في الأرْضِ وجَعَلَ أهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أبْنَاءَهُم وَيَسْتَحيي نِسَاءَهُمْ إنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿إنَّ الذينَ كَفَرُوا سواءٌ عليهِمْ أأنذَرْتَهُمْ أمْ لمْ تُنذرْهم لا يُؤمِنونَ * خَتَمَ الله على قلوبهم وعلى سمْعهم وعلى أبصارهم غِشاوة﴾ [البقرة: ٦، ٧].

٥ ـ وقال سبحانه: ﴿وإذا تُتلى عليهِ آياتنا ولَّى مستكبراً كأنْ لم يسمعها كأنَّ في أُذنيه وقراً﴾ [لقمان: ٧].

المبحث الثاني

في مواضع الفصل(١)

أحياناً تتقاربُ الجمل في معناها تقارباً تاماً، حتى تكون الجملة الثانية كأنها الجملة الأولى، وقد تنقطعُ الصِّلة بينهما. إمَّا لاختلافهما في الصُّورة، كأن تكون إحدى الجملتين إنشائية والأخرى خبرية. وإمَّا لتباعد معناهما، بحيث لا يكون بين المعنيين مُناسبة، وفي هذه الأحوال يجب الفصل في كل موضع من المواضع الخمسة الآتية وهي:

الموضع الأول: كمال الاتصال وهو اتحاد الجملتين اتحاداً تاماً وامتزاجاً معنوياً بحيث تُنزل الثانية من الأولى منزلة نفسها:

أ ـ بأن تكون الجملة الثانية بمنزلة البدل من الجملة الأولى، نحو: ﴿واتقوا الذي أمدّكم بما تعلمون أمدّكم بأنعام وبنين﴾ [الشعراء: ١٣٢،١٣٣](٢).

ب ـ أو بأن تكون الجملة الثانية بياناً لإبهام في الجملة الأولى. كقوله سبحانه: ﴿فَوَسْوَس إليه الشيطانُ قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخُلد﴾ [طه: ١٢٠] فجملة: قال يا آدم بيان لما وسوس به الشيطان إليه.

---

١. الفصل: ترك الربط بين الجملتين: إما لأنهما متحدتان صورة ومعنى، أو بمنزلة المتحدتين: وإما لأنه لا صلة بينهما في الصورة أو في المعنى.

٢. هذا في بدل البعض، وأما في بدل الكل: فنحو قوله تعالى: ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون. قالوا أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾، فجملة ﴿قالوا أئذا متنا وكنا تراباً﴾ قولوا كالبدل المطابق، وأما بدل الاشتمال فنحو قوله: [الطويل]

أقول له ارحل لا تقيمن عندنا ... وإلا: فكن في السر والجهر مسلما

فجملة لا تقيمن بمنزلة البدل من جملة «ارحل» بدل اشتمال لأن بينهما مناسبة بغير الكلية والجزئية.

جـ ـ أو بأن تكون الجملة الثانية مؤكدة للجملة الأولى، بما يشبه أن يكون توكيداً لفظياً أو معنوياً، كقوله عز وجل: ﴿فمهِّل الكافرينَ أمْهِلهم رُويداً﴾ [الطارق: ١٧]. وكقوله: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا﴾ [البقرة: ٧، ٨] فالمانع من العطف في هذا الموضع اتحاد الجملتين اتحاداً تاماً يمنع عطف الشيء على نفسه ويُوجب الفصل.

الموضع الثاني: كمال الانقطاع وهو اختلاف الجمليتن اختلافاً تاماً:

أ ـ بأن يختلفا خبراً وإنشاءً: لفظاً ومعنىً، أو معنى فقط، نحو: حضر الأمير حفظه الله، ونحو تكلم إني مصغ إليك وكقول الشاعر: [البسيط]

وقال رائدهم أرسوا نُزاولُها فحتْفُ كلِّ امرىء يجري بمقدار[1]

ب ـ أو: بألاّ تكون بين الجملتين مناسبة في المعني ولا ارتباط، بل كلٌّ منهما مُستقلٌّ بنفسه كقولك: عليٌّ كاتبٌ، الحمام طائر، فإنه لا مناسبة بين كتابة عليٍّ، وطيران الحمام. وكقوله: [الرجز]

وإنما المرءُ بأصغَريْه كلُّ امرىءٍ رهْنٌ بما لديه

فالمانع من العطف في هذا الموضع أمر ذاتي لا يمكن دفعه أصلاً وهو التّبايُن بين الجملتين، ولهذا: وجب الفصل، وترك العطف. لأن العطف يكون للرّبط، ولا ربط بين جملتين في شِدّة التباعد وكمال الانقطاع.

الموضع الثالث: شبه كمال الاتصال: وهو كون الجملة الثانية قوية الارتباط بالأولى، لوقوعها جواباً عن سؤال يُفهم من الجملة الأولى فتُفصلُ عنها كما يُفصل الجواب عن السؤال كقوله سبحانه: ﴿وما أبرّىءُ نفسي إنّ النّفس لأمارة بالسُّوء﴾ [يوسف: ٥٣][2].

---

١ . أي أوقفوا السفينة كي نباشر الحرب، ولا تخافوا من الموت، فإن لكل أجل كتاباً، أي فالمانع من العطف في هذا الموضع أمر ذاتي لا يمكن دفعه أصلاً، وهو كون إحداهما جملة خبرية، والأخرى إنشائية، ولا جامع بينهما.

٢ . الجملة الثانية شديدة الارتباط بالجملة الأولى لأنها جواب عن سؤال نشأ من الأولى «لم لا تبرىء نفسك؟» فقال: ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ فهذه الرابطة القويه بين الجملتين مانعة من العطف. فأشبهت حالة اتحاد الجملتين، وبذلك ظهر الفرق بين كمال الاتصال وشبه كمال الاتصال.

ونحو قول الشاعر: [الكامل]

زعـــمَ العـــواذلُ أنّـــني في غَـــمرة صَـدقوا، ولكـنَّ غَـمرتي لا تَـنْجَلي

كأنّهُ سُئل: أصدقوا في زعمهم أم كذبوا؟ فأجاب: صدقوا[١].

---

١. وبيان ذلك بعبارة أخرى: أنه إذا اجتمعت جملتان فذلك على خمسة أحوال:

أولاً: أن تكون الثانية بمعنى الأولى. أو جزءاً منها، فيجب ترك العطف لأن الشيء لا يعطف على نفسه. وكذا الجزء لا يعطف على كله. فيقال حينئذٍ: إن بين الجملتين كمال الاتصال، ومواضعه:

(أ) أن تكون الثانية توكيداً للأولى، مثل قوله تعالى﴿ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم﴾.

(ب) أن تكون الثانية بدلاً من الأولى، مثل أطعت الله، أديت الصلاة.

(جـ) أن تكون الثانية بياناً للأولى، مثل بثني شكواه. قال: إني لا أجد قوت يومي.

ثانياً: أن تكون الثانية مباينة للأولى تمام المباينة. فيجب ترك العطف لأن العطف يكون للربط، ولا ربط بين المتباينين فيقال بين الجملتين كمال الانقطاع. ومواضع ذلك:

(أ) أن تختلفا خبراً وإنشاء مثل، مات فلان رحمه الله. إلا إذا أوهم ترك العطف خلاف المقصود فيجب العطف نحو لا وشفاك الله.

(ب) أن تتحدا خبراً وإنشاء، ولكن لا يوجد بينهما رابط، مثل القمر طالع، أكلت كثيراً.

ثالثاً: أن تكون الجملتان متناسبتين وبينهما رابطة، ويسمى ذلك: التوسط بين الكمالين، وذلك على نوعين:

(أ) ألا يمنع من العطف مانع فيعطف، مثل اجتهدوا وتأدبوا.

(ب) أن يمنع من العطف مانع وهو عدم قصد التشريك في الحكم، فيمتنع العطف مثل قوله تعالى ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم﴾.

رابعاً: أن تكون الثانية قوية الرابطة بالأولى. لأنها جواب عن سؤال يفهم من الأولى، فهذه الرابطة القوية تمنع العطف، لأنها أشبهت حالة اتحاد الجملتين. ويسمى ذلك (شبه كمال الاتصال)، مثل رأيته مبتسماً، أظنه نجح.

خامساً: أن تكون الأخيرة مناسبة للأولى، ولا مانع من عطفها عليها، ولكن يعرض حائل بينهما، وهو جملة أخرى ثالثة متوسطة، فلو عطفت الثالثة على الأولى المناسبة لها. لتوهم أنها معطوفة على المتوسطة، فامتنع العطف بتاتاً، وأصبحت الجملتان كأنهما منقطعتان بهذا الحائل، ويسمى ذلك (شبه كمال الانقطاع)،

←

ونحو: [البسيط]

السَّيف أصْدق أنباءً من الكتب ... في حدّه الحدّ بين الجدّ واللّعب

فكأنه استفهم. وقال: لم كان السيف أصدق؟؟ فأجاب بقوله في حدّه: الخ فالمانع من العطف في هذا الموضع وجود الرابطة القوية بين الجملتين فأشبهت حالة اتحاد الجملتين ولهذا وجب أيضاً الفصل.

الموضع الرابع: شِبه كمال الانقطاع وهو أن تُسْبق جملة بجملتين يصحُّ عطفها على الأولى لوجود المناسبة، ولكن في عطفها على الثانية فساد في المعنى، فيُترك العطْف بالمرة: دفعاً لتوهّم أنه معطوف على الثانية نحو:

وتَظُنُّ سلمى أنني أبغي بها ... بدلاً أراها في الضلال تهيم

[الكامل]

فجملة أراها يصح عطفها على جملة تظن لكن يمنع من هذا توهم العطف على جملة أبغي بها فتكون الجملة الثالثة من مظنونات سلمى، مع أنه غير المقصود ولهذا امتنع العطف بتاتاً ووجب أيضاً الفصل. والمانع من العطف في هذا الموضع أمر خارجي احتمالي يمكن دفعه بمعونة قرينة ومن هذا: ومما سبق، يُفهم الفرق بين كل من: كمال الانقطاع، وشبه كمال الانقطاع.

→

نحو قول الشاعر: [الكامل]

وتظن سلمى أنني أبغي بها ... بدلاً أراها في الضلال تهيم

واعلم أن التركيب الذي تجاذبت فيه أسباب الوصل وتعاضدت دواعيه قد يفصل إما لمانع من تشريك الجملة الثانية مع الأولى ويسمى قطعاً كما سبق. وإما لجعله جواب سؤال مقدر لإغناء السامع عنه «أو لكراهة سماعه له لو سأل، أو لكراهة انقطاع كلامه بكلام السائل، أو للاختصار، ويسمى الفصل لذلك استئنافاً، كقوله: [الكامل]

في المهد ينطق عن سعادة جده ... أثر النجابة ساطع البرهان

على تقدير أنه جواب، كيف نطق؟ وهو رضيع لم يبلغ أوان النطق»!

الموضع الخامس: التوسط بين الكمالين مع قيام المانع وهو كون الجملتين متناسبتين: وبينهما رابطة قوية لكن يمنع من العطف مانع، وهو عدم التشريك في الحكم، كقوله تعالى: ﴿وإذا خَلَوْا إلَى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مُستهزئون الله يَسْتهزِئُ بهم﴾ [البقرة: ١٤، ١٥]. فجملة «الله يستهزىء بهم» لا يصح عطفها على جملة «إنا معكم» لاقتضائه أنه من مقول المنافقين: والحال أنه من مقوله تعالى دعاء عليهم، ولا على جملة «قالوا» لئلا يُتوهم مشاركته له في التقييد بالظرف وأنَّ استهزاء الله بهم مقيد بحال خُلوهم إلى شياطينهم، والواقع أن استهزاء الله بالمنافقين غيرُ مقيد بحال من الأحوال ولهذا وجب أيضاً الفصل.

تنبيهان

الأول: لما كانت الحال تجيء جملة، وقد تقترن بالواو، وقد لا تقترن فأشبهت الوصل والفصل، ولهذا يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها بالواو إذا خلت من ضمير صاحبها، نحو جاء فؤاد والشمس طالعة[1].

---

١. بيان ذلك أن الحال:

إما مؤكدة، فلا واو: للاتحاد بين الجملتين لأنها مقررة لمضمونها نحو سعد أبوك كريم.

وإما منتقلة، لحصول معنى حال النسبة (أي نسبة العامل إلى صاحب الحال) يلزم فيها أمران. الحصول والمقارنة: فالحال المفردة صفة في المعنى، فلا تحتاج لواو للاتحاد. وأما الحال الجملة، فالمضارع المثبت لا يؤتى له بواو للارتباط معنى لوجود الحصول والمقارنة ما، فلا حاجة للربط بها، نحو وجاؤوا أباهم عشاء يبكون، ونحو قدم قدم الأمير تتسابق الفرسان أمامه، ولا يجوز وجاؤوا أباهم عشاء ويبكون، ولا قدم الأمير وتتسابق.

وهذه إحدى المسائل السبع المذكورة في النحو التي تمتنع فيها الواو.

الثانية: الحال الواقعة بعد عاطف نحو ﴿فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون﴾.

الثالثة: المؤكدة لمضمون الجملة نحو (هو الحق لا شك فيه. ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾).

الرابعة: الماضي التالي، ما تكلم زيد إلا قال خيراً. وقيل يجوز اقترانه بالواو، كما ورد في قوله: [البسيط]

نعم امرؤ هرم لم تعر نائبة ... إلا وكان لمرتاع بها وزرا

ويجب فصلها في ثلاثة مواضع:

١ ـ إذا كان فعلها ماضياً تالياً «إلا»، أو وقع ذلك الماضي قبل «أو» الّتي للتسوية، نحو:

←

الخامسة: الماضي المتلو بأو، نحو: لأضربنه ذهب أو مكث، ومنه قول الشاعر: [البسيط]

كن للخليل نصيراً جار أو عدلا ... ولا تشحَّ عليه جاد أو بخلا

السادسة: المضارع المنفي بلا، نحو وما لنا لا نؤمن بالله. ما لي لا أرى الهدهد، وقوله: [الكامل]

لو أن قوماً لارتفاع قبيلة ... دخلوا السماء دخلتها لا أحجب

السابعة: المضارع المنفي بما. كقوله: [الطويل]

عهدتك ما تصبو وفيك شبيبة ... فما لك بعد الشيب صبا متيما

وأبعد الجمل في الصلاح للحالية الجملة الاسمية لدلالتها على الثبوت، لا على الحصول. والمقارنة، فيجب فيها الواو، نحو ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾. وقد يكتفى فيها بالضمير ندوراً، نحو كلّمته فوه إلى فيَّ أي مشافهة. ثم الماضي مثبتاً لعدم المقارنة فيحسن معها الواو، لأن الماضي يدل على الحصول المتقدم، لا الحصول حال النسبة. وتجب «قد» تحقيقاً أو تقديراً، لتقربه من الحال، أي لتجعل (قد) الفعل الماضي الدال على حصول متقدم، لا حصول حال النسبة قريباً من حال النسبة، لا من حال التكلم، إذ اللازم في الحال مقارنتها لزمان النسبة لا لزمان التكلم، وإنما اكتفي بهذا التقريب في صحة الحال وإن كان اللازم الاقتران، إما لأنه ينزل قرب الحال إلى زمان النسبة منزلة المقارنة مجازاً، وإما لأنه يعتبر قربها في الفعل هيئة للفعل. فإذا قلت جاءني زيد وقد ركب، فكأنك نزلت قرب ركوبه من مجيئه منزلة مقارنته له، أو جعلت كون مجيئه بحيث يقرب ركوبه هيئة لمجيئه، وحالاً له، قالوا: وتمتنع (قد) مع الماضي الممتنع ربطه بالواو. وهو التالي إلا والمتلو بأو، لكن في (شرح الرضي)، انهما قد يجمعان بعد إلا، نحو ما لقيته إلا وقد أكرمني، ويلي الماضي المثبت، الماضي المنفي، لأنه هيئة للفعل بالتأول، لأن قولك جاء زيد ليس راكباً، في قوة جاء زيد ماشياً، فيتحقق الحصول أو يستمر غالباً، فيقارن كذلك فيحسن ترك الواو نظراً إلى تحقق الحصول والمقارنة، ويجوز ذكرها ايضاً نظراً إلى كونه ما كان هيئة للفعل إلا بعد تأويل، ونظراً إلى كون استمراره أغلبياً لا دائماً.

والأحسن في الظرف إذا وقع حالاً ترك الواو نظراً للتقدير بمفرد، تقول نظرت الهلال بين السحاب. ومثله الجار والمجرور، نحو فخرج على قومه في زينته ونحو أبصرت البدر في السماء، وإن جوزوا الواو بتقدير فعل ماض.

وما يخشى فيه التباس الحال بالصفة أتى فيه الواو وجوباً، ليتميز الحال، فيقال جاء رجل ويسعى، إذ لو قيل: يسعى، لالتبس الحال بالصفة في مثله.

ما تكلّم فؤاد إلا قال خيراً ـ وكقول الشاعر:

كُنْ للخليل نصيراً جارَ أو عدلا ... ولا تَشحَّ عليه جاد أوْ بخلا

[البسيط]

٢ ـ إذا كان فعلها مضارعاً مثبتاً أو منفياً بما، أو لا نحو: ﴿وجاؤوا أباهُم عِشَاءً يَبكون﴾ [يوسف: ١٦] ونحو: ﴿وما لنا لا نُؤمن بالله﴾ [المائدة: ٨٤] ونحو:

عَهِدْتُكَ ما تصبو وفيكَ شبيبةٌ ... فما لك بعد الشيب صبا متيّما

[الطويل]

٣ ـ إذا كانت جملة اسمية واقعة بعد حرف عطف، أو كانت اسمية مؤكدة لمضمون ما قبلها، كقوله تعالى: ﴿فجاءها بأسُنا بياتاً أو هم قائلونَ﴾ [الاعراف: ٤] وكقوله تعالى: ﴿ذلك الكتابُ لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ [البقرة: ٢][1].

الثاني: علم مما تقدم أن من مواضع الوصل اتفاق الجملتين في الخبرية والإنشائية، ولا بدمع اتفاقهما من جهة بها يَتجاذبان، وأمر جامع به يتآخذان، وذلك الجامع: إما عقلي[2]

---

١. لما كان قوله: (ذلك الكتاب) فيه مظنة مجازفة بسبب إيراد المسندإليه اسم إشارة، والمسند معرفاً بأل أكده بقوله: (لا ريب فيه) تأكيداً معنوياً.

ولما كانت الدعوى المذكورة مع ادعاء عدم المجازفة مظنة استبعاد، أكده بقوله ﴿هدى للمتقين﴾ تأكيداً لفظياً، حتى كأنه نفس الهداية.

٢. فالجامع العقلي، أمر بسببه يقتضي العقل اجتماع الجملتين في القوة المفكرة كالاتحاد في المسند: أو المسند إليه، أو في قيد من قيودهما، نحو زيد يصلي ويصوم و يصلي زيد وعمرو... وزيد الكاتب شاعر. وعمرو الكاتب منجم. وزيد ماهر، وعمرو طبيب ماهر، وكالتماثل والاشتراك فيهما، أو في قيد من قيودهما أيضاً بحيث يكون التماثل له نوع اختصاص بهما أو بالقيد، لا مطلق تماثل، فنحو زيد شاعر وعمرو كاتب لا يحسن إلا إذا كان بينهما مناسبة، لها نوع اختصاص بهما، كصداقة أو أخوة أو شركة أو نحو ذلك، وكالتضايف بينهما. بحيث لا يتعقل أحدهما إلا بالقياس إلى الآخر. كالأبوة مع البنوة والعلة مع المعلول، والعلو والسفل، والأقل والأكثر، إلى غير ذلك.

أو: وهمي[١] أو: خيالي[٢].

وللقرآن الكريم اليد البيضاء في هذا الباب، كقوله تعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت﴾ فالمناسبة بين الإبل والسماء، وبينها وبين الجبال والأرض غير موجودة بحسب الظاهر. ولكنه «أسلوب حكيم» في غاية البلاغة، لأنه لما كان الخطاب مع العرب. وليس في تخيلاتهم إلا الإبل، لأنها رأس المنافع عندهم، والأرض لرعيها والسماء لسقيها، وهي الّتي توصلهم إلى الجبال الّتي هي حصنهم عند ما تفاجئهم حادثة أورد الكلام على طبق ما في تخيلاتهم.

---

١. والجامع الوهمي، أمر بسببه يقتضي الوهم اجتماع الجملتين في المفكرة.

كشبه التماثل الذي بين نحو لوني البياض والصفرة، فإن الوهم يبرزهما في معرض المثلين من جهة أنه يسبق إليه أنهما نوع واحد، زائد في أحدهما عارض في الآخر بخلاف العقل فإنّه يدرك أنهما نوعان متباينان داخلان تحت جنس واحد، هو اللون.

وكالتضاد بالذات، وهو التقابل بين أمرين وجودين بينهما غاية الخلاف، يتعاقبان على محل واحد، وكالسواد والبياض.

أو التضاد بالعرض كالأسود والأبيض، لأنهما ليسا ضدين لذاتهما لعدم تعاقبهما على محل واحد، بل بواسطة ما يشتملان عليه من سواد وبياض.

وكشبه التضاد كالسماء والأرض، فإن بينهما غاية الخلاف ارتفاعاً وانخفاضاً، لكن لا يتعاقبان على محل واحد، كالتضاد بالذات، ولا على ما يشمله كالتضاد بالعرض.

٢. والجامع الخيالي، أمر بسببه يقتضي الخيال اجتماع الجملتين في المفكرة، بأن يكون بينهما تقارن في الخيال سابق على العطف لتلازمهما في صناعة خاصة، أو عرف عام، كالقدوم والمنشار، والمنقاب، في خيال النجار. والقلم، والدواة، والقرطاس، في خيال الكاتب. وكالسيف، والرمح، والدرع، في خيال المحارب، وهلم جرا.

تمرين

عيّن إسباب الوصل والفصل في الأمثلة الآتية:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿ما اتَّخَذَ الله من وَلدٍ، وما كان معه من إلهٍ، إذاً لذهبَ كل إلٰهٍ بما خلقَ ولعلا بعضهُمْ على بعض، سبحان الله عما يصفون﴾ [المؤمنون: ٩١].

٢ ـ وقال الله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يَغُضوا من أبصارهم، ويحفظوا فروجه.. ذلك أزكى لهم، إن الله خبيرٌ بما يَصنعون﴾ [النور: ٣٠].

٣ ـ وقال: ﴿له مقاليدُ السموات والأرض، يبسط الرِّزقَ لمن يشاءُ ويقدر، إنه بكلِّ شيء عليم﴾ [الشورى: ١٢].

٤ ـ ﴿ما هذا بشراً إن هذا إلا مَلكٌ كريمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

٥ ـ ﴿يدبِّر الأمْر يفصِّل الآياتِ لقوْمٍ يعقلون﴾ [الرعد: ٢ ـ ٤].

٦ ـ ﴿وَمَا ينطق عن الهْوى إن هو إلا وحي يُوحى علمَهُ شديد الْقوى﴾ [النجم: ٣ ـ ٥].

٧ ـ ﴿قالُوا سلاماً، قال سلام﴾ [الذاريات: ٢٥].

٨ ـ وقال أبو العتاهية: [الكامل]

وإذا ابتليت ببذل وجهك سائلاً ... فابْذُلْه للمتكرِّم المفضال

ما اعتاض باذلُ وجهه بسؤاله ... عوضاً ولو نال الغنى بسؤال

٩ ـ وقال: [المنسرح]

من عرف الناسَ في تصرفهم ... لم يَتَّبع من صاحب زللا

إنْ أنت كافأت من أساء فقد ... سرت إلى مثل سوء ما فعلا

١٠ ـ أُخط مع الدهر إذا ما خطا ... واجر مع الدهر كما يجري

[السريع]

٧ ـ حكم المنية في البرية جاري ما هذه الدنيا بدار قرار

[الكامل]

٨ ـ قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

[الخفيف]

٩ ـ يرى البخيل سبيل المال واحدة إن الكريم يرى في ماله سبلا

[البسيط]

تطبيق عام على الوصل والفصل

جربت دهري وأهليه فما تركت لي التجارب في ود امرىء غرضا

[البسيط]

فصلت الثانية، لشبه كمال الاتصال، فإنها جواب سؤال.

﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ [النور: ٣٦]. فصلت الثانية لشبه كمال الاتصال، فإنها جواب سؤال ناشىء مما قبلها.

﴿فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً﴾ [التوبة: ٨٢]: عطف الجملة الثانية على الأولى لاتفاقهما في الإنشاء، مع المناسبة التامة بين المفردات، فإن المسند إليه فيهما متحد والمسند وقيدهما متقابلان.

﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم﴾ [الانفطار: ١٤]: عطف الجملة الثانية على الأولى لاتفاقهما خبراً. لفظاً ومعنى. مع المناسبة التامة بين مفرداتهما، فإن المسندين المقدرين فيهما متحدان، والمسندان إليهما متقابلان. وقيدهما الأول متحد. والثاني متقابل.

اشكر الله على السراء ينجيك من الضراء: لم تعطف الثانية على الأولى لكمال الانقطاع. فإن الأولى إنشائية لفظاً ومعنى، والثانية عكسها.

اصبر على كيد الحسود لا تضجر من مكائده: لم تعطف الثانية على الأولى لكمال الاتصال، فإنها مؤكدة لها.

أنت حميد الخصال تصنع المعروف وتغيث الملهوف: فصلت الثانية من الأولى لكمال الاتصال فإنها بيان لها. ووصلت الثالثة للتوسط بين الكمالين، مع وجود مانع من الوصل.

الباب التاسع

في الإيجاز، والإطناب، والمساواة

كل ما يجول في الصدر من المعاني، ويخطر ببالك معنى منها. لا يعدو التعبير[1] عنه طريقاً من طرق ثلاث:

أولاً: إذا جاء التعبير على قدر المعنى، بحيث يكون اللفظ مساوياً لأصل ذلك المعنى، فهذا هو «**المساواة**». وهي الأصل الذي يكون أكثر الكلام على صورته، والدستور الذي يقاس عليه.

ثانياً: إذا زاد التعبير على قدر المعنى لفائدة، فذاك هو «**الإطناب**» فإن لم تكن الزيادة لفائدة فهي حشو أو تطويل.

ثالثاً: إذا نقص التعبير على قدر المعنى الكثير، فذلك هو «**الإيجاز**»[2].

فكل ما يخطر ببال المتكلم من المعاني فله في التعبير عنه بإحدى هذه الطرق الثلاث. فتارة يوجز. وتارة يسهب، وتارة يأتي بالعبارة بين بين. ولا يعد الكلام في صورة من هذه

---

١. أي: إذا أردت أن تتحدث إلى الناس في معنى من المعاني، فأنت تعبر عنه تعبيراً صحيحاً مقبولاً في إحدى صور ثلاث وهي: المساواة، والإيجاز، والإطناب.

٢. قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: ما رأيت بليغاً قط إلا وله في القول إيجاز، وفي المعاني إطالة.

وقالت بنت الحطيئة لأبيها: ما بال قصارك أكثر من طوالك، قال: لأنها بالآذان أولج، وبالأفواه أعلق.

وقيل لشاعر: لم لا تطيل شعرك؟ فقال: حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.

الصور بليغاً. إلا إذا كان مطابقاً لمقتضى حال المخاطب، ويدعو إليه مواطن الخطاب.

فإذا كان المقام للإطناب مثلاً، وعدلت عنه إلى الإيجاز، أو المساواة لم يكن كلامك بليغاً وفي هذا الباب ثلاثة مباحث.

المبحث الأول
في الإيجاز وأقسامه

الإيجاز: هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل[1] منها، وافية بالغرض المقصود، مع الإبانة والإفصاح، كقوله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرِض عن الجاهلين﴾ [الأعراف: ١٩٩]. فهذه الآية القصيرة جمعت مكارم الأخلاق بأسرها، وكقوله تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ [الأعراف: ٥٤] وكقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» فإذا لم تفِ العبارة بالغرض سمي إخلالاً وحذفاً رديئاً كقول اليشكري:

والعيشُ خيرٌ في ظلا ... ل النوك ممن عاش كدا

[مجزوء الكامل]

مرادهُ: أن العيشَ الناعم الرَّغد في حال الحمق والجهل، خيرٌ من العيش الشاق في حال العقل، لكن كلامه لا يعد صحيحاً مقبولاً.

---

١. بأن يكون اللفظ أقل من المعهود عادة مع وفائه بالمراد. فإن لم يف كان الإيجاز إخلالاً وحذفاً رديئاً فلا يعد الكلام صحيحاً مقبولاً، كقول عروة بن الورد: [الطويل].

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ... ومقتلهم عند الوغى كان اعذارا

يريد: إذ يقتلون نفوسهم في السلم، لكن صوغ كلامه لا يدل عليه. ومثل قول بعضهم نثراً «فإن المعروف إذا زجا كان أفضل منه إذا وفر وأبطأ» ولأجل تمام ما يريد: كان عليه أن يقول، إذا قل وزجا. ولا يعد مثل هذا الكلام صحيحاً مقبولاً.

واعلم أن متعارف أوساط البلغاء هم الذين لم يرتقوا إلى درجة البلغاء، ولم ينحطوا إلى درجة البسطاء، فالمساواة: هي الدستور الذي يقاس عليه كل من الأيجاز والإطناب.

وينقسم الإيجاز إلى قسمين، إيجاز قصر[١]، وإيجاز حذف.

فإيجاز القصر ويسمى إيجاز البلاغة يكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف، كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]. فإن معناه كثير، ولفظهُ يسير، إذ المراد: أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتَلَ قُتِلَ: امتنع عن القتل، وفي ذلك حياته وحياة غيره، لأن القتل أنفى للقتل[٢] وبذلك تطول الأعمار، وتكثر الذرية ويقبلُ كل واحد

---

١. وإيجاز القصر. هو ما زيد فيه المعاني على الألفاظ ولا يقدر فيه محذوف ويسمى [إيجاز البلاغة] لأن الأقدار تتفاوت فيه.

وللقرآن الكريم فيه المنزلة الّتي لا تسامى، والغاية الّتي لا تدرك. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ فهذه الآية قد جمعت مكارم الأخلاق، وانطوى تحتها كل دقيق وجليل، إذ في العفو الصفح عمن أساء. وفي الأمر بالمعروف صلة الأرحام. ومنع اللسان عن الكذب وغض الطرف عن كل المحارم، وقوله عزّ اسمه ﴿والفلك الّتي تجري في البحر بما ينفع الناس﴾ استوعبت تلك الآية الكريمة أنواع المتاجر. وصنوف المرافق الّتي لا يبلغها العد، وقوله: ﴿ألا له الخلق و الأمر﴾ هاتان كلمتان أحاطتا بجميع الأشياء على غاية الاستقصاء، وقوله ﷺ: «المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء. وعودوا كل جسم ما اعتاد» فقد تضمن ذلك من المعاني الطبيه شيئاً كثيراً.

وقول الإمام اميرالمؤمنين علي عليه السلام: «من استقبل وجوه الآراء عرف وجوه الخطأ». وقول بعض الأعراب: اللهم هب لي حقك وأرض عني خلقك. فسمعه الإمام عليه السلام وجهه فقال: هذا هو البلاغة. ومنه قول السموأل: [الطويل]

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها ... فليس إلى حسن الثناء سبيل

فقد اشتمل على حميد الصفات من سماحة وشجاعة وتواضع وحلم وصبر واحتمال مكاره في سبيل طلب الحمد، إذ كل هذه مما تضيم النفس لما يحصل في تحملها من المشقة والعناء.

والسبب فيما له من الحسن والروعة دلالة قليل الألفاظ على كثير المعاني إلى ما فيه من الدلالة على التمكن في الفصاحة والبراعة. ولذا قال محمد الأمين: «عليكم بالإيجاز، فإن له إفهاماً. وللإطالة استبهاماً» وقال آخر: «القليل الكافي خير من كثير غير شاف».

٢. لقد أثر ونقل عن العرب قولهم: «القتل أنفى للقتل» وأين هذا المثل من بلاغة هذه الآية الشريفة الّتي بلغت ←

على ما يعود عليه بالنفع، ويتم النظام، ويكثر العمران. فالقصاص: هو سبب ابتعاد الناس عن القتل، فهو الحافظ للحياة.

وهذا القسم مطمح نظر البلغاء، وبه تتفاوت أقدارهم، حتى أن بعضهم سئل عن البلاغة فقال: هي «إيجاز القصر». وقال أكثم بن صيفي خطيب العرب: «البلاغة: الايجاز».

وإيجاز الحذف يكون بحذف شيء من العبارة لا يخل بالفهم، عند وجود ما يدل على المحذوف، من قرينة لفظية، أو معنوية. وذلك المحذوف إما أن يكون:

١ ـ حرفاً: كقوله تعالى: ﴿ولم أكُ بغياً﴾ أصله: ولم أكن[1].

٢ ـ أو اسماً مضافاً نحو: ﴿وجاهدُوا في الله حقَّ جهادِهِ﴾ [الحج: ٧٨] أي، في سبيل الله.

٣ ـ أو اسماً مضافاً إليه نحو: ﴿وواعدْنَا موسى ثَلَاثينَ ليلة وأتْمنَّاها بعشرٍ﴾ [الأعراف: ١٤٢] أي: بعشر ليال.

٤ ـ أو اسماً موصوفاً كقوله تعالى: ﴿ومنْ تَابَ وعمل صالحاً﴾ [الفرقان: ٧١] أي: عملا صالحاً.

٥ ـ أو اسماً صفة نحو: ﴿فَزَادَتهُمْ رِجساً إلى رجسهمْ﴾ أي: مضافاً إلى رجسهم.

→

حد الإعجاز وتمتاز بوجوه، منها أنها كلمتان، وما نقل عنهم أربع، ومنها أنه لا تكرار فيها. وفيما قالوه تكرار، ومنها أنه ليس كل قتل يكون نافياً للقتل، وإنما يكون كذلك إذا كان على جهة القصاص، ومنها حسن التأليف وشدة التلاؤم المدركان بالحس في الآية الكريمة التي أعجزتهم أن يأتوا بمثلها. لا فيما قالوه في مثلهم البسيط الذي لا يزيد عن متعارف الأوساط.

١. وكحذف لا في قول عاصم المنقري: [الوافر]

رأيت الخمر جامدة وفيها ... خصال تفسد الرجل الحليما

فلا والله أشربها حياتي ... ولا أسقي بها أبداً نديما

يريد: لا أشربها.

ويقع إيجاز الحذف كثيراً في أساليب البلغاء بشرط أن يوجد ما يدل على الحذف، وإلا كان الحذف رديئاً، والكلام غير مقبول.

٦ ـ أو شرطاً نحو: ﴿اتبعُوني يُحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١].أي: فإن تتبعوني.

٧ ـ أو جواب شرط نحو: ﴿ولو ترَى إذ وقفوا على النَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧]. أي: لرأيت أمراً فظيعاً.

٨ ـ أو مسنداً نحو: ﴿ولئنْ سألْتَهم من خلقَ السَّمٰواتِ والأرض ليقولُنَّ الله﴾ [لقمان: ٢٥] أي: خلقهنَّ الله.

٩ ـ أو مسنداً إليه كما في قول حاتم: [الطويل]

أمـاويُّ مـا يـغني الثَّراء عـن الفـتى إذا حشرجتْ يوماً وضاق بها الصَّدْر

أي: إذا حشرجت النفس يوماً.

١٠ ـ أو متعلقاً نحو: ﴿لا يسأل عمَّا يفعلُ وهمْ يسألون﴾ [الأنبياء: ٢٣] أي: عما يفعلون.

١١ ـ أو جملة نحو: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث اللّهُ النَّبيين﴾ [البقرة: ٢١٣] أي: فاختلفوا فبعث.

١٢ ـ أو جُمـلاً كـقوله تـعالى: ﴿فأرسلون يوسفُ أيُّها الصدِّيقُ﴾ [يوسف: ٤٥، ٤٦][1] أي فأرسلوني إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، فأرسلوه فأتاه، وقال له: يوسف أيها الصديق.

واعلم أنه لابد من دليل يدل على المحذوف وهو:

إما العقل وحده: نحو وجاء ربك، وإما العقل مع غيره: نحو حرمت عليكم المـيتة، أي تناولها. وإما العادة: نحو فذلكن الذي لمتنني فيه، أي في مراودته. وإما الشروع فيه: نحو بسم الله الرحمن الرحيم، أؤلف مثلاً، وإما مقارنة الكلام للفعل: كما تقول لمـن تـزوج «بـالرفاء والبنين» أي أعرست متلبساً بالألفة والبنين.

واعلم أن دواعي الإيجاز كثيرة منها: الاختصار، وتسهيل الحـفظ وتـقريب الفـهم، وضيق المقام، وإخفاء الأمر على غير السامع، والضجر والسآمة، و تحصيل المعنى الكثير باللفظ اليسير ـ الخ.

ويستحسن الإيجاز في الاستعطاف، وشكوى الحال، والاعتذارات، والتعزية، والعتاب،

---

١. فأرسلون. حكاية عن أحد الفتيين الذي أرسله العزيز إلى يوسف عليه السلام ليستعبره ما رآه.

تنبيه: حذف الجمل أكثر ما يرد في كلام الله عز وجل. إذ هو الغاية في الفصاحة، والنهاية في مراتب البلاغة. واعلم أن كلًّا من الحشو والتطويل يخل ببلاغة الكلام، بل لا يعد الكلام معهما إلا ساقطاً عن مراتب البلاغة كلها.

والوعد، والوعيد، والتوبيخ،و رسائل طلب الخراج، وجباية الأموال، ورسائل الملوك في أوقات الحرب إلى الولاة، والأوامر والنواهي الملكية، والشكر على النعم.

ومرجعك في إدراك أسرار البلاغة إلى الذّوق الأدبي، والإحساس الروحي.

المبحث الثاني
في الإطناب وأقسامه

الإطناب: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أوساط البلغاء: لفائدة تقويته وتوكيده نحو: ﴿رَبِّ إني وهنَ الْعظمُ مني واشتعل الرَّأسُ شيباً﴾ [مريم: ٤] أي كبرتُ.

فإذا لم تكن في الزيادة فائدة يسمى تطويلاً إن كانت الزّيادة في الكلام غير مستعينة. ويسمى حشواً إن كانت الزيادة في الكلام متعينة لا يفسد بها المعنى.

فالتطويل كقول: عدي العبادي: في جذيمة الأبرَش: [الوافر]

وقـــــدَّدت الأديمَ لراهشـــيهْ ... وألفى قـــولها كـــذباً ومـــينا[1]

فالمين والكذب بمعنى واحد، ولم يتعين الزائد منهما، لأنَّ العطف بالواو لا يفيد ترتيباً ولا تعقيباً ولا معية، فلا يتغير المعنى بإسقاط أيهما شئت.

---

١ . وقددت أي قطعت والضمير فيه يعود على الزباء. وهي امرأة ورثت الملك عن أبيها، والأديم الجلد، ولراهشيه. أي: إلى أن وصل القطع للراهشين وهما عرقان في باطن الذراع يتدفق الدم منهما عند القطع، والضمير في ألفى يعود على المقطوع راهشاه، وهو جذيمة الأبرش. وامراد الإخبار بأن جذيمة غدرت به الزباء وقطعت راهشيه، وسال منه الدم حتى مات، وأنه وجد ما وعدته من تزوجه بها كذباً و ميناً، وهما بمعنى واحد. وإحدى الكلمتين زائدة فلا يتغير المعنى بإسقاط أيهما شئت.

والحشو: كقول: زُهير بن أبي سلمى. [الطويل]

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنّني عن علم ما في غد عمي[١]

وكل من الحشو والتطويل معيب في البيان، وكلاهما بمعزل عن مراتب البلاغة.

واعلم أن دواعي الإطناب كثيرة، منها تثبت المعنى، وتوضيح المراد والتوكيد، ودفع الإيهام، وإثارة الحمية و غير ذلك.

وأنواع الإطناب كثيرة[٢]

١ ـ منها: ذكر الخاص بعد العام: كقوله تعالى: ﴿حافظوا على الصَّلَواتِ والصلاةِ الوُسْطى﴾ [البقرة: ٢٣٨] و فائدته التنبيه على مزية: وفضل في الخاص حتى كأنه لفضله ورفعته، جزء آخر، مغاير لما قبله. ولهذا خص الصلاة الوسطى (وهي العصر) بالذكر لزيادة فضلها.

٢ ـ ومنها: ذكر العام بعد الخاص، كقوله تعالى: ﴿رَبِّ اغفرْ لِي ولوَالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمُؤمنات﴾ [نوح: ٢٨][٣] وفائدته شمول بقية الأفراد والاهتمام بالخاص لذكره ثانياً في عنوان عام بعد ذكره اولاً في عنوان خاص.

٣ ـ ومنها: الإيضاح بعد الإبهام، لتقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين، مرة على سبيل الإبهام والإجمال، ومرة على سبيل التفصيل والإيضاح، فيزيده ذلك نبلاً وشرفاً كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾ [الصف: ١٠، ١١]، وكقوله تعالى: ﴿وقَضَينا إلَيهِ ذَلكَ الأمر أنَّ دَابرَ هؤلاء مقطوعٌ مصبحين﴾ [الحجر: ٦٦]. فقوله إن دابر

---

١. الشاهد في قوله، قبله، لأنه معلوم من قوله أمس، وكقول الآخر: [مجزوء الوافر]

ذكرت أخي فعاودني صداع الرأس والوصب

فإن الصداع لا يكون إلا في الرأس، فذكر الرأس لا فائدة فيه.

٢. ومنها الحروف الزائدة. وتكثير الجمل، نحو ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾.

٣. من دعاء سيدنا نوح عليه السلام لنفسه ولوالديه وللمؤمنين.

هؤلاء تفسير وتوضيح لذلك الأمر المبهم وفائدته توجيه الذهن إلى معرفته، وتفخيم شأن المبين، وتمكينه في النفس فأبهَمَ في كلمة الأمر ثم وضحه بعد ذلك تهويلاً لأمر العذاب.

٤ ـ ومنها: التوشيع: وهو أن يؤتى في آخر الكلام بمثنى مفسر بمفردين ليرى المعنى في صورتين، تخرج فيهما من الخفاء المستوحش إلى الظهور المأنوس، نحوالعلم علمان، علم الأبدان، وعلم الأديان.

٥ ـ ومنها: التكرير: وهو ذكر الشيء مرتين أو أكثر لأغراض:

الأول: التأكيد وتقرير المعنى في النفس كقوله تعالى: ﴿كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون﴾ [التكاثر: ٣، ٤][1] وكقوله تعالى: ﴿فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً﴾ [الشرح: ٥، ٦].

الثاني: طول الفصل لئلا يجيء مبتوراً ليس له طلاوة. كقوله تعالى: ﴿يا أبت إني رأيتُ أحدَ عشرَ كوكباً والشمسَ والقمرَ رأيتهُمْ لي ساجدين﴾ [يوسف: ٤] فكرر رأيت لطول الفصل ومن هذا قول الشاعر: [الطويل]

وإن امرأ دامتْ مواثيقُ عهده ... على مثل هذا إنه لكريمُ[2]

الثالث: قصد الاستيعاب: نحو: قرأت الكتاب باباً باباً، وفهمته كلمة كلمة.

الرابع: زيادة الترغيب في امر مطلوب كالعفو في قوله تعالى: ﴿إنّ من أزواجكم وأولادكم عَدوّاً لكم فاحْذروهم. وإن تعفوا و تصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾ [التغابن: ١٤].

الخامس: الترغيب في قبول النصح باستمالة المخاطب لقبول الخطاب كقوله تعالى: ﴿وقالَ الذي آمنَ يا قوْم اتبعونِ أهدكُمْ سبيل الرشادِ يا قوم إنما هذهِ الحياةُ الدُّنيا متاعٌ وإن الآخرة هي دار القرار﴾ [غافر: ٣٨، ٣٩]. ففي تكرير يا قوم تعطيف لقلوبهم، حتى لا يشكوا في إخلاصه لهم في نصحه.

---

١. أي سوف تعلمون ما أنتم عليه من الخطأ إذا شاهدتم هول المحشر، فقد أكد الإنذار بتكريره ليكون أبلغ تأثيراً وأشد تخويفاً.

٢. الشاهد في تكرير (إن) الّتي في أول البيت، وتكريرها في آخره.

السادس: التنويه بشأن المخاطب[١] نحو: «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إبراهيم».

السابع: الترديد: وهو تكرار اللفظ متعلقاً بغير ما تعلق به أولاً نحو: السخي: قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة. والبخيل: بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة.

الثامن: التلذذ بذكره، نحو قول: مروان بن أبي حفصة. [الطويل]

سقى الله نجداً والسلام على نجد ... ويا حبذا نجد على القرب والبعد

التاسع: الإرشاد إلى الطريقة المثلى، كقوله تعالى: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ [القيامة: ٣٤، ٣٥].

٦ – ومنها: الاعتراض لغرض يقصده المتكلم وهو أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين في المعنى، بجملة معترضة، أو أكثر، لا محل لها من الإعراب[٢]. وذلك لأغراض يرمي إليها البليغ غير دفع الإيهام.

أ – كالدعاء: نحو: إني حفظك الله مريض. وكقول عوف بن محلم الشيباني: [السريع]

إن الثمانين وبُلِّغتَها ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمان[٣]

ب ـ والتنبيه على فضيلة العلم كقول الآخر:

واعلم فعلم المرء ينفعه ... أن سوف يأتي كل ما قُدرا

[الكامل]

---

١. او التنويه بشأن المخاطب كقول الإمام الحسين عليه السلام: انّ الدعيّ ابن الدّعي قد ركضني بين اثنتين، بين السلة والذلة وهيهات منّا الذلة.

٢. لم يشترط بعضهم وقوعه بين جزأي جملة ولا بين كلامين، بل جوز وقوعه آخر الكلام مطلقاً، سواء وليه ارتباطاً بما قبله أو لا، كقوله تعالى ﴿وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾، فجملة ونعم الوكيل معترضة، وليست معطوفة على ما قبلها حتى يلزم عطف الانشاء على الخبر.

٣. بلغتها بفتح التاء أي بلغك الله إياها، وترجمان كزعفران، ويجوز ضم التاء مع الجيم واعلم أن الدعاء من الشاعر موجه إلى المخاطب بطول عمره، وأن يعيش مثله ثمانين سنة، واعلم أنه قد يقع الاعتراض في الاعتراض كقوله تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون﴾.

جـ ـ والتنزيه: كقوله: ﴿ويَجْعلون لِلَّهِ البناتِ سبحانهُ ولَهُمْ ما يشتَهُون﴾ [النحل: ٥٧].

د ـ وزيادة التأكيد: كقوله تعالى: ﴿ووصَّينا الإنسان بوالديه حلمته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير﴾ [لقمان: ١٤].

هـ ـ والاستعطاف كقول الشاعر: [الكامل]

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه ... يا جنتي لرأيت فيه جهنما

و ـ والتهويل: نحو: ﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ [الواقعة: ٧٦].

٧ ـ ومنها الإيغال: وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة، يتم المعنى بدونها كالمبالغة: في قول الخنساء: [البسيط]

وإن صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

فقولها: كأنه علم واف بالمقصود، لكنها أعقبته بقولها في رأسه نار لزيادة المبالغة، ونحو: قوله تعالى: ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ [البقرة: ٢١٢].

٨ ـ ومنها التذييل: وهو تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلة، تشتمل على معناها، تأكيداً لمنطوق الأولى،[1] أو لمفهومها نحو قوله تعالى: ﴿وقل جاء الحق وزَهَقَ الباطل إن الباطل كان زَهوقاً﴾ [الإسراء: ٨١]. ونحو قوله تعالى: ﴿وذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكَفُور﴾ [سبأ: ١٧].

والتذييل: قسمان قسم يستقل بمعناه، لجريانه مجرى المثل. وقسم لا يستقل بمعناه، لعدم جريانه مجرى المثل.

فالأول: الجاري مجرى الأمثال، لاستقلال معناه، واستغنائه عما قبله كقول طرفة:

كلّ خليل كنت خاللته ... لا تترك الله له واضحه

[السريع]

كلكم أروغ من ثعلب ... ما أشبه الليلة بالبارحه

---

١. التأكيد ضربان: تأكيد المنطوق كما في هذه الآية، وتأكيد المفهوم كقوله: [الطويل]

ولست بمستبق أخاً لا تلمّه ... على شعث إي الرجال المهذب

فقد دل بمفهومه على نفي الكمال من الرجال فأكده بقوله: «أي الرجال المهذب».

والثاني: غير الجاري مجرى الأمثال، لعدم استغنائه عما قبله، ولعدم استقلاله بإفادة المعنى كقول النابغة: [البسيط]

لم يُبْقِ جودك لي شيئاً أؤمله ... تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

فالشطر الثاني: مؤكد للإول، وليس مستقلاً عنه، فلم يجر مجرى المثل.

٩ ـ ومنها الاحتراس: ويقال له التكميل، وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم. فالاحتراس: يوجد حيثما يأتي المتكلم بمعنى يمكن أن يدخل عليه فيه لوم، فيفطن لذلك ويأتي بما يخلصه.

سواء أوقع الاحتراس في وسط الكلام. كقول طرفة بن العبد:[الكامل]

فسقى ديارك غير مفسدها ... صَوْبُ الربيع وديمةٌ تهمي[1]

فقوله: غير مفسدها: للاحتراس.

أو وقع الاحتراس في آخره، نحو: ﴿وَيُطعمون الطعام على حبه﴾ [الانسان: ٨] أي: مع حب الطعام: واشتهائهم له، وذلك أبلغ في الكرم، فلفظ «على حُبِّه» فضلة للاحتراس ولزيادة التحسين في المعنى. وكقول أعرابية لرجل: أذل الله كل عدو لك إلا نفسك.

١٠ ـ ومنها التتميم: وهو زيادة فضلة، كمفعول، أو حال، أو تمييز، أو جار ومجرور، توجد في المعنى حُسناً بحيث لو حذفت صار الكلام مبتذلاً. كقول ابن المعتز يصف فرساً:[الطويل]

صببنا عليها ظالمين سياطنا ... فطارت بها أيدٍ سراعٌ وأرْجُل

إذ لو حذف ظالمين لكان الكلام مبتذلاً، لا رقة فيه ولا طلاوة وتوهم أنها بليدة تستحق الضرب.

ويستحسن الإطناب في الصلح بين العشائر، والمدح، والثناء والذم والهجاء، والوعظ، والإرشاد، والخطابة: في أمر من الأمور العامة، والتهنئة ومنشورات الحكومة إلى الأمة، وكتب الولاة إلى الملوك، لإخبارهم بما يحدث لديهم من مهام الأمور.

---

١ . لما كان المطر مما يسبب الخراب دفع هذا الوهم بقوله: «غير مفسدها».

وهناك أنواع أخرى من الإطناب، كما تقول في الشيء المستبعد: رأيته بعيني وسمعته بأذني، وذقته بفمي: تقول ذلك لتأكيد المعنى وتقريره. وكقوله تعالى: ﴿فخرّ عليهم السقفُ من فوقهم﴾ [النحل: ٢٦] السقف لا يخر طبعاً إلا من فوق ولكنه دل بقولهم (من فوقهم) على الإحاطة والشمول.

واعلم: أن الإطناب أرجح عند بعضهم من الإيجاز، وحجته في ذلك أن المنطق إنما هو البيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع والاشباع لا يقع إلا بالإقناع وأفضل الكلام أبينه. وأبينه أشده إحاطة بالمعاني. ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة، إلا بالاستقصاء والإطناب.

والمختار: أن الحاجة إلى كل من الإطناب، والإيجاز، ماسة: وكل موضع لا يسد أحدهما مكان الآخر فيه. وللذوق السليم القول الفصل في موطن كل منهما.[1]

المبحث الثالث في المساواة

المساواة: هي تأدية المعنى المراد: بعبارة مساوية له[2]، بأن تكون الألفاظ على قدر المعاني، لا يزيد بعضها على بعض.

ولسنا بحاجة إلى الكلام على المساواة، فإنها هي الأصل المقيس عليه، والدستور الذي

---

٢. المساواة هي ما ساوى لفظه معناه بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر، وهي نوعان:

الأول: مساواة مع الاختصار، وهي أن يتحرى البليغ في تأدية المعنى أوجز ما يكون من الألفاظ القليلة الأحرف الكثيرة المعاني. كقوله تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾. وكقوله تعالى: ﴿ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله﴾.

والثاني: مساواة بدون اختصار «ويسمى متعارف الأوساط» وهو تأدية المقصود من غير طلب للاختصار. كقوله تعالى: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾.

والوجهان في المركز الأسمى من البلاغة غير أن الأول أدخل فيها وأدل عليها.

والمساواة فن من القول عزيز المثال تشرئب إليه أعناق البلغاء لكن لا يرتقي إلى ذراه إلا الأفذاذ لصعوبة المرتقى، وجلال المقصد، والمساواة يعتبرها بعضهم وسطاً بين الإيجاز والإطناب، وبعضهم يدمجها، ولا يعدها قسماً ثالثاً للإيجاز والإطناب.

يعتمد عليه. كقوله تعالى: ﴿وما تُقَدِّموا لأنفسكم من خير تجدوهُ عندَ الله﴾ [البقرة: ١١٠]. وكقوله تعالى: ﴿كل امرىء بما كسبَ رهينٌ﴾ [الطور: ٢١]. وكقوله تعالى: ﴿من كفر فعليه كفرُهُ﴾ [الروم: ٤٤]. وكقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء مانوى». فإن اللفظ فيه على قدر المعنى، لا ينقص عنه، ولا يزيد عليه. وكقول طرفة بن العبد: [الطويل]

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

هذه أمثلة للمساواة، لا يستغني الكلام فيها عن لفظ منه، ولو حذف منه شيء لأخل بمعناه.

أسئلة على الإيجاز والإطناب والمساواة تطلب أجوبتها

ما هي المساواة؟ ما هو الإيجاز؟ ما هو الإطناب؟ كم قسماً للإيجاز؟ ما هو إيجاز القصر؟ ما هو إيجاز الحذف؟ بأي شيء يكون إيجاز الحذف؟ كم قسماً للإطناب؟ ما هو ذكر الخاص بعد العام؟ ما هو ذكر العام بعد الخاص؟ ما هو الإيضاح بعد الإبهام؟ ما هو التكرار؟ ما هو الاعتراض؟ ما هو الإيغال؟ ما هو التوشيع؟ ما هو التذييل؟ ما هو التكميل؟ ما هو التتميم؟ ما هو الاحتراس؟ما هو الفرق بين التطويل والحشو؟ ما هي دواعي الإيجاز؟ ما هي دواعي الإطناب؟ كم قسماً للتذييل؟ أيكون الإطناب بغير هذه الأنواع؟

تطبيق عام على الإيجاز والإطناب والمساواة

درست الصرف: فيه مساواة. لأن اللفظ على قدر المعنى

﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ [الإنسان: ٨] فيه إطناب بالتتميم فإن على حبه فضلة لزيادة التحسين في المعنى

﴿ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله﴾ [فاطر: ٤٣] فيه مساواة.

المرء بأدبه: فيه إيجاز قصر لتضمن العبارة القصيرة معاني كثيرة.

﴿تالله تفتأ تذكر يوسف﴾ [يوسف: ٨٥] فيه إيجاز حذف وهو «لا».

﴿وأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق﴾: فيه إيجاز حذف جملة. أي فضرب فانفلق.

ألا كل شيء ما خلا الله باطل: فيه إطناب بالاحتراس.

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

[الطويل]

فيه الإطناب بالتذييل. والجملة الثانية جارية مجرى المثل.

جوزي المذنب بذنبه وهل يجازى إلا المذنب: فيه إطناب بالتذييل، وليس جارياً مجرى المثل.

﴿فمن يعمل الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه﴾ [الأنبياء: ٩٤]: فيه إطناب بالاحتراس.

البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة: فيه إطناب بالترديد.

﴿ولكن البر من اتقى﴾: فيه إيجاز حذف مضاعف، أي ذا البر.

واهتم للسفر القريب فإنه أنأى من السفر البعيد وأشنع

[الكامل]

فيه إطناب بالإيغال. فإن أشنع مزيدة للترتيب في الاهتمام.

﴿خلطوا عملاً صالحاً واخر سيئاً﴾ [التوبة: ١٠٢] فيه إيجاز حذف أي خلطوا عملاً صالحاً بسيىء.

﴿والليل إذا يسر﴾: [الفجر: ٤] فيه إيجاز بحذف الياء وسبب حذفها أن الليل لما كان غير سار وإنما يسري من فيه، نقص منه حرف، إشارة إلى ذلك جرياً على عادة العرب في مثل ذلك.

﴿ليحق الحق ويبطل الباطل﴾ [الأنفال: ٨] فيه إيجاز بحذف جملة. أي فعل ذلك.

تمرين

بين الإيجاز، والإطناب، والمساواة: وأقسام كل منها فيما يأتي:

قال الله تعالى: ﴿إن في خلقِ السَّمواتِ والأرْضِ واختلافِ الليلِ والنهار، والفلك التي تجري في البحرِ بما يَنفعُ الناسَ وما أنْزَلَ اللهُ من السَّماءِ منْ ماءٍ فأحْيا بِه الأرْضَ بعدَ موْتِها وبثَّ فيها من كلِّ

دَابةٍ وتصريف الرِّياح والسَّحابِ المُسخرِ بين السماءِ والأرض لآيات لقومٍ يَعقلون﴾ [البقرة: ١٦٤][١].

وقال تعالى: ﴿خذ العَفْوَ وأمرْ بالعرفِ وأعرِضْ عن الجاهلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩][٢].

وقال تعالى: ﴿يأخذ كل سفينة[٣] غصباً﴾ [الكهف: ٧٩].

أنـــا ابـــن جـلا[٤] وطـلّاع الثـنايا ... مـــتى أضـع العـــمامة تـــعرفوني

[الوافر]

(فالله هو الولي)[٥] ﴿وإن يكذِّبوكَ فقد كذَّبتْ رسلٌ من قبلكَ﴾ [فاطر: ٤][٦].

فـــقلت يمـــين الله أبـــرح[٧] قـاعداً ... ولو قـــطعوا رأسي لديك وأوصـالي

[الطويل]

شيخ يرى الصلوات الخـمس نـافلة ... ويسـتحل دم الحـجاج في الحـرم[٨]

وقال تعالى: ﴿تطمئنُّ قلوبُهُمْ بذِكرِ اللّهِ ألاَ بِذِكْرِ اللهِ تطمئنُّ القلوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

---

١. في هذه الآية الإطناب بتكثير الجمل. وهذا خلاف الأنواع السابقة وذلك لأنه لما كان الخطاب مع العموم وفيهم الذكي والغبي صرح بخلق أمهات الممكنات الظاهرة ليكون دليلاً على القدرة الباهرة، وذلك بدل أن يقال (إن في وقوع كل ممكن تساوى طرفاه لآيات للعقلاء).

٢. فيه إيجاز القصر لأنه قد جمع مكارم الأخلاق.

٣. أي سفينة سالمة.

٤. أي أنا ابن رجل جلا المشكلات.

٥. الشرط محذوف أي إن أرادوا ولياً فالله هو الولي.

٦. أي فاقتدر اصبر.

٧. أي لا أبرح.

٨. في الحرم، إيغال للزيادة في المبالغة

خاتمة

علمت أن البلاغة متوقفة على مطابقة الكلام لمقتضى الحال. ورأيت في ما تقدم من الأحكام، أن مقتضى الحال يجري على مقتضى الظاهر.

وهذا بالطبع هو الأصل، ولكن قد يعدل عما يقتضيه الظاهر إلى خلافه مما تقتضيه الحال في بعض مقامات الكلام، لاعتبارات يراها المتكلم. وقد تقدم كثير من ذلك العدول المسمى باخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر في الابواب السابقة.

وبقي من هذا القبيل أنواع أخرى كثيرة.

الأول: الالتفات: وهو الانتقال من كل تكلم أو الخطاب، أو الغيبة إلى صاحبه، لمقتضيات ومناسبات تظهر بالتأمل في مواقع الالتفات: تفنناً في الحديث، وتلويناً للخطاب، حتى لا يمل السامع من التزام حالة واحدة، وتنشيطاً وحملاً على زيادة الإصغاء، فإن لكل جديد لذة ولبعض مواقعه لطائف، ملاك إدراكها الذوق السليم.

واعلم أن صور العدول إلى الالتفات ستة.

١ ـ عدول من التكلم إلى الخطاب: كقوله تعالى: ﴿ومَا لِيَ لا أعبُدُ الذي فطرني وإليه ترجعونَ﴾ [يس: ٢٢] والقياس: وإليه أرجع.

٢ ـ عدول من التكلّم إلى الغيبة: كقوله تعالى: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمةِ اللّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

٣ ـ عدول من الخطاب إلى التّكلم: كقوله تعالى: ﴿واستَغفِروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربِّي رحيم ودُود﴾.

٤ ـ عدول من الخطاب إلى الغيبة: كقوله تعالى: ﴿ربنا أنّك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إنَّ الله لا يخلف الميعاد﴾ [آل عمران: ٩].

٥ ـ عدول من الغيبة إلى التكلم: كقوله تعالى: ﴿وهو الذي أرسل الرياحَ بُشراً بَين يَدَي رَحمتِهِ وأنزَلنا منَ السماء ماءً طهوراً﴾ [الفرقان: ٤٨] والقياس: وأنزل.

٦ ـ عدول من الغيبة إلى الخطاب: كقوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله﴾ [البقرة: ٨٣].

الثاني: تجاهل العارف، وهو سوق المعلوم مساق المجهول، بأن يجعل العارف بالشيء نفسه جاهلاً به، وذلك لأغراض:

١ ـ كالتعجب: نحو قوله تعالى: ﴿أفسحرٌ هذا أم أنتم لا تبصرونَ﴾ [الطور: ١٥]

٢ ـ والمبالغة في المدح: نحو: وجهك البدر أم شمس.

٣ ـ والمبالغة في الذم: كقول الشاعر: [الوافر]

وما أدري وسوف إخال أدري ... أقومٌ آلُ حصن أم نساء

٤ ـ والتوبيخ وشدة الجزع: كقول شاعر: [الطويل]

أيا شجر الخابور ما لك مورقاً ... كأنك لم تجزع على ابن طريف[1]

٥ ـ وشدة الوله: كقول الشاعر: [البسيط]

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ... ليلاي منكنَّ أم ليلى من البشر

٦ ـ والفخر: كقوله [الخفيف]

أيُّنا تعرف المواقف منه ... وثبات على العدا وثباتا

الثالث: القلب[2]: وهو جعل كل من الجزأين في الكلام مكان صاحبه، لغرض المبالغة، نحو قول رؤبة بن العجاج: [الرجز]

ومهمه مغبرةٍ أرجاؤه ... كأن لون أرضه سماؤه[3]

---

١. تجاهلت أخت طريف عن سبب انتفاء الجزع عن الشجر لشدة التحير والتضجر.

٢. ويستدل عليه بالتأمل في المعنى فنحو عرضت الناقة على الحوض. وأدخلت الخاتم في أصبعي، أصله «عرضت الحوض على الناقة» لأن العرض يكون على ما له «إدراك» وأصله أدخلت أصبعي في الخاتم «لأن الظرف هو الخاتم» والنكتة أن الظاهر الإتيان بالمعروض إلى المعروض عليه، وتحريك المظروف نحو الظرف. ولما كان ماهنا بالعكس قلبوا الكلام رعاية لهذا الاعتبار، وإنما يقبل حيث يتضمن اعتباراً لطيفاً.

٣. والمهمه المفازة البعيدة، وأرجاؤه نواحيه.

أي: كأن لو سمائه لغبرتها لون أرضه، مبالغة في وصف لون السماء بالغبرة، حتى صار بحيث يشبه به لون الارض.

ونحو: أدخلت الخاتم في أصبعي: والقياس: أدخلت أصبعي في الخاتم وعرضت الناقة على الحوض.

الرابع: التعبير عن المضارع بلفظ الماضي، وعكسه.

فمن أغراض التعبير عن المضارع بلفظ الماضي.

أ ـ التنبيه على تحقق وقوعه: نحو ﴿أتى أمرُ اللهِ﴾ [النحل: ١] أي: يأتي.

ب ـ أو قرب الوقوع: نحو: قد قامت الصلاة، أي قرب القيام لها.

ج ـ والتفاؤل: نحو: إن شفاك الله تذهب معي.

د ـ والتعريض: نحو قوله تعالى: ﴿لئنْ أشركتَ ليحبطنَّ عملكَ﴾ [الزمر: ٦٥]. فيه تعريض للمشركين بأنهم قد حبطت أعمالهم.

ومن أغراض التعبير عن الماضي بلفظ المضارع.

أ ـ حكاية الحالة الماضية باستحضار الصورة الغريبة في الخيال[1]. كقوله تعالى: ﴿اللهُ الذي أرسَلَ الرياحَ فتثيرُ سحاباً﴾ [فاطر: ٩] بدل فأثارت.

ب ـ وإفادة الاستمرار فيما مضى: كقوله تعالى: ﴿لوْ يُطيعكمْ في كثيرٍ منَ الأمرِ لعنتمْ﴾ [الحجرات: ٤٧] أي: لو استمر على إطاعتكم لهلكتم.

الخامس: التعبير عن المستقبل بلفظ اسم الفاعل. نحو قوله تعالى: ﴿إن الدِّينَ لَوَاقع﴾ [الذاريات: ٦]. أو بلفظ اسم المفعول: نحو قوله تعالى: ﴿ذلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَاسُ﴾ [هود: ١٠٣].

وذلك: لأن الوصفين المذكورين حقيقة في الحال، مجاز فيما سواه.

السادس: يوضع المضمر موضع المظهر، خلافاً لمقتضى الظاهر، ليتمكن ما بعده في ذهن السامع، نحو: هو الله عادل.

---

١ ـ يوضع المضارع موضع الماضي لإيهام المشاهدة بإحضار صورة الشيء في ذهن السامع بصيغة الحاضر.

ويوضع المظهر موضع المضمر لزيادة التمكين، نحو: خير الناس من نفع الناس أو لإلقاء المهابة في نفس السامع، كقول الخليفة: أمير المؤمنين يأمر بكذا أي: أنا آمر. أو للاستعطاف: نحو: أيأذن لي مولاي أن أتكلم أي: أتأذن.

السابع: التغليب: وهو ترجيح أحد الشيئين على الآخر في إطلاق لفظه عليه[1] وذلك:

١ ـ كتغليب المذكر على المؤنث، في قوله تعالى: ﴿وكانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢] وقياسه القانتات. ونحو: الأبوين للأب والأم والقمرين: للشمس والقمر.

٢ ـ وكتغليب الأخفّ على غيره، نحو الحسنين، في الحسن والحسين.

٣ ـ وكتغليب الأكثر على الأقل، كقوله تعالى: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ والذينَ آمَنُوا معك من قَرْيَتِنَا أو لتَعُودُنَّ في مِلَّتنا﴾ [الأعرف: ٨٨]. أدخل (شُعَيب) في العود إلى ملّتهم، مع أنه لم يكن فيها قطّ، ثم خرَج منها وعاد، تغليباً للأكثر.

ط ـ وكتغليب العاقل على غيره، كقوله تعالى: ﴿الحمدُ لِلّهِ رَبِّ العالمين﴾ [الفاتحة: ٢].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

تم علم المعاني، ويليه علم البَيان، والله المستعان أولاً وآخراً.

---

١ . التغليب: هو إطلاق لفظ أحد الصاحبين على الآخر ترجيحاً له عليه. والتغليب كثير في كلام العرب. والله سبحانه وتعالى أعلم.

علم البيان

١ ـ البيان[١]: لُغة الكشف، والإيضاح، والظُّهور[٢].

واصطلاحاً: أصولٌ وقواعدُ يُعرف[٣] بها إيرادُ المعنى الواحد، بطُرق يختلف بعضها عن بعض، في وضوح الدلالة العقلية على نفس ذلك المعنى.

---

١. هو اسم لكل شيء كشف لك بيان المعنى، وهتك لك المحجب، دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقة، ويهجم على محصوله، كائناً ما كان ذلك البيان. ومن أي جنس كان ذلك الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام. فبأي شيء بلغت الأفهام، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع. واعلم أن المعتبر في علم البيان دقة المعاني المعتبرة فيها من الاستعارات والكنايات مع وضوح الألفاظ الدالة عليها. فالبيان هو المنطق الفصيح، المعرب عما في الضمير.

٢. فإذا كان معنى البيان (الإيضاح) كان متعدياً. وإن كان بمعنى (الظهور) كان لازماً يقال: بينت الشيء: أوضحته. وبان الشيء ظهر واتضح، وكذلك تقول أبنت الشيء وأبان الشيء، وكذلك بينت الشيء أظهرته، وبين الشيء ظهر، وكذلك تبينت الشيء وتبيّن الشيء واستبنت الشيء، واستبان الشيء، بمعنى واحد.
والتبيان بالكسر البيان. والكشف، والإيضاح.

٣. أي يعرف من حمل تلك الأصول كيف يعبر عن المعنى الواحد بعبارات بعضها أوضح من بعض. فعلم البيان: عليم يستطاع بمعرفته إبراز المعنى الواحد بصور متفاوتة، وتراكيب مختلفة في درجة الوضوح، مع مطابقة كل منها مقتضى الحال، فالمحيط بفن البيان الضليع من كلام العرب منثوره ومنظومه. إذا أراد التعبير عن أي معنى يدور في خلده ويجول بضميره، استطاع أن يختار من فنون القول، وطرق الكلام ما هو أقرب لمقصده، وأليق بغرضه، بطريقة تبين ما في نفس المتكلم من المقاصد وتوصل الأثر الذي يريده به إلى نفس السامع في المقام المناسب له، فينال الكاتب والشاعر، والخطيب، من نفس مخاطبيه إذا جود قوله، وسحرهم ببديع بيانه.
ولا بد في علم البيان من اعتبار [المطابقة المقتضى الحال] المعتبرة في علم المعاني فمنزلة [المعاني] من [البيان] منزلة الفصاحة من البلاغة.

فالمعنى الواحد: يستطاع أداؤه بأساليب مُختلفة، في وضوح الدلالة عليه. فإنك: تقرأ في بيان فضل العلم مثلاً قول الشاعر: [الكامل]

١ ـ العلم ينهض بالخسيس إلى العلى والجهل يقعد بالفتى المنسوب

ثم تقرأ في المعنى نفسه، كلام الإمام علي عليه السلام.

٢ ـ العلم نهرٌ والحكمة بحر. والعلماء حول النَّهر يطوفون. والحكماء وسط البحر يغوصون. والعارفون في سفن النَّجاة يسيرون.

فتجد: أن بعض هذه التراكيب أوضحُ من بعض، كما تراه يضع أمام عينيك مشهداً حسياً، يقرِّبُ إلى فهمك مايُريد الكلام عنه من فضل العلم.

فهو: يشبِّهه بنهر، ويشبِّه الحكمة ببحر.

ويصور لك أشخاصاً طائفين حول ذلك النهر هم العلماء.

ويصور لك أشخاصاً غائصين وسط ذلك البحر هم الحكماء.

ويصور لك أشخاصاً راكبين سفناً ماخرة في ذلك البحر للنجاة من مخاطر هذا العالم هم أرباب المعرفة.

ولا شك: أن هذا المشهد البديع: يستوقف نظرك، ويستثير إعجابك من شدَّة الرَّوعة والجمال المُستمدَّة من التشبيه، بفضل البيان الذي هو سر البلاغة.

ب ـ **وموضوع هذا العلم:** الالفاظ العربية، من حيث: التشبيه، والمجاز، والكناية.

ج ـ **وواضعه:** أبو عبيدة الذي دَوّنَ مسائل هذا العلم في كتابه المُسمَّى مجاز القرآن وما زال ينمو شيئاً فشيئاً، حتى وصل إلى عبدالقاهر فأحكم أساسه، وشيدّ بناءه، ورتب قواعده، وتبعه الجاحظ، وابن المعتزّ وقُدَامة وأبو هلال العسكري.

د ـ **وثمرته:** الوقوف على أسرار كلام العرب منثوره ومنظومه ومعرفة ما فيه من تفاوتٍ في فنون الفصاحة، وتبايُن في درجات البلاغة التي يصل بها إلى مرتبة إعجاز القرآن الكريم الذي حار الجنُّ والإنسُ في مُحاكاته وعجزوا عن الإتيان بمثله.

وفي هذا الفن أبواب ومباحث.

الباب الاول

في التشبيه

تمهيد

للتَّشبيه: رَوعة وجمال، وموقعٌ حسنٌ في البلاغة، وذلك لإخراجه الخفيّ إلى الجليّ، وإدنائِه البعيد من القريب، يَزيدُ المعاني رِفعة ووضوحاً، ويكسبها جمالاً وفضلاً، ويكسوها شرفاً ونُبلاً؛ فهو فن واسع النِّطاق، فسيح الخطو، مُمتد الحواشي، مُتَشَعِّب الأطراف، مُتَوَعِّر المسلك، غامض المدرك، دقيق المجرَى، غزير الجَدوَى.

ومن أساليب البيان: أنك إذا أردت إثبات صفةٍ لموصوف مع التوضيح، أو وجه من المبالغة، عمدت إلى شيء آخر، تكون هذه الصفة واضحة فيه، وعقدت بين الاثنين مماثلة، تجعلها وسيلة لتوضيح الصِّفة، أو المبالغة في إثباتها؛ لهذا كان التشبيه أوَّلَ طريقة تدلّ عليه الطبيعة لبيان المعنى.

تعريف التشبيه وبيان أركانه الأربعة

التشبيهُ: لُغة التَّمثيل، يقال: هذا شِبْه هذا ومثيله.

والتشبيه اصطلاحاً: عقد مُماثلة بين أمرين، أو أكثر، قُصِد اشتراكهما في صفةٍ أو أكثر، بأداة: لغرض يقصد المتكلم.

وأركان التشبيه أربعة:

١ ـ **المُشبه:** هو الأمر الذي يُراد إلحاقه بغيره.

هذان الركنان يسميان طرفي التشبيه

٢ ـ **المشبه به:** هو الأمر الذي يلحق به المشبه.

٣ ـ **وجه الشبه:** هو الوصف المشترك بين الطرفين، ويكون في المشبه به، أقوى منه في المشبه وقد يذكر وجه الشبه في الكلام وقد يحذف كما سيأتي توضيحه.

٤ ـ **أداة التشبيه:** هي اللفظ الذي يدلُّ على التشبيه، ويربط المشبه بالمشبه به، وقد تذكر الأداة في التشبيه، نحو: كان علي عليه السلام في رعيته كالميزان في العدل، وكان فيهم كالوالد في الرحمة والعطف. وقد تحذف الأداة نحو: خدّه ورد في اللطافة.

المبحث الاول

في تقسيم طرفي التشبيه إلى حِسي وعقلي

طرفا التشبيه، المشبه والمشبه به.

١ ـ إما حسيَّان[1] أي مدركان بإحدى الحواس الخمس الظاهرة. نحو: أنت كالشمس في

---

١. اعلم أن من الحسي، ما لا تدركه الحواس الخمس التي هي (البصر والسمع والشم والذوق واللمس) ولكن تدرك مادته فقط ويسمى هذا التشبيه (بالخيالي) الذي ركبته المتخيلة من أمور موجودة، كل واحد منها يدرك بالحس، كقوله: [الطويل]

كأن الحباب المستدير برأسها ... كواكب دُرٍّ في سماء عقيق

فإن كواكب در، وسماء عقيق، لايدركها الحس، لأنها غير موجودة، ولكن يدرك مادتها التي هي الدر والعقيق، على انفراد، والمراد بالحباب ما يعلو الماء من الفقاقيع والضمير للخمر، ومنه أيضاً قول الآخر: [مجزوء الكامل]

وكأن محمر الشقـ ... ـيق إذا تصوَّب أو تصعد

أعلام ياقوت نشر ... ن على رماح من زبرجد

فإن الأعلام والياقوت والزبرجد والرماح موجودة، لكن المشبه الذي مادته هذه ليس موجوداً ولا محسوساً.

الضياء، وكما في تشبيه الخد بالورد،

٢ ـ وإما عقليان أي مدركان بالعقل، نحو العلم كالحياة، ونحو: الضلال عن الحق كالعمى ونحو: الجهل كالموت.

٣ ـ وإما مختلفان، بان يكون:

أ ـ المشبه حسي، والمشبه به عقلي، نحو: طبيب السوء كالموت.

ب ـ والمشبه عقلي، والمشبه به حسي، نحو العلم كالنور.

واعلم أن العقلي[1] هو ما عدا الحسي، فيشمل المدرك ذهناً: كالرأي، والخلق، والحذق والأمل، والعلم، الذكاء، والشجاعة.

ويشمل أيضاً الوهمي، وهو ما لا وجود له، ولا لأجزائه كلها، أو بعضها في الخارج، ولو وجد لكان مدركاً بإحدى الحواس.

ويشمل الوجداني: وهو ما يدرك بالقوى الباطنة، كالغم، والفرح، والشبع، والجوع،

---

١ . المراد بالعقلي ما لا يدرك هو ولا مادته بإحدى الحواس الظاهرة، بل إدراكه عقلاً. فيدخل فيه الوهمي وهو ما لا يدرك هو ولا مادته بإحدى الحواس، ولكن لو وجد في الخارج لكان مدركاً بها، ويسمى هذا التشبيه «بالوهمي» الذي لا وجود له ولا لأجزائه كلها أو بعضها في الخارج، ولو وجد لكان مدركاً بإحدى الحواس كقوله تعالى: ﴿طلعها كأنه رؤوس الشياطين﴾ وكقوله: [الطويل]

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فإن أنياب الأغوال لم توجد هي ولا مادتها وإنما اخترعها الوهم، لكن لو وجدت لأدركت بالحواس والمشرفي السيف. والمسنونة السهام. والأغوال يزعمون أنها وحوش هائلة المنظر ولا أصل لها، والوجداني كالجوع والعطش ونحو هما ملحقة بالعقلي ثم التضاد بين الطرفين قد ينزل منزلة التناسب، ويجعل وجه الشبه على وجه الطرافة أو الاستهزاء كما في تشبيه شخص ألكن «بقس بن ساعدة»، أو رجل بخيل «بحاتم»، والفرق بين الطرافة والاستهزاء يعرف بالقرائن. فإن كان الغرض مجرد الطرافة فطرافة، وإلا فاستهزاء.

والعطش، والري.

فالحسيان يشتركان:

١ ـ في صفة مبصرة كتشبيه المرأة بالنهار في الإشراق، والشعر بالليل في الظلمة والسواد، كما في قول الشاعر: [الكامل]

فرعاء تسحب من قيام شعرها ... وتغيب فيه وهو ليل أسحم

فكأنها فيه نهار مشرق ... وكأنه ليل عليها مظلم[1]

٢ ـ أو في صفة مسموعة: نحو: غرد تغريد الطيور ونحو: سجع سجع القمري ونحو: أن أنين الثكلى، ونحو: أسمع دوياً كدوي النحل، وكتشبيه إنقاض الرحل بصوت الفراريج في قول الشاعر: [البسيط]

كأن أصوات من إيغالهن بنا ... أواخر الميس إنقاض الفراريج[2]

وكتشبيه الأصوات الحسنة في قراءة القرآن الكريم بالمزامير.

٣ ـ أو في صفة مذوقة، كتشبيه الفواكه الحلوة بالعسل

٤ ـ أو في صفة ملموسة: كتشبيه الجسم بالحرير في قول ذي الرمة: [الطويل]

لها بشر مثل الحرير ومنطق ... رخيم الحواشي لا هراء ولا نذر[3]

٥ ـ أو في صفة مشمومة، كتشبيه الريحان بالمسك، والنكهة بالعنبر.

---

١. امرأة فرعاء: كثيرة الشعر. وأسحم: اسود من سحم كتعب.

٢. الميس: الرحل. والإنقاض: قيل صوت الفراريج الضئيل، وقيل صوت الحيوان والنقض صوت الموتان كالرحل، والفراريج: جمع فروج وهو فرخ الدجاجة. وتقدير البيت: كأن أصوات أواخر الميس من إيغالهن بنا إنقاض الفراريج.

٣. رخيم الحواشي، مختصر الأطراف، والهراء (بضم الهاء) المنطق الكثير وقيل المنطق الفاسد الذي لا نظام له.

المبحث الثاني

في تقسيم طرفي التشبيه: باعتبار الإفراد، والتركيب

طرفا التشبيه، المشبه والمشبه به:

١ ـ إما مفردان مطلقان نحو: ضوءه كالشمس. وخده كالورد.

أو مقيدان[١] نحو: الساعي بغير طائل كالرَّاقم على الماء.

أو مختلفان نحو: ثَغره كاللؤلؤ المنظوم، ونحو: العين الزرقاء كالسنان.

وإما مركبان تركيباً لم يمكن إفراد أجزائهما، بحيث يكون المركب هيئة حاصلة من شيئين، أو من أشياء تلاصقت حتى اعتبرها المتكلم شيئاً واحداً، وإذا انتُزع الوجه من بعضها دون بعض، اختل قصد المتكلم من التشبيه كقوله[٢]: [الطويل]

كأن سهيلاً والنجوم ورَائه ... صُفوف صلاة قام فيها إمَامُها

إذا قيل: كأن سهيلاً إمام، وكأن النجوم صفوف صلاة، لذهبت فائدة التشبيه.

٢ ـ أو مركبان تركيباً إذا أفردت أجزاؤه زال المقصود من هيئة «المشبه به» كما ترى في قول الشاعر الآتي: حيث شبه النجوم اللامعة في كبد السماء، بدرٍّ منتثر على بساط أزرق.

وكأنَّ أجرامَ السماء لوامعا ... درٌّ نثرن على بساط أزْرق

إذ لو قيل: كأن النجومَ دُرر، وكأن السماء بساط أزرق، كان التشبيه مقبولاً، لكنه قد زال منه المقصود بهيئة المشبه به.

---

١. وتقييده بالإضافة، أو الوصف، أو المفعول، أو الحال، أو الظروف، أو بغير ذلك.

ويشترط في القيد: أن يكون له تأثير في وجه الشبه. ولهذا جعل قوله تعالى: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ من باب تشبيه المفرد بالمفرد بلا قيد. ونحو التعلم في الصغر كالنقش في الحجر.

٢. ومنه قول الشاعر: [المتقارب]

كأن الدموع على خدها ... بقية طل على جلنار

فالمشبه مركب من الدموع والخد، والمشبه به مركب من الطل والجلنار.

٣ ـ وإما مفرد بمركب: كقول الخنساء[١]: [البسيط]

أغـــر أبـــلجُ تأتمّ الهُـداة بـهِ كأنـــه عـــلم في رأســه نـــار

٤ ـ وإما مركب بمفرد، نحو: الماء المالح كالسم[٢].

واعلم: أنه متى رُكب أحد الطرفين لا يكاد يكون الآخر مفرداً مطلقاً بل يكون مركباً. أو مفرداً مقيداً، ومتى كان هناك تقييد أو تركيب كان الوجه مركباً. ضرورة انتزاعه من المركب، أو من القيد. والمقيد.

المبحث الثالث

في تقسيم طرفي التشبيه: باعتبار تعددهما[٣]

ينقسم طرفا التشبيه، المشبه والمشبه به باعتبار تعددهما، أو تعدد أحدهما. إلى أربعة أقسام: ملفوف، ومفروق، وتسوية، وجمع.

١ ـ **فالتشبيه الملفوف**: هو جمع كل طرف منهما مع مثله، كجمع المشبه مع المشبه، والمشبه به مع المشبه به، بحيث يؤتى بالمشبهات معاً على طريق العطف، أو غيره، ثم يؤتى بالمشبهات بها كذلك أو بالعكس كقوله: [مشطور البسيط]

ليـــل وبـــدر وغـــصن شـــعر ووجـــه وقـــد

خمـــر ودر و ورد ريـــق وثـــغر وخـــد

وكقوله: [البسيط]

تبسم وقـطوب في ندى ووغـى كالغيث والبرق تحت العارض البرد

---

١ وكقوله: [الكامل]

وحدائق لبس الشقيق نباتها كالارجوان منقطاً بالعنبر

٢ وكقوله: [الكامل]

لاتعجبوا من خاله في خده نار الشقيق بنقطة سوداء

فالمشبه مركب من «الخال والخد» والمشبه به مفرد وهو «الشقيق»

٣ متى تعدد الطرفان معاً نتج تشبيهان أو أكثر، لا تشبيه واحد.

وكقوله [الوافر]

وضـــوء الشهب فـــوق الليل بـاد كأطـــراف الأســـنة في الدروع[١]

٢ ـ **والتشبيه المفروق**: هو جمع كل مشبه مع ما شبه به، كقوله[٢]: [الكامل]

النـــشر مـسكٌ والوجـــوه دنـا نـــيرٌ وأطـرافُ الأكـف عَـنَمْ

٣ ـ **وتشبيه التسويه**: هو أن يتعدد المشبه دون المشبه به كقوله: [المجتث]

صـــدغ الحـــبيب وحـــالي كـــلاهما كـــالليالي

وثـــغره في صـــفاء وأدمـــعي كـــاللآلي

سمي بذلك: للتسوية فيه بين المشبهات.

٤ ـ **والتشبيه الجمع**: هو أن يتعدد المشبه به دون المشبه، كقوله: [السريع]

كأنمـــا يـــبسمُ عـــن لؤلؤ مـــنضد أو بـــرد أو أقـــاح[٣]

سمي بتشبيه الجمع للجمع فيه بين ثلاث مشبهات به وكقوله: [مجزوء الكامل]

مـــرت بـــنا رأد الضـــحى تحكـــي الغـــزالة والغـــزالا

تمرين

اذكر أحوال طرفي التشبيه فيما يأتي:

علم لا ينفع، كدواء لا ينجع، الصديق المنافق، والابن الجاهل، كلاهما كجمر الغضاء، الحق سيف على أهل الباطل، الحمية من الأنام، كالحمية من الطعام.

---

١. أي فقد جمع ضوء الشهب والليل المشبهين، مع أطراف الأسنة والدروع المشبه بهما.

٢. ومنه قوله: [الخفيف]

إنما النفس كالزجاجة والعلـ ـم سراج وحكمة الله زيت

فـإذا أشرقت فـإنك حـي وإذا أظـلمت فـإنك مـيت

٣. أي كأن المحبوب يبتسم عن أسنان كاللؤلؤ المنظوم، أو كالبرد أو كالأقاح فشبه الشاعر ثغر المحبوب بثلاثة أشياء اللؤلؤ (وهو الجوهر المعلوم) والبرد (وهو حب الغمام) والأقاح جمع أقحوان بضم الهمزة وفتحها، وهو زهر نبت طيب الرائحة حوله ورق أبيض، ووسطه أصفر.

المبحث الرابع

في تقسيم التشبيه باعتبار وَجه الشَّبه

وجه الشبه: وهو الوصف الخاص[1] الذي يقصد اشتراك الطرفين فيه كالكرم في نحو:

---

١. إما «حقيقة» كالبأس في قولك «زيد كالأسد» وإما «تخيلاً» كما في قوله: [الكامل]

يا من له شعر كحظي أسود ... جسمي نحيل من فراقك أصفر

فإن وجه الشبه فيه بين الشعر والحظ هو السواد. وهما يشتركان فيه، لكنه يوجد في المشبه تحقيقاً. ولا يوجد في المشبه به إلا على سبيل التخييل لأنه ليس من ذوات الألوان:

ثم اعلم أن وجه الشبه،إما داخل في حقيقة الطرفين وذلك كما في تشبيه ثوب بآخر، في جنسهما أو نوعهما أو فصلهما كقولك هذا القميص مثل ذلك في كونهما كتاناً أو قطناً، وإما خارج عن حقيقتهما وهو ماكان صفة لهما «حقيقة» وهي قد تكون حسية كالحمرة في تشبيه الخد بالورد، وقد تكون عقلية كالشجاعة في تشبيه الرجل بالأسد، أو «إضافية» وهي ماليست هيئة متقررة في الذات، بل هي معنى متعلقاً بها كالجلاء في تشبيه البينة بالصبح.

ثم إن وجه التشبيه قد يكون واحداً وقد يكون بمنزلة الواحد «لكونه مركباً من متعدد» وقد يكون متعدداً، وكل من ذلك قديكون حسياً وقد يكون عقلياً.

«أما الواحد» فالحسي منه كالحمرة في تشبيه الخد بالورد، والعقلي كالنفع في تشبيه العلم بالحياة.

«وأما المركب» فالحسي منه قد يكون مفرد الطرفين، كما في قوله: [الطويل]

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى ... كعنقود ملاحيه حين نوّرا

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من التئام الحبب البيض الصغيرة المستديرة المرصوص بعضها فوق بعض على الشكل المعلوم. وكلا الطرفين مفرد، وهما الثريا والعنقود.

وقد يكون مركب الطرفين كما في قوله:[الكامل]

والبدر في كبد السماء كدرهم ... ملقى على ديباجة زرقاء

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من طلوع صورة بيضاء مشرقه مستديرة في رقعة زرقاء مبسوطة.

←

خليل كحَاتِم، ونحو: له سيرة كالمسك، وأخلاقه كالعنبر. واشتراك الطرفين قد يكون ادعائياً بتنزيل التضاد منزلة التناسب وإبراز الخسيس في صورة الشريف تهكماً أو تمليحاً ويظهر ذلك من المقام.

←

وكلا الطرفين مركب أولهما من البدر والسماء، والثاني من الدرهم والديباجة.

وقد يكون مختلف الطرفين كقوله: [الكامل]

وحدائق لبس الشقيق نباتها ... كالأرجوان منقطاً بالعنبر

فإن وجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من انبساط رقعة حمراء قد نقطت بالسواد منثوراً عليها. والمشبه مفرد وهو الشقيق. والمشبه به مركب من الأرجوان والعنبر. وكقوله: [الكامل]

لاتعجبوا من خاله في خده ... كل الشقيق بنقطة سوداء

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من طلوع نقطة سوداء مستديرة في وسط رقعة حمراء مبسوطة. والمشبه مركب من الخال والخد. والمشبه به مفرد وهو الشقيق والعقلي من المركب كما في قوله: [البسيط]

المستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

فإن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من الالتجاء من الضار إلى ما هو أضر منه طمعاً في الانتفاع به، ووجه الشبه مركب من هذه المتعددات في الجميع، والرمضاء الأرض التي أسخنتها حرارة الشمس الشديدة. والمراد. «بعمرو» هنا هو جساس بن مرة البكري، يقال إنه لما رمى كليب بن ربيعة التغلبي وقف على رأسه فقال له: «يا عمرو» أغثني بشربة ماء، فأتم قتله: وأما المتعدد، فالحسي منه كما في قوله: [المجتث]

مهفهف وجنتاه ... كالخمر لوناً وطعما

والعقلي كالنفع والضرر في قوله: [الكامل]

طلق شديد الباس راحته ... كالبحر فيه النفع والضرر

فإن وجه الشبه فيهما متعدد وهو اللون والطعم في الأول، والنفع والضرر في الثاني.

وقد يجيء المتعدد مختلفاً كما في قوله: [الرجز]

هذا أبو الهيجاء في الهيجاء ... كالسيف في الرونق والمضاء

فإن وجه الشبه فيه هو الرونق وهو حسي، والمضاء وهو عقلي وأبو الهيجاء لقب عبدالله بن حمدان العدوي.

واعلم أن الحسي لا يكون طرفاه إلا حسيين، وأما العقلي: فلا يلزمه كونها عقليين، لأن الحسي يدرك بالفعل، خلافاً لعقلي فإنه لا يدرك بالحس.

وينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى:

١ ـ **تشبيه تمثيل:** وهو ما كان وجه الشبه فيه وصفاً منتزعاً من متعدد: حسياً كان أو غير حسي، كقوله: [الطويل]

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يوافي تمام الشهر ثم يغيب

فوجه الشبه سرعة الفناء انتزعه الشاعر من أحوال القمر المتعددة إذ يبدو هلالاً، فيصير بدراً، ثم ينقص، حتى يدركه المحَاق. ويسمى تشبيه التمثيل.

٢ ـ **وتشبيه غير تمثيل:** وهو مالم يكن وجهُ الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، نحو: وجهه كالبدر، ومثل قول الشاعر: [الكامل]

لاتطلبنَّ بآلة لكَ رتبة قَلمُ البليغ بغير حظ مغزَلُ

فوجه الشبه قلة الفائدة، وليس منتزعاً من متعدد.

٣ ـ **ومفصلٌ:** وهو ما ذكر فيه وجه الشبه، أو ملزومه، نحو: طبعُ فريدٍ كالنسيم رقة، ويده كالبحر جوداً، وكلامه كالدر حسناً، وألفاظه كالعسل حلاوة، ومثل قول ابن الرومي: [مجزوء الكامل]

شبيهُ البدر حسناً وضياء ومنالاً وشبيهُ الغصن ليناً وقواماً واعتدالا

٤ ـ **ومجمل:** وهو مالا يذكر فيه وجه الشبه، ولا ما يستلزمه، نحو: النحو في الكلام كالملح في الطعام. فوجه الشبه هو الإصلاح في كل، ومثل قوله: [مجزوء الرمل]

إنما الدنيا كبيت نسجهُ من عنكبوت

واعلم أن وجه الشبه المجمل: إما أن يكون خفياً وإما أن يكون ظاهراً ومنه ما وصف فيه أحد الطرفين أو كلاهما بوصف يشعر بوجه الشبه، ومنه ماليس كذلك.

٥ ـ **وقريبٌ مبتذلٌ:** وهو ما كان ظاهر الوجه يَنتقلُ فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به، من غير احتياج إلى شدة نظر وتأمل، لظهور وجهه بادىء الرأي. وذلك لكون وجهه لا تفصيل فيه: كتشبيه الخد بالورد في الحمرة، أو لكون وجهه قليل التفصيل، كتشبيه الوجه

بالبدر، في الإشراق أو الاستدارة، أو العيون بالنرجس.

وقد يتصرف في القريب بما يخرجه عن ابتذاله إلى الغرابة، كقول الشاعر: [الكامل]

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا إلا بوجه ليس فيه حياء

فإن تشبيه الوجه الحسن، بالشمس: مبتذل، ولكن حديث الحياء أخرجه إلى الغرابة.

وقد يخرج وجه الشبه من الابتذال إلى الغرابة وذلك:

بالجمع بين عدة تشبيهات كقول الشاعر: [السريع]

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد، أو برد أو أقاح

أو باستعمال شرط، كقوله: [الكامل]

عزماته مثل النجوم ثواقباً لو لم يكن للثاقبات أفول

٦ـ وبعيد غريب: وهو ما احتاج في الانتقال من المشبه إلى المشبه به، إلى فكر وتدقيق نظر، لخفاء وجهه بادىء الرأي كقوله: [الكامل]

والشمس كالمرآة في كف الأشل

فإن الوجه فيه: هو الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق، والحركة السريعة المتصلة مع تموج الإشراق، حتى ترى الشعاع كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة؛ ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض.

وحكم وجه الشبه. أن يكون في المشبه به أقوى منه في المشبه وإلا فلا فائدة في التشبيه.

تمرين

بين أركان التشبيه وأقسام كل منها فيما يلي:

١ ـ ومكلفُ الأيام ضدّ طباعها ... مستطلبٌ في الماء جذوةَ نار

[الكامل]

٢ ـ والدهر يقرعني طوراً وأقرعه ... كأنه جبل يهوي إلى جبل

[البسيط]

٣ ـ فأن أغشَ قوماً بعده أو أزورهم ... فكالوحش يدنيها من الأنس الهل[1]

[الطويل]

٤ ـ قال علي عليه السلام: «مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه».

٥ ـ قال صاحب كليلة ودمنة: الدنيا كالماء الملح، كلما ازددت منه شرباً ازددت عطشاً.

٦ ـ فتراه في ظلم الوغى فتخاله ... قمراً يكر على الرجال بكوكب[2]

[الكامل]

٧ ـ كأن الثريا في أواخر ليلها ... تفتح نَوْر أو لجامٌ مفضض

[الطويل]

٨ ـ صحو وغيم وضياء وظلم ... مثل سرور شابه عارض غمْ

[الرجز]

---

١. الأنس محركة: من تأنس به جمعه اناس ولغة في الإنس بالكسر، والهل الجدب.

٢. الكوكب هنا السيف.

المبحث الخامس في تشبيه التمثيل

تشبيه التمثيل: أبلغ من غيره، لما في وجهه من التفصيل الذي يحتاج إلى إمعان فكر، وتدقيق نظر، وهو أعظم أثراً في المعاني: يرفع قدرها، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها، فإن كان مدحاً كان أوقع، أو ذماً كان أوجع، أو برهاناً كان أسطع، ومن ثم يحتاج إلى كد الذهن في فهمه، لاستخراج الصورة المنتزعة من أمور متعددة، حسية كانت أو غير حسية لتكون وجه الشبه كقول الشاعر: [البسيط]

ولاحت الشمس تحكي عند مطلعها ... مرآة تبرٍ بدت في كفِّ مرتعش

فمثل الشَّمس حين تطلع حمراء لامعة مضطربة، بمرآة من ذهب تضطرب في كف ترتعش.

وتشبيه التمثيل نوعان:

الأول: ما كان ظاهر الأداة: نحو: ﴿مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمَثَلِ الحمار يحمل أسْفَاراً﴾ [الجمعة: ٥] فالمشبه: هم الذين حملوا التوراة ولم يعقلوا ما بها: والمشبه به الحمار الذي يحمل الكتب النافعة، دون استفادته منها، والأداة الكاف، ووجه الشبه: الهيئة الحاصلة من التعب في حمل النافع دون فائدة.

الثاني: ما كان خفي الأداة: كقولك للذي يتردّد في الشيء بين أن يفعله وألا يفعله: أراك تُقَدِّم رجلاً وتؤخِّرُ أخرى، إذ الأصل: أراك في ترددك مثل من يقدم رجلاً مرة، ثم يؤخرها مرة أخرى. فالأداة محذوفة، ووجه الشَّبه هيئة الإقدام والإحجام المصحوبين بالشّك.

مواقع تشبيه التمثيل

لتشبيه التمثيل موقعان:

١ ـ أن يكون في مفتتح الكلام، فيكون قياساً موضحاً، وبرهاناً مصاحباً، وهو كثير جداً في القرآن، نحو: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبةٍ أنبتت سبعَ سنابلَ في كلّ سنبلةٍ مائةُ حبَّة﴾ [البقرة: ٢٦١].

٢ ـ ما يجيء بعد تمام المعاني، لإيضاحها وتقريرها، فيُشبه البرهان الذي تثبت به الدعوى، نحو: [البسيط]

لا ينزلُ المجدُ إلا في منازلنا ... كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

تأثير تشبيه التمثيل في النفس

إذا وقع التمثيل في صدر القول: بعث المعنى إلى النفس بوضوح وجلاء مؤيد بالبرهان، ليقنع السامع، وإذا أتى بعد استيفاء المعاني كان:

١ ـ إما دليلاً على إمكانها، كقول المتنبي: [الوافر]

وما أنا منهم بالعيش فيهم ... ولكن معدن الذهب الرغام[1]

٢ ـ وإما تأييداً للمعنى الثابت نحو: [البسيط]

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبس

وعلة هذا: أن النفس تأنس إذا أخرجتها من خفي إلى جلي؛ ومما تجهله إلى ما هي به أعلم. ولذا تجد النفس من الأريحية ما لا تقدرُ قدره، إذا سمعت قول أبي تمام: [الطويل]

وطول مقام المرء في الحيّ مخلقٌ ... لديباجتيه فاغتربْ تتجدَّد

فانّي رأيت الشمس زيدت محبّته ... الى الناس ان ليست عليهم بسرمد[2]

---

١. لما ادعى أنه ليس منهم مع إقامته بينهم، وكان ذلك يكاد يكون مستحيلاً في مجرى العادة، ضرب لذلك المثل بالذهب فإن مقامه في التراب، وهو أشرف منه.

٢. الديباجتان الخدان، والسرمد الدائم.

المبحث السادس في أدوات التشبيه(١)

أدوات التشبيه: هي ألفاظ تدل على المماثلة، كالكاف، وكأن، ومثل، وشبه، وغيرها مما يؤدي معنى التشبيه: كيحكي، ويضاهي ويضارع، ويماثل ويساوي، ويشابه، وكذا أسماء فاعلها. فأدوات التشبيه بعضها: اسم، وبعضها: فعل، وبعضها: حرف.

وهي إما ملفوظة، وإما ملحوظة، نحو جماله كالبدر، وأخلاقه في الرقة كالنسيم، ونحو اندفع الجيش اندفاع السيل، أي كاندفاعه.

الأصل في الكاف، ومثل، وشبه، من الأسماء المضافة لما بعدها أن يليها المشبه به لفظاً(٢) أو تقديراً.

نحو: قوله تعالى: ﴿حورٌ عينٌ كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ [الواقعة: ٢٢]. ونحو: قوله تعالى: ﴿وله الجوارِ المنشآت في البحرِ كالأعلام﴾ [الرحمن: ٢٤] وكقول الشاعر: [الكامل]

والوجه مثل الصبح مبيضٌ ... والفرعُ مثل الليلِ مسْوَدّ
ضدان لما استجمعا حَسُنا ... والضدّ يُظهر حسنه الضدّ

والأصل في كأن، وشابه، وماثل، وما يرادفها، أن يليه المشبه، مثل قوله: [الطويل]

كأن الثريا راحة تشبر الدجى ... لتنظر طال الليل أم قد تعرضا

---

١. (التشبيه) يفيد التفاوت، وأما (التشابه) فيفيد التساوي بلفظ تشابه. وتماثل وتشاكل، وتساوى، وتضارع، وكذا بقولك: كلاهما سواء، لا بما كان له فاعل و مفعول به: مثل شابه. وساوى، فإن في هذا إلحاق الناقص بالزائد.

٢. وقد يليها غير المشبه به إذا كان التشبه مركباً، أي هيئة منتزعة من متعدد وذكر بعد الكاف بعض ما تنتزع منه تلك الهيئة كقوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح﴾ فإن المراد تشبيه حال الدنيا في حسن نضارتها و بهجة روائها في المبدأ. وذهاب حسنها و تلاشي رونقها شيئاً فشيئاً في الغاية، بحال النبات الذي يحسن من الماء فتزهو خضرته. ثم ييبس شيئاً فشيئاً، ثم يتحطم فتطيره الرياح، فيصير كأن لم يكن شيئاً مذكوراً، بجامع الهيئة الحاصلة في كل من حسن وإعجاب و منفعة، يعقبها التلف و العدم.

وكأنّ: تفيد التشبيه: إذا كان خبرها جامداً، نحو: كأن البحر مرآة صافية.

وتفيد الشك: إذا كان خبرها مشتقاً، نحو: كأنك فاهم، ومثل قوله: [الطويل]

كأنك من كل النفوس مركب فأنت إلى كل النفوس حبيب

وقد يغني عن أداة التشبيه فعل يدل على حال التشبيه، ولا يعتبر أداة.

فإن كان الفعل لليقين، أفاد قرب المشابهة، لما في فعل اليقين من الدلالة على تيقن الاتحاد وتحققه، وهذا يفيد التشبيه مبالغة، نحو: ﴿فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا﴾ [الأحقاف: ٢٤]. ونحو: رأيت الدنيا سراباً غرّاراً.

وإن كان الفعل للشك أفاد بُعدها: لما في فعل الرجحان من الإشعار بعدم التحقق، وهذا يفيد التشبيه ضعفاً،[1] كقوله تعالى: ﴿وإذا رأيتهم حسبتهم لُؤلُؤاً منثوراً﴾ [الإنسان: ١٩] ونحو: [الكامل]

قوم إذا لبسوا الدروع حسبتها سُحُباً مزردة على أقمار

المبحث السابع

في تقسيم التشبيه باعتبار أداته

ينقسم التشبيه باعتبار أداته إلى:

أ ـ **التشبيه المرسل**[2]: وهو ما ذكرت فيه الأداة، كقول الشاعر: [مجزوء الرمل]

إنما الدنيا كبيت نسجه من عنكبوت

ب ـ **التشبيه المؤكد**: وهو ما حذفت منه أداته، نحو: يسجع سجع القمريّ وكقول الشاعر: [الخفيف]

وأنت نجم في رفعة وضياء تجتليك العيون شرقاً وغربا

---

١. والضعف قد يكون في المشبه وقد يكون في المشبه به.

٢. وسمي مرسلاً: لإرساله عن التأكيد.

ومن المؤكد: ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه، كقول الشاعر: [الكامل]

والرِّيحُ تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على[1] لجين الماء

أي أصيل كالذهب على ماء كاللجين.

والمؤكد أوجز، وأبلغ، وأشد وقعاً في النفس. أما أنه أوجز فلحذف أداته، وأما أنه أبلغ فلإيهامه أن المشبه عين المشبه به.

جـ-والتشبيه البليغ: هو ما حذفت فيه أداة التشبيه، ووجه الشبه[2]، نحو: [الكامل]

فاقضوا مآربكم عجالاً إنما أعماركم سفر من الأسفار

ونحو: [الكامل]

عزماتهم قضب وفيض أكفهم سحبٌ وبيضُ وجوههم أقمار

والتشبيه البليغ: ما بلغ درجة القبول لحسنه. أو الطيب الحسن فكلما كان وجه الشبه قليل الظهور، يحتاج في إدراكه إلى إعمال الفكر كان ذلك أفعل في النفس وأدعى إلى تأثرها واهتزازها، لما هو مركوز في الطبع، من أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له، والاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى، وموقعه في النفس أجل و ألطف، وكانت به أضن وأشغف، وما أشبه هذا الضرب من المعاني، بالجوهر في الصدف، لا يبرز إلا أن تشقه وبالحبيب المتحجب لا يريك وجهه، حتى تستأذن.

وسبب هذه التسمية: أن ذكر الطرفين فقط، يوهم اتحادهما، وعدم تفاضلهما، فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به، وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه.

---

١. الأصيل الوقت بين العصر إلى المغرب، واللجين الفضة.

٢. ومن التشبيه البليغ أن يكون المشبه به مصدراً مبيناً للنوع نحو: أقدم الجندي إقدام الأسد، وراغ المدين روغان الثعلب، ومنه ايضاً إضافة المشبه به للمشبه نحو لبس فلان ثوب العافية، ومنه أيضاً أن يكون المشبه به حالاً نحو: حمل القائد على أعدائه أسداً.

المبحث الثامن في فوائد التشبيه

الغرض من التشبيه والفائدة منه هي الإيضاح والبيان في التشبيه غير المقلوب ويرجع ذلك الغرض إلى المُشبه وهو إما:

١ ـ بيان حاله: وذلك حينما يكون المشبه مبهماً غير معروف الصفة، الّتي يراد إثباتها له قبل التشبه، فيفيده التشبيه الوصف، ويوضحه المشبه به، نحو شجر النارنج كشجر البرتقال ومثل قول الشاعر: [الوافر]

إذا قامت لحاجتها تثنت كأن عظامها من خيزران

شبه عظامها بالخيزران بياناً لما فيها من اللين[1]

٢ ـ أو بيان إمكان حاله: وذلك حين يسند إليه أمر مستغرب لا تزول غرابته إلا بذكر شبيه له، معروف واضح مسلم به، ليثبت في ذهن السامع ويقرر مثل قوله: [الكامل]

ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام ونزعهن أليم

شبه نظرها: بوقع السهام، وشبه إعراضها بنزعها: بياناً لإمكان إيلامها بهما جميعاً.

٣ ـ أو بيان مقدار حال المشبه في القوة والضعف وذلك إذا كان المشبه معلوماً معروف الصفة الّتي يراد إثباتها له معرفة إجمالية قبل التشبيه بحيث يراد من ذلك التشبيه بيان مقدار نصيب المشبه من هذه الصفة وذلك بأن يعمد المتكلم لأن يبين للسامع ما يعنيه من هذا المقدار مثل قوله: [البسيط]

كأن مِشيتها من بيتِ جارتها مر السحابة لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

وكتشبيه: الماء بالثلج، في شدة البرودة. ومثل قوله: [الكامل]

فيها اثنتان وأربعون حلوبَة سوداً كخافية الغراب الأسحم

---

١. والتشبيه لهذا الغرض يكثر في العلوم والفنون لمجرد البيان والإيضاح، فلا يكون فيه حينئذٍ أثر للبلاغة لخلوه من الخيال وعدم احتياجه إلى التفكير، ولكنه لا يخلو من ميزة الاختصار في البيان وتقريب الحقيقة إلى الأذهان، كقولهم: الأرض كالكرة.

شبه النياق السود، بخافية الغراب، بياناً لمقدار سوادها، فالسواد صفة مشتركة بين الطرفين.

٤ ـ أو تقرير حال المشبه، و تمكينه في ذهن السامع، بإبرازها فيما هي فيه أظهر[١] كما إذا كان ما أسند إلى المشبه يحتاج إلى التثبيت والإيضاح فتأتي بمشبه به حسي قريب التصور، يزيد معنى المشبه إيضاحاً لما في المشبه به من قوة الظهور والتمام، نحو: هل دولة الحسن إلا كدولة الزهر، وهل عمر الصبا إلا أصيلٌ أو سَحَر، ومثل قوله: [الكامل]

إن القلوب إذا تنافر ودها ... مثل الزجاجة كسرها لا يجبر[٢]

شبه تنافر القلوب، بكسر الزجاجة، تثبيتاً لتعذر عودة القلوب إلى ما كانت عليه من الأنس والمودة.

٥ ـ أو بيان إمكان وجود المشبه، بحيث يبدو غريباً يستبعد حدوثه والمشبه به يزيل غرابته، ويبين أنه ممكن الحصول، مثل قوله: [الوافر]

فإن تَفق الأنامَ وأنت منهم ... فإن المسك بعض دم الغزال[٣]

٦ ـ أو مدحه وتحسين حاله، ترغيباً فيه، أو تعظيماً له، بتصويره بصورة تهيج في النفس قوى الاستحسان، بأن يعمد المتكلم إلى ذكر مشبه به مُعجب، قد استقر في النفس حُسنه و

---

١. ويكثر في تشبيه الأمور المعنوية بأخرى ما تدرك بالحس: نحو التعلم في الصغر كالنقش في الحجر.

٢. تنافر القلوب وتوادها من الأمور المعنوية، ولكن الشاعر نظر إلى ما في المشبه به من قوة الظهور والتمام. فانتقل بالسامع من تنافر القلوب الذي لا ينتهي اذا وقع، الى كسر الزجاجة الذي لا يجبر اذا حصل، فصور لك الامر المعنوى بصورة حسية.

٣. أي أنه لا استغراب في علوّك على الأنام مع أنك واحد منهم، لأن لك نظيراً وهو (المسك) فإنه بعض دم الغزال وقد فاق على سائر الدماء، ففيه تشبيه حال الممدوح بحال المسك تشبيهاً ضمنياً، والتشبيه الضمني هو تشبيهالا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمحان في التركيب لإفادة أن الحكم الذي أسند إلى الشبه ممكن. نحو: المؤمن مرآة المؤمن.

حبَّه فيصوِّر المشبه بصُورته، كقوله: [الطويل]

وزاد بك الحسن البديع نضارة كأنك في وجه الملاحة خالُ

ونحو: [الطويل]

كأنك شمس والملوك كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبد منهن كوكبُ

٧ـ أو تشويه المشبه وتقبيحه، تنفيراً منه أو تحقيراً له، بأن تصوِّره بصورة تمجها النفس، ويشمئز منها الطبع، كقوله: [الكامل]

وإذا أشار مُحدِّثاً فكأنه قردٌ يُقهقهُ أو عجوز تلطِمُ

وقوله: [الكامل]

وترى أناملها دبت على مزمارها كخنافس دَبت على أوتارِ

٨ – أو استطرافه: أي عدُّه طريفاً حديثاً، بحيث يجيء المشبه به طريفاً، غير مألوف للذهن.

إما لإبرازه في صورة الممتنع عادة، كما في تشبيه فَحم فيه جَمْرٌ متقد ببحر من المسك موجه الذهب وقوله: [مجزوء الكامل]

وكأن مجمَرَّ الشَّقيق إذا تصوب أو تصعّد

أعلام ياقوت نشر نَ على رماح من زبرجدْ

وإما لندور حُضور المشبه به في الذهن عند حضور المشبه، كقوله: [الكامل]

أنظر إليه كزورق من فضَّة قد أثقلته حُمولة من عنبرِ[1]

---

١. الحمولة ما يحمل فيه ويوضع والمقصد من التشبيه وجود شيء اسود داخل أبيض

واعلم أن التشبيه اذا يعود فيه الغرض إلى المشبه يكون وجه شبهه أتم و أعرف في المشبه به، منه في المشبه، وعليه جرى أبو العلاء المعري في قوله: ظلمناك في تشبيه صدغيك بالمسك.

وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى، وشراح التلخيص اشترطوا الأعرفية ولم يشترطوا الأتمية. وفي المطول والأطول ما يلفت النظر، فارجع إليهما.

تشبيه على غير طرقه الأصلية

التشبيه الضمني

هو تشبيهٌ لا يُوضع فيه المُشبه والمشبّه به، في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمحُ المشبه والمشبه به، ويُفهمان من المعنى، ويكون المشبه به دائماً برهاناً على إمكان ما أسند إلى المشبه، كقول المتنبي: [الخفيف]

مـن يُهـنْ يسهل الهوانُ عليه ... مـا لجـرح بميّت إيلامُ

أي: إن الذي اعتاد الهوان، يسهل عليه تحمله، ولا يتألم له، وليس هذا الادعاء باطلاً، لأن الميت إذا جرح لا يتألم.

وفي ذلك تلميح بالتشبيه في غير صراحة، وليس على صورة من صور التشبيه المعروفة، بل إنه تشابُهٌ يقتضي التساوي، الأداة، وأما التشبيه فيقتضي التفاوت.

التشبيه المقلوب

قد يعكس التشبيه، فيجعل المشبه مُشبهاً به وبالعكس[1] فتعود فائدته إلى المشبه به،

---

١ . التشبيه المقلوب: ويسمى المنعكس، هو ما رجع فيه وجه الشبه إلى المشبه به، وذلك حين يراد تشبيه الزائد بالناقص ويلحق الأصل بالفرع للمبالغة، وهذا النوع جار على خلاف العادة في التشبيه، ووارد على سبيل الندور.

وإنما يحسن في عكس المعنى المتعارف كقول البحتري:

في طلعة البدر شيء من محاسنها ... وللقضيب نصيب من تثنيها

والمتعارف تشبيه الوجوه الحسنة بالبدور. والمقامات بالقضيب في الاستقامة والتثني لكنه عكس ذلك مبالغة، هذا إذا أريد إلحاق كامل بناقص في وجه الشبه. فإن تساويا حسن العدول عن (التشبيه) إلى الحكم

لادّعاء أن المشبه أتمّ وأظهر من المشبه به في وجه الشبه.

ويسمى ذلك بالتشبيه المقلوب[١] أو المعكوس نحو: كأن ضوء النهار جبينه، ونحو: كأن نشر الروض حسن سيرته، ونحو: كأن الماء في الصفاء طباعهُ وكقول محمد بن وهيب الحميري[٢] [الكامل]

وبدا الصّباحُ كإن غرّته وجه الخليفة حين يمتدحُ

شبه غرّة الصباح، بوجه الخليفة، إيهاماً أنه أتم منها في وجه الشبه وهذا التشبيه مظهرٌ من مظاهر الافتنان والإبداع، كقوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥] في مقام أن الرّبا مثلُ البيع عكسوا ذلك لإيهام أن الربا عندهم أحل من البيع، لأن الغرض الربح وهو أثبت وجوداً في الرّبا منه في البيع، فيكون أحق بالحل عندهم.

→

(بالتشابه) تباعداً واحترازاً من ترجيح أحد المتساويين على الآخر، كقول أبي إسحاق الصابي.

تشابه دمعي إذ جرى ومدامتي فمن مثل ما في الكأس عيني تسكب
فوالله ما أدري أبالخمر أسبلت جفوني أم من عبرتي كنت أشرب

وكقول الصاحب بن عباد:

رق الزجاجح وراقت الخمر فتشابها وتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

١ يقرب من هذا النوع ما ذكره الحلبي في كتاب حسن التوسل وسماه «تشبيه التفضيل» وهو أن يشبه شيء بشيء لفظاً أو تقديراً ثم يعدل عن التشبيه لادعاء أن المشبه به، كقوله:

حسبت جمالها بدراً منيراً وأين البدر من ذلك الجمال

٢ فالحتري أراد أن يوهم أن وجه الخليفة أتم من غرة الصباح إشراقاً ونوراً.

المبحث التاسع

في تقسيم التشبيه باعتبار الغرض إلى مقبول وإلى مردود

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض: إلى حسنٍ مقبول، وإلى قبيح مردود

١ ـ **فالحسنُ المقبول:** هو ما وفى بالأغراض السابقة، كأن يكون المشبه به أعرف من المشبه في وجه الشبه، إذا كان الغرضُ بيان حال المشبه، أو بيانَ المقدار، أو أن يكون أتم شيء في وجه الشبه، إذا قصد إلحاق الناقص بالكامل، أو أن يكون في بيان الإمكان مسلم الحكم، ومعروفاً عند المخاطب، إذا كان الغرض بيان إمكان الوجود، وهذا هو الأكثر في التشبيهات، إذ هي جارية على الرشاقة، سارية على الدقة والمبالغة ثم إذا تساوي الطرفان في وجه الشبه عند بيان المقدار كان التشبيه كاملاً في القبول، وإلا فكلما كان المشبه به أقرب في المقدار إلى المشبه كان التشبيه أقرب إلى الكمال والقبول.

٢ ـ **والقبيح المردود:** هو ما لم يف بالغرض المطلوب منه، لعدم وجود وجه بين المشبه والمشبه به، أو مع وجوده لكنه بعيد.

تنبيهات

الأول: بعض أساليب التشبيه أقوى من بعض في المبالغة، ووضوح الدلالة ولها مراتب ثلاثة:

أ ـ أعلاها وأبلغها: ما حذف فيها الوجه والأداة، نحو: علي أسد، وذلك أنك ادعيت الاتحاد بينهما بحذف الأداة ـ وادعيت التشابه بينهما في كل شيء بحذف الوجه ولذا سمي هذا تشبيها بليغاً.

ب ـ المتوسطة: ما تحذف فيها الأداة وحدها، كما تقول علي أسد شجاعة أو يحذف فيها

وجه الشبه، فتقول علي كالأسد. وبيان ذلك: أنك بذكرك الوجه حصرت التشابه. فلم تدع للخيال مجالاً في الظن بأن التشابه في كثير من الصفات كما أنك بذكر الأداة نصصت على وجود التفاوت بين المشبه والمشبه به. ولم تترك باباً للمبالغة.

جـ ـ أقلها: ما ذكر فيها الوجه والأداة، وحينئذ فقدت المزيتين السابقتين

الثاني: قد يكون الغرض من التشبيه حسناً جميلاً، وذلك هو النمط الذي تسمو إليه نفوس البلغاء، وقد أتوا فيه بكل حسن بديع، كقول ابن نباتة في وصف فرس أغر محجل: [الكامل]

وكأنما لطم الصباح جبينه فاقتص منه فخاض في أحشائه

وقد لا يوفق المتكلم إلى وجه الشبه، أو يصل إليه مع بعد، وما أخلق مثل هذا النوع بالاستكراه وأحقه بالذم. لما فيه من القبح والشناعة بحيث ينفر منه الطبع السليم.

الثالث: علم مما سبق أن أقسام التشبيه من حيث الوجه والأداة كالآتي:

١ ـ التشبيه المرسل: هو ما ذكرت فيه الأداة.

٢ ـ التشبيه المؤكد: هو ما حذفت منه الأداة.

٣ ـ التشبيه المجمل: هو ما حذف منه وجه الشبه.

٤ ـ التشبيه المفصل: هو ما ذكر فيه وجه الشبه.

٥ ـ التشبيه البليغ: هو ما حذفت منه الأداة. ووجه الشبه[1] وهو أرقى أنواع التشبيه بلاغة، وقد تقدم الكلام عليه مستوفى.

٦ ـ التشبيه الضمني: هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه؛ والمشبه به؛ في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمح المشبه، والمشبه به، ويفهمان من المعنى، نحو:

علا فما يستقر المال في يده وكيف تمسك ماء قنة الجبل

---

١ . المراد بالبليغ هنا: ما بلغ درجة القبول لحسنه، أو المراد به اللطيف الحسن.

فالمشبه الممدوح هو ضمير (علا) والمشبه به (قنة الجبل) والمشبه الثاني هو (المال) والمشبه به الثاني هو (الماء) ووجه الشبه، عدم الاستقرار، والأداة محذوفة أيضاً.

وهذا النوع يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن[1].

أسئلة تطلب أجوبتها

ما هو علم البيان لغة واصطلاحاً؟ ما هو التشبيه؟ ما أركان التشبيه؟ طرفا التشبيه حسّيان أم عقليان؟ ما المراد بالحسي؟ ما هو التشبيه الخيالي؟ ما المراد بالعقلي؟ ما هو التشبيه الوهمي؟ ما هو وجه الشبه؟ ما هي أدوات التشبيه؟ هل الأصل في أدوات التشبيه أن يليها المشبه او المشبه به؟ متى تفيد كأنّ التشبيه؟ ما هو التشبيه البليغ؟ ما هو التشبيه الضمني؟ ما هو التشبيه المرسل؟ كم قسماً للتشبيه باعتبار طرفيه؟ كم قسماً للتشبيه باعتبار تعدد طرفيه؟ ما هو التشبيه الملفوف؟ ما هو التشبيه المفروق؟ ما هو تشبيه التسوية؟ ما هو تشبيه الجمع؟ كم قسماً للتشبيه باعتبار وجه الشبه؟ ما هو تشبيه التمثيل؟ ما هو تشبيه غير التمثيل؟ ما هو التشبيه المفصل؟ ما هو التشبيه المجمل؟ كم قسماً للتشبيه باعتبار الغرض منه؟

---

١. كقوله: [الكامل]

لا تنكري عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حرب للمكان العالي

أي لا تنكري خلو الرجل الكريم من الغنى فإن ذلك ليس عجباً، لأن قمم الجبال وهي أعلى الأماكن، لا يستقر فيها ماء السيل «فهاهنا يلمح الذكي تشبيهاً» ولكنه لم يضع ذلك صريحاً، بل أتى بجملة مستقلة وضمنها هذا المعنى في صورة برهان فيكون هذا التشبيه على غير طرقه الاصلية، بحيث يورد التشبيه ضمناً من غير أن يصرح به ويجعل في صورة برهان على الحكم الذي أسند إليه المشبه، كما سبق شرحه.

وقد يراد إيهام أن المشبه والمشبه به متساويان في وجه الشبه، فيترك التشبيه ادعاء بالتساوي دون الترجيح،

تطبيق عام على أنواع التشبيه

اشتريت ثوباً أحمر كالورد: في هذه الجملة تشبيه مرسل مفصل المشبه ثوباً، والمشبه به هو الورد. وهما حسيان مفردان، والأداة الكاف، ووجه الشبه: الحمرة في كل، والغرض منه بيان حال المشبه.

ما الدهر إلا الربيع المستنير إذا ... أتى الربيع أتاك النور والنور
فالأرض ياقوته والجو لؤلؤة ... والنبت فيروزج والماء بلور

[البسيط]

الأرض ياقوتة: تشبيه بليغ مجمل. المشبه الأرض، والمشبه به ياقوتة، وهما حسيان مفردان. ووجه الشبه المحذوف، وهو الخضرة في كل. والأداة محذوفة. والغرض منه تحسينه، والجو لؤلؤ، والنبت فيروزج والماء بلور كذلك. وفي البيت كله تشبيه مفروق، لأنه أتى بمشبه ومشبه به، وآخر وآخر.

العمر والإنسان والدنيا هو ... كالظل في الإقبال والإدبار

[الكامل]

فيه تشبيه تسوية مرسل مفصل، المشبه العمر والإنسان والدنيا، والمشبه به الظل والمشبه بعضه حسي، وبعضه عقلي، والمشبه به حسي، والكاف الأداة، ووجه الشبه الإقبال والإدبار. والغرض تقرير حاله في نفس السامع.

كم نعمة مرت بنا وكأنها ... فرس يهرول أو نسيم ساري

[الكامل]

في البيت: تشبيه جمع مرسل مجمل، المشبه نعمة، والمشبه به فرس يهرول، أو نسيم ساري، وهما حسيان، وكأن الأداة، ووجه الشبه السرعة في كل، والغرض منه بيان مقدار حاله.

ليـــــل وبـــدر وغـــصن شـــــعر ووجـــه وقـــد

[المجتث]

فيه تشبيه بليغ مجمل ملفوف، المشبه شعر وهو حسي، والمشبه به ليل، وهو عقلي، والأداة محذوفة، ووجه الشبه السواد في كل، والغرض منه بيان مقدار حاله.

وفي الثاني: المشبه وجه، والمشبه به بدر، وهما حسيان. ووجه الشبه الحسن في كل. والأداة محذوفة، والغرض تحسينه. وفي الثالث المشبه قد، والمشبه به غصن وهما حسيان. ووجه الشبه الاعتدال في كل، والأداة محذوفة، والغرض بيان مقداره ـ هذا، وإن شئت فقل هذا تشبيه مقلوب بجعل المشبه به مشبهاً. والمشبه مشبهاً به بأن يجعل الليل مشبهاً، والشعر مشبهاً به.

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كـــعنقود مـــلاحيبة حـــين نـــورا

[الطويل]

فيه تشبيه تمثيل مرسل مجمل، المشبه هيئة الثريا الحاصلة من اجتماع أجرام مشرقة مستديرة منيرة: والمشبه به هيئة عنقود العنب المنور، والجامع الهيئة الحاصلة من اجتماع أجرام منيرة مستديرة في كل، والأداة الكاف، والغرض منه بيان حاله

تمرين

بين أنواع التشبيه فيما يأتي:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿واضربْ لهمْ مثلَ الحياةِ الدنيا كماءٍ أنزلناهُ منَ السماءِ فاختلطَ بهِ نباتَ الأرضِ فأصبحَ هشيماً تذْرُوهُ الرياحُ﴾ [الكهف: ٤٥].

٢ ـ قال تعالى: ﴿مَثلُ الذين كفروا بربِّهم أعمالهمْ كرَمادٍ اشتدَّتْ به الريحُ في يومٍ عاصفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]

٣ ـ وقال تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالُهم كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجدْه شيئاً﴾ [النور: ٣٩].

٤ ـ الورد في أعلى الغصون كأنه مَلكٌ تَحُفُّ به سَرَاة جنوده

[الكامل]

٥ ـ إذا ارتجل الخطابَ بدَا خليج بسفيه يمدُه بحرُ الكلام
كلام بل مدام بل نظام من الياقوت بل حبُّ الغمام

[الوافر]

٦ ـ وكأنَّ الصبح لمَّا لاح من تحت الثُّرَيَّا
ملك أقبل في التا ج يفدَّى ويحيَّا

[مجزوء الرمل]

٧ ـ إنما النفس كالزُّجاجة والعلـ ـم سرَاج وحكمة الله زيت
فإذا أشرقت فإنك حيٌّ وإذا أظلمت فإنك ميت

[الخفيف]

٨ ـ وغير تقيٍّ يأمر النَّاس بالتق طبيبٌ يداوي النَّاس وهو مريض

[الطويل]

٩ ـ إذا امتحن الدنيا لبيب تكشَّفت له عن عَدُوٍّ في ثياب صديق

[الطويل]

١٠ ـ والبدْرُ أول ما بَدَا مُتلثِّماً يُبْدِي الضِّياءَ لنا بخدٍّ مُسفِرِ
فكأنما هو خُوذةٌ من فِضةٍ قد رُكِّبتْ في هامَةٍ من عَنبر

[الكامل]

١١ ـ وما الناسُ إلا كالديار وأهلها بها يَوْمَ حلُّوها وغَدوا بلاقع

[الكامل]

بلاغة التشبيه(١)

وبعض ما أُثِرَ منه عن العرب والمُحدَثينَ

تَنشأُ بلاغة التشبيه: من أنه ينتقل بك من الشيء نفسه، إلى شيء طريف يُشبِهُهُ، أو صورة بارعة تُمثله. وكلما كان هذا الانتقال بعيداً، قليل الخطور بالبال، أو ممتزجاً بقليل أو كثير من الخيال، كان التشبيه أروعَ للنفس، وأدعى إلى إعجابها واهتزازها. فإذا قلتَ: فلانٌ يشبه فلاناً في الطول، أو إنَّ الأرض تشبه الكُرة في الشكل، لم يكن في هذه التشبيهات أثر للبلاغة، لظهور المشابهة، وعدم احتياج العثور عليها إلى براعة، وجُهْد أدبيّ، ولخلوّها من الخيال.

وهذا الضرب من التشبيه: يُقْصَد به البيان والإيضاح، وتقريب الشيء إلى الأفهام، وأكثر ما يُستعمل في العلوم والفنون.

ولكنك تأخذك رَوْعة التشبيه، حينما تسمع قول المعرّي يصف نجماً: [الخفيف]

يُسرعُ اللمْحَ في احْمِرَار كما تُسـ ـرعُ في اللمح مُقلَةُ الْغَضْبَان

فإن تشبيه لمحاتِ النجم وتألقِهِ مع احمرار ضوئه، بسرعة لمحة الغضبان من التشبيهات النادرة، الّتي لا تنقاد إلا لأديب، ومن ذلك قول الشاعر: [الخفيف]

وكأن النجوم بينَ دجاها سُننٌ لاحَ بَينهُنَّ ابتداعُ

فإن جمال هذا التشبيه: جاء من شعورك ببراعة الشاعر، وحِذْقه في عقد المشابهة بين حالتين، ما كان يخطر بالبال تشابههما، وهما حالة النجوم في رُقعة الليل، بحال السنن الدِّينية الصحيحة، متفرقة بين البدَع الباطلة.

---

١ . التشبيه مع ما فيه من ميزة الإيجاز في اللفظ يفيد المبالغة في الوصف. ويخرج الخفي إلى الجلي والمعقول إلى المحسوس، ويجعل التافة نفيساً، والنفيس تافهاً ويدني البعيد من القريب، ويزيد المعنى وضوحاً، ويكسبه تأكيداً، فيكون أوقع في النفس وأثبت، وله روعة الجمال والجلال.

ولهذا التشبيه: روعة أخرى، جاءت من أن الشاعر: تخيل أن السنن مضيئة لمّاعة، وأن البدع مظلمة قاتمة.

و من أبدع التشبيهات قول المتنبي: [الطويل]

بِليتُ بِلَى الأطلالِ إنْ لمْ أقفْ بها وُقوف شحيح ضاع في التُّرب خاتمة

يدعو الشاعر على نفسه بالبلى والفناء، إذا هو لم يقف بالأطلال، ليذكر عهد من كانوا بها، ثم أراد أن يصوِّر لك هيئة وقوفه، فقال: كما يقف شحيحٌ فقدَ خاتمة في التراب، من كان يُوَفق إلى تصوير حال الذّاهل المتحير المحزون، المطرق برأسه، المنتقل من مكان إلى مكان في اضطراب ودهشة، بحال شحيح فقد في التراب خاتماً ثميناً.

هذه بلاغة التشبيه من حيث مَبلغ طرافته، وبُعد مرماه، ومقدار ما فيه من خَيال.

أما بلاغته من حيث الصورة الكلامية الّتي يوضع فيها، فتفاوتة ايضاً.

فأقلّ التشبيهات مرتبة في البلاغة ما ذُكرتْ أركانه جميعها، لأنَّ بلاغة التشبيه مبنية على ادعاء أنَّ المشبه عين المشبه به، ووجود الأداة، ووجه الشبه معاً، يَحُولانِ دُون هذا الادّعاء: فإذا حذفت الأداة وحدَها، أو وجه الشبه وحده، ارتفعت درجةالتشبيه في البلاغة قليلاً، لأن حذف أحد هذين يُقوّي ادعاء اتحاد المشبهه والمشبه به بعض التقوية ـ أما أبلغ أنواع التشبيه «فالتشبيه البليغ» لأنه مبنيٌّ على ادعاء أن المشبه و المشبه به شيء واحد.

هذا ـ وقد جرى العرب والمحدثون على تشبيه: الجواد بالبحر والمطر، والشجاع بالأسد، والوجه الحسن بالشمس و القمر، والشهم الماضي في الامور بالاحلام والوجه الصبيح بالدينار، والشعر الفاحم بالليل، والماء بالسيف، والعالي المنزلة بالنجم، والحليم الرَّزين بالجبل، والأماني الكاذبة بالعنقاء، والماء الصافي باللُّجَيْنِ، والليلِ بموج البحر، والجيش بالبحر الزَّاخر،والخَيْلِ بالرِّيح والبَرْق، والنجوم بالدُّرر والأزهار، والأسنانِ بالبَرَد واللؤلؤ، والسفن بالجبال، والجداولِ بالحيَّات المُلتوية، والشيبِ بالنهارِ ولَمع السيوف، وغُرَّةِ الفرس بالهلال، ويشبِّهون الجبان بالنَّعامة والذبابة، واللئيم بالثعلب، والطائشَ بالفرَاش، والذليل

بالوَتدِ، والقاسي بالحديد والصخر، والبليد بالحمار، والبخيل بالأرض الجُدْبِةِ.

وقد اشتهر رجال من العرب بخصال محمودة، فصاروا فيها أعلاماً ـ فجرى التشبيه بهم، فيشبه الوفيُّ بالسموأَل[١] والكريمُ بحاتم، والحليمُ بالأحنف[٢]، والفصيحُ بسَحْبان، والخطيبُ بقُسٍّ[٣] والشجاع بعمرو بن مَعْدِيكرِبَ، والحكيم بلقْمَان[٤] والذكي بإياس.

واشتهر آخرون بصفات ذميمة، فجرى التشبيه بهم أيضاً، فيُشبه العَيِيُّ بباقل[٥]، والأحمق بهبنقَة[٦]، والنادم بالكُسَعِيِّ[٧]، والبخيل بمادر[٨]، والهجَّاءُ بالحُطَيْئةِ[٩]، والقاسي بالحجاج الثّقفي أحد جبابرة العرب المتوفى سنة ٩٧ هـ

---

١. هو السموأل بن عادياء اليهودي، يضرب به المثل في الوفاء، وهو من شعراء الجاهلية، توفي سنة ٦٢ ق هـ

٢. هو الأحنف بن قيس من سادات التابعين، كان شهماً حليماً، عزيزاً في قومه إذا غضب غضب له مائة ألف سيف لا يسألون لماذا غضب: توفي سنة ٦٧ هـ

٣. هو قس بن ساعدة الإيادي، خطيب العرب قاطبة، ويضرب به المثل في البلاغة والحكمة.

٤. حكيم مشهور آتاه الله الحكمة، أي الإصابة بالقول والعمل.

٥. رجل اشتهر بالعي، اشترى غزالاً مرة بأحد عشر درهماً، فسئل عن ثمنه فمد اصابع كفيه يريد عشرة، وأخرج لسانه ليكملها أحد عشر، ففر الغزال، فضرب به المثل في العي.

٦. هو لقب أبي الودعات يزيد بن ثروان القيسي، يضرب به المثل في الحمق.

٧. هو غامد بن الحارث، خرج مرة للصيد فأصاب خمسة حمر بخمسة أسهم، وكان يظن كل مرة أنه مخطىء، فغضب وكسر قوسه، لما أصبح رأى الحمر مصروعة والأسهم مخضبة بالدم، فندم على كسر قوسه، وعض على إبهامه فقطعها.

٨. لقب رجل من بني هلال، اسمه مخارق، وكان مشهوراً بالبخل واللؤم.

٩. شاعر مخضرم، كان هجاء مراً، ولم يكد يسلم من لسانه أحد، هجا أمه وأباه، ونفسه وله ديوان شعر، وتوفي سنة ٤٠ هـ

الباب الثاني

في المجاز[1]

المجاز مُشتقّ من جازَ الشيء يَجوزُه، إذا تَعَدَّاهُ سَمَّوا به اللّفظ الذي نُقِلَ من معناهُ الأصلي، واستُعمِلَ ليدُلّ عل معنى غيره، مناسب له.

والمجاز: من أحسن الوسائل البيانيَّة الّتي تهدي إليها الطبيعة؛ لإيضاح المعنى، إذْ به يخرج المعنى متَّصِفاً بصفة حِسّية، تكاد تعرضه على عيان السَّامع، لهذا شغفت العرب باستعمال المجاز لميلها إلى الاتساع في الكلام، وإلى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ، ولما فيه من الدِّقة في التعبير، فيحصل للنفس به سرور وأريحيَّة، ولأمر مَّا كثر في كلامهم، حتى أتوا فيه بكل معنًى رائق، وزيّنوا به خُطبهم وأشعارهم.

وفي هذا الباب مباحث:

---

١ . أقول: إن المخلوقات كلها تفتقر إلى اسماء، يستدل بها عليها، ليعرف كل منها باسمه، من أجل التفاهم بين الناس. وهذا يقع ضرورة لابد منها. فالاسم الموضوع بإزاء المسمى هو حقيقة له، فإذا نقل إلى غيره صار مجازاً.

المبحث الأول

في تعريف المجاز وأنواعه

المجاز: هو اللفظ المستعملُ في غير ما وضع له في اصْطِلَاح التخاطُب لعلاقةٍ مع قَرِينَةٍ[١]، مانِعةٍ من إرادة المعنَى الوَضعِي.

والعلاقة وهي المناسَبةُ[٢] بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، قد تكون المشابهة بين المعنيين، وقد تكون غيرها. فإذا كانت العلاقة المشابهة فالمجاز استعارة وإلا فهو مجاز مُرسل.

والقرينة: وهي المانعة من إرادة المعنى الحقيقي، قد تكون لفظية، وقد تكون حالية، كما سيأتي.

وينقسم المجاز: إلى أربعة اقسام: مجاز مفرد مُرسل، ومجاز مفرد بالاستعارة ويجريان في الكلمة، ومجاز مركب مرسل، ومجاز مركب بالاستعارة ويجريان في الكلام.

وأنواع المجاز كثيرة: أهمها المجاز المرسل وهو المقصود بالذات، وسيأتي مجاز، يُسَمَّى المجاز العقلي ويجري في الإسناد.

ومتى أطلق المجاز، انصرف إلى المجاز اللّغوي.

---

١. القرينة: هي الأمر الذي يجعله المتكلم دليلاً على أنه أراد باللفظ غير ما وضع له، فهي تصرف الذهن من المعنى الوضعي، إلى المعنى المجازي، وبتقييد القرينة بمانعة الخ خرجت (الكناية) فإن قرينتها لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي، والقرينة إما لفظية، أو حالية. فاللفظية: هي الّتي يلفظ بها في التركيب، والحالية: هي الّتي تفهم من حال المتكلم، أو من الواقع. وأما القرينة الّتي تعين المراد من المجاز، فليست شرطاً.

واعلم أن كلاً من المجاز والكناية في حاجة إلى قرينة، ولكنها في المجاز مانعة، وفي الكناية غير مانعة.

٢. العلاقة هي المناسبة بين المعنى المنقول عنه والمنقول إليه، وسميت بذلك: لأن بها يتعلق ويرتبط المعنى الثاني بالأول فينتقل الذهن من الأول للثاني، وباشتراط ملاحظة العلاقة، يخرج الغلط كقولك: خذ هذا الكتاب، مشيراً إلى فرس مثلاً، إذ لا علاقة هنا ملحوظة.

المبحث الثاني

في المجاز اللغوي المفرد المُرسل وعلاقاته

المجاز المفرد المرسل:[١] هو الكلمة المستعملة قصداً في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الوضعي.

وله علاقات كثيرة، أهمها.

١ ـ **السّببيَّة:** وهي كون الشيء المنقول عنه سبباً، و مؤثراً في غيره، وذلك فيما إذا ذكر لفظ السبب، وأريد منه المُسَبَّب، نحو: رَعَت الماشية الغيثَ، أي النبات؛ لأن الغيثَ أي المطر سببٌ فيه[٢]. وقرينته لفظية وهي رعَتْ لأن العلاقة تُعتبر من جهة المعنى المنقول عنه.

ونحو: لفُلانٍ عَلَيَّ يَدٌ: تريد باليد: النِّعمة؛ لأنها سبب فيها.

---

١. سمي (مرسلاً) لإطلاقه عن التقييد بعلاقة واحدة مخصوصة، بل له علاقات كثيرة، واسم العلاقة يستفاد من وصف الكلمة الّتي تذكر في الجملة، وليس المقصود من العلاقة إلا بيان الارتباط والمناسبة، فالفطن يرى ما يناسب كل مقام.

وقيل: سمي (مرسلاً) لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة في الاستعارة.

٢. وكقول الشاعر: [المنسرح]

له أديـــان عـــلى ســـابغة ... أعـــد مـــنها ولا أعـــددها

وكقوله: [الكامل]

قامت تظللني مـن الشـــمس ... نـفـس أحب إلى مـن نـفـسي

قـامت تـظللني ومـن عـجب ... شمس تـظللني مـن الشمس

فائدة: القصد من العلاقة: إنما هو تحقق الارتباط، والذكي يعرف مقال كل مقام، ثم إن (العلاقة): قيل تعتبر من جهة المعنى المنقول عنه، الذي هو الحقيقي، وقيل تعتبر من جهة المعنى المنقول إليه، لأنه المدار، وقيل تعتبر من جهتهما، رعاية لحقيهما.

واعلم أن اللفظ الواحد: قد يكون صالحاً بالنسبة إلى معنى واحد، لأن يكون مجازاً مرسلاً، واستعارة باعتبارين.

٢ ـ **والمُسببية**: هي أن يكون المنقولُ عنه مُسبّباً، وأثراً لشيء آخر، وذلك فيما إذا ذُكر لفظ المسبب، وأُريد منه السَّبب، نحو: ﴿ويُنزّل لكُم منَ السماء رِزْقاً﴾ [غافر: ١٣] أي: مطراً يُسَبِّبُ الرِّزق.

٣ ـ **والكُلِّيَّة**: هي كونُ الشيء مُتضمناً للمقصود ولغيره، وذلك فيما إذا ذُكر لفظ الكل، أُريد منه الجزء، نحو: ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم﴾ [البقرة: ١٩] أي أنامِلَهم والقرينة حالية وهي استحالة إدخال الأصبع كلِّه في الأذن.

ونحو: شربت ماء النيل، والمراد بعضُه، بقرينة شربت.

٤ ـ **والجزئية**: هي كون المذكور ضمنَ شيء آخر، وذلك فيما إذا ذُكر لفظ الجزء، وأُريد منه الكل، مثل قوله تعالى: ﴿فتحريرُ رَقبة مُؤمنة﴾ [النساء: ٩٢]. ونحو: نشر الحاكم عيونه في المدينة: أي الجواسيس، فالعيون مجازٌ مرسل، علاقته الجزئية لأن كل عين جزءٌ من جاسوسها، والقرينة الاستحالة.

٥ ـ **واللّازميَّة**: هي كون الشيء يجب وجوده، عند وجود شيء آخر، نحو: طلع الضَّوء، أي الشمس؛ فالضوء مجاز مرسل، علاقته اللازميَّة لأنه يوجد عند وجود الشمس، والمعتبر هنا اللزوم الخاص، وهو عدم الانفكاك.

٦ ـ **والملزومية**: هي كون الشيء يجب عند وجوده وجود شيء آخر، نحو: ملأت الشمس المكان، أي الضَّوء، فالشمس مجاز مرسل، علاقته الملزوميَّة لأنها متى وُجدت وُجد الضّوء، والقرينة ملأت.

٧ ـ **والآليَّة**: هي كون الشيء واسطةً لإيصال أَثَر شيء إلى آخر، وذلك فيما إذا ذُكر اسم الآلة، وأريد الأثر الذي ينتج عنه، نحو: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَان صِدْق في الآخرين﴾ [الشعراء: ٨٤] أي ذِكراً حسناً فلسان بمعنى ذكر حسن مجازٌ مرسل، علاقته الآليَّة لأن اللِّسان آلة في الذكر الحسن.

٨ ـ **والتّقييد، ثمّ الإطلاق**: هو كون الشيء مُقَيّداً بقيد أو أكثر، نحو: مِشْفر زيد مَجْرُوحٌ؛ فإن المِشْفَر لغة: شَفَةُ البعير، ثم أُريد هنا مطلق شفة، فكان في هذا منقولاً عن المقيد إلى

المطلق، وكان مجازاً مرسلاً، علاقته التقييد، ثم نُقِل من مطلق شفة، إلى شفة الإنسان، فكان مجازاً مرسلاً بمرتبتين، وكانت علاقته التّقييد والإطلاق.

٩ ـ **والعموم**: هو كون الشيء شاملاً لكثير، نحو قوله تعالى: ﴿أمْ يَحْسُدون الناس﴾ [النساء: ٥٤] أي النبي ﷺ. فالناس مجاز مرسل، علاقته العموم، ومثله قوله تعالى: ﴿الذين قال لهم النَّاس﴾ [آل عمران: ١٧٣] فإن المراد من الناس واحد، وهو نعيم بن مسعود الأشجعي.

١٠ ـ **والخصوص**: هو كون اللفظ خاصاً بشيء واحد، كإطلاق اسم الشخص على القبيلة نحو ربيعة وقريش.

١١ ـ **واعتبار ما كان**: هو النظر إلى الماضي، أي تسمية الشيء باسم ما كان عليه، نحو: ﴿وآتوا اليتامي أمْوالَهمْ﴾ [النساء: ٢] أي الذين كانوا يتامى. ثم بلغوا فاليتامى: مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان؛ وهذا إذا جرينا على أن دلالة الصفة على الحاضر حقيقة، وعلى ما عداه مجاز.

١٢ ـ **واعتبار ما يكون**: هو النظر إلى المستقبل، وذلك فيما إذا أطلق اسم الشيء على ما يؤول إليه، كقوله تعالى: ﴿إني أراني أعصرُ خَمراً﴾ [يوسف: ٣٦]، أي عصيراً يؤول أمرهُ إلى خمر، لأنه حالَ عصره لا يكون خمراً. فالعلاقة هنا: اعتبار ما يؤول إليه. ونحو: ﴿ولا يلدوا إلا فاجراً كفَّاراً﴾ [نوح: ٢٧] والمولود حين يولد، لا يكون فاجراً، ولا كافراً، ولكنه قد يكون كذلك بعد الطفولة فأطلق المولود الفاجر، وأريد به الرجل الفاجر، والعلاقة اعتبار ما يكون.

١٣ ـ **والحالية**: هي كون الشيء حالاً في غيره، وذلك فيما إذا ذكر لفظ الحال وأريد المحل لما بينهما من الملازمة، نحو: ﴿ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾ [آل عمران: ١٠٧] فالمراد من الرحمة الجنة الّتي تحل فيها رحمة الله. ففيه مجاز مرسل، علاقته الحالية وكقوله تعالى: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ [الأعراف: ٣١] أي لباسكم، لحلول الزينة فيه،فالزينة حال واللباس محلها، ونحو: وأري بياضاً يظهر ويختفي، وأرى حركة تعلو وتسفل.

١٤ ـ **والمحلية:** هي كون الشيء يحلّ فيه غيره، وذلك فيما إذا ذكر لفظ المحل وأريد به الحال فيه، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق: ١٧] والمرادُ مَن يحل في النادي. وكقوله تعالى: ﴿يقولُونَ بأفواهِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧] أي ألسنتهم، لأن القول لا يكون عادة إلا بها.

١٥ ـ **والبدلية:** هي كون الشيء بدلاً عن شيء آخر، كقوله تعالى: ﴿فإذا قضيْتُمُ الصَّلاةَ﴾ [النساء: ١٠٣] والمراد: الأداء.

١٦ ـ **والمبدلية:** هي كون الشيء مبدلاً منه شيء آخر، نحو: أكلت دم زيد أي ديته. فالدم مجاز مرسل علاقته المبدلية لأن الدم: مبدل عنه الدية.

١٧ ـ **والمجاورة:** هي كون الشيء مجاوراً لشيء آخر، نحو كلمت الجدار والعمود، أي الجالس بجوارهما، فالجدار والعمود مجازان مرسلان علاقتهما المجاورة.

١٨ ـ **والتعلق الاشتقاقي:** هو إقامة صيغة مقام أخرى، وذلك:

أ ـ كإطلاق المصدر على اسم المفعول، في قوله تعالى: ﴿صُنْعَ الله الذي أتقن كل شيء﴾ [النمل: ٨٨] أي مصنوعه.

ب ـ وكإطلاق اسم الفاعل على المصدر، في قوله تعالى: ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ [الواقعة: ٢] أي تكذيب.

جـ ـ وكإطلاق اسم الفاعل على اسم المفعول، في قوله تعالى: ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله﴾ [هود: ٤٣] أي لا معصوم.

د ـ وكإطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل، في قوله تعالى: ﴿حجاباً مَسْتوراً﴾ [الإسراء: ٤٥] أي ساتراً.

والقرينة على مجازية ما تقدم، هي ذكر ما يمنع إرادة المعنى الأصلي.

المبحث الثالث

في تعريف المجاز العقلي وعلاقاته(١)

المجاز العقلي: هو إسناد الفعل، أو ما في معناه من اسم فاعل، أو اسم مفعول أو مصدر؛ إلى غير ما هو له في الظاهر؛ من المتكلم، لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له.

أشهر علاقات المجاز العقلي

١ ـ **الإسناد إلى الزمان:** نحو: من سَرَّهُ زمنٌ ساءته أزمانٌ، أسند الإساءة والسرور إلى الزمن، وهو لم يفعلهما؛ بل كانا واقعين فيه على سبيل المجاز.

٢ ـ **الإسناد إلى المكان،** نحو: ﴿وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم﴾ [الأنعام: ٦] فقد أسندَ الجري إلى الأنهار، وهي أمكنة للمياه، وليست جارية بل الجاري ماؤها.

٣ ـ **الإسناد إلى السبب،** نحو: [البسيط]

إني لمن معشرٍ أفنى أوائلهم ... قيلَ الكماة ألا أينَ المحامونا؟؟

فقد نُسِبَ الإفناء إلى قول الشجعان، هل من مبارز؟ وليس ذلك القول بفاعل له، ومؤثر فيه، وإنما هو سبب فقط.

٤ ـ **الإسناد إلى المصدر:** كقول أبي فراس الحمداني: [الطويل]

سيذكرني قومي إذا جدَّ جِدُّهُمْ ... وفي الليلة الظلماء يفْتقد البدرُ

---

١ . سمي عقلياً، لأن التجوز فهم من (العقل) لا من (اللغة) كما في المجاز اللغوي.

فقد أسند الجد إلى الجد، أي الاجتهاد، وهو ليس بفاعل له، بل فاعله الجاد، فأصله جد الجاد جداً. أي اجتهد اجتهاداً. فحذف الفاعلُ الأصلي وهو الجاد. وأسند الفعل إلى الجدّ.

٥ ـ **إسناد ما بني للفاعل إلى المفعول:** نحو: سرني حديث الوامق. فقد استعمل اسم الفاعل وهو الوامق. أي: المحبُّ بدل الموموق. أي: المحبوب. فإن المراد: سُررْتُ بمحادثة المحبوب.

٦ ـ **إسناد ما بني للمفعول إلى الفاعل:** نحو: «جعلت بيني وبينك حجاباً مستوراً» أي ساتراً، فقد جعل الحجابُ مستوراً، مع أنه هو الساتر.

تنبيهات

أ ـ كما يكون هذا المجازُ في الإسناد. يقع في النسبة الإضافية نحو: جرْي الأنهار وغراب البين ومكرُ الليل: فنسبة الجري إلى الأنهار مجاز علاقته المكانية. ونسبة البين إلى الغراب. مجاز علاقته السببية. ونسبة المكر إلى الليل مجاز علاقته الزمانية.

ب ـ الفعل المبني للفاعل واسم الفاعل إذا أسندا إلى المفعول فالعلاقة المفعولية. والفعل المبني للمجهول واسم المفعول إذ أسندا إلى الفاعل فالعلاقة الفاعلية. واسم المفعول المستعمل في موضع اسم الفاعل مجاز: علاقته المفعولية. واسم الفاعل المستعمل في موضع اسم المفعول مجاز: علاقته الفاعلية.

جـ ـ هذا المجاز: مادة الشاعر المفلق، والكاتب البليغ، وطريق من طرق البيان لا يستغني عنها واحد منهما.

تطبيق على أشهر علاقات المجاز العام

اذكر علاقات المجاز فيما يلي:

١ ـ أبا المِسْكِ أرجو منكَ نصراً على العدا وآمُلْ عزّاً يخْضِبُ البِيضَ بالدَّمِ[١]
ويوْماً يغيظ الحَاسدينَ وحالة أقيم الشقَا فيها مقَامَ التَّنعُّمِ[٢]

[الطويل]

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿لا عَاصم اليَوْمَ منْ أمر اللّهِ إلا منْ رحم﴾ [هود: ٤٣].

٣ ـ ذهبنا إلى حديقة غنَاء.

٤ ـ تكادُ عطَاياهُ يجن جنونها إذا لم يعوِّذها برقية طالب[٣]

[الطويل]

الإجابة

أ ـ عزّاً يخضب البيض بالدم:

إسناد خضب السيوف بالدم إلى ضمير العز غير حقيقي، لأن العز لا يخضب السيوف ولكنه سبب القوة، وجمع الأبطال الذين يخضبون السيف بالدم ففي العبارة مجاز عقلي، علاقته السببية.

ب ـ ويوماً يغيظ الحاسدين.

إسناد غيظ الحاسدين إلى ضمير اليوم غير حقيقي، غير أن اليوم هو الزمان الذي يحصل فيه الغيظ، ففي الكلام مجاز عقلي، علاقته الزمانية.

جـ ـ ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله﴾ [هود: ٤٣].

---

١. أبا المسك: كنية كافور الاخشيدي، والبيض: السيوف، يقول: أرجو منك أن تنصرني على أعدائي، وأن توليني عزاً أتمكن به منهم، وأخضب سيوفي بدمائهم.

٢. يقول: وأرجوا أن أبلغ بك يوماً يغتاظ فيه حسادي، لما يرون من إعظامك لقدري، وكذلك أرجو أن أبلغ بك حالة تساعدني على الانتقام منهم، فأتنعم بشقائي في حربهم.

٣. يعوذ ما يحصنها، ورقية ما يرقى بها الإنسان من عين حاسد.

المعنى لا معصوم[١] اليوم من أمر الله إلا من رحمه الله، فاسم الفاعل أسند إلى المفعول، وهذا مجاز عقلي، علاقته المفعولية.

د ـ ذهبنا إلى حديقة غناء.

غناء مشتقة من الغن، والحديقة لا تغن، وإنما الذي يغن عصافيرها أو ذبابها، ففي الكلام مجاز عقلي، علاقته المكانية.

هـ ـ تكاد عطاياه يجن جنونها.

إسناد الفعل إلى المصدر مجاز عقلي، علاقته المصدرية.

نموذج آخر

بيّن المجاز العقلي واذكر علاقته فيما يلي:

١ ـ أهلكنا الليل والنهار[٢]

٢ ـ منزل عامر بنعم الله[٣]

٣ ـ أنشأ وزير التربية عدة مدارس[٤]

٤ ـ مشرب عذب[٥]

٥ ـ هذا يوم عصيب[٦]

٦ ـ ربحت تجارتهم[٧]

---

١. يجوز أن تكون «عاصم» مستعملة في حقيقتها، ويكون المعنى لا شيء يعصم الناس من قضاء الله إلا من رحمه الله منهم. فإنه تعالى هو الذي يعصمه.

٢. في قوله أهلكنا الليل والنهار، مجاز عقلي، علاقته السببية، فقد نسب الإهلاك إلى الليل والنهار، مع أن فاعله هو الله تعالى. وهذان سببان فيه.

٣. في قوله منزل عامر بنعم الله، مجاز عقلي، علاقته المفعولية، إذ قد أسند اسم الفاعل إلى المفعول في المعنى.

٤. في قوله أنشأ وزير التربية عدة مدارس، مجاز عقلي، علاقته السببية، إذ نسب الإنشاء إلى الوزير، وهو السبب فقط.

٥. في قوله مشرب عذب، نسب العذوبة إلى المكان، لا إلى الماء مجاز لعلاقة المكانية.

٦. العصيبة والشديدة، خطوب اليوم وحوادثه لا هو، فوصفه بذلك وصف للزمان، فهو مجاز: علاقته الزمانية.

٧. أسند الربح إلى التجارة، والرابح هو صاحبها، لا هي: فهو مجاز، علاقته المفعولية.

بلاغة المجاز المرسل والمجاز العقلي

إذا تأملت أنواع المجاز المرسل[١] والعقلي رأيت أنها في الغالب تؤدي المعنى المقصود بإيجاز، فإذا قلت: هزم القائد الجيش أو قرر المجلس كذا كان ذلك أوجز من أن تقول: هزم جنود القائد الجيش أو قرر أهل المجلس كذا ولا شك أن الإيجاز ضرب من ضروب البلاغة. وهناك مظهر آخر للبلاغة في هذين المجازين. هو المهارة في تخيّر العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي، بحيث يكون المجاز مصوّراً للمعنى المقصود خير تصوير كما في إطلاق العين على الجاسوس، والأذن على سريع التأثر بالوشاية، والخفّ والحافر على الجمال والخيل، في المجاز المرسل وكما في إسناد الشيء: إلى سببه، أو مكانه، أو زمانه، في المجاز العقلي. فإن البلاغة توجب أن يختار السبب القويُّ، والمكان والزمان المختصان.

وإذا دققت النظر رأيت أن أغلب ضروب المجاز المرسل والمجاز العقلي لا تخلوا من مبالغة بديعة، ذات أثر في جعل المجاز رائعاً خلاباً، فإن إطلاق الكل على الجزء مبالغة، ومثله إطلاق الجزء وإرادة الكل كما إذا قلت «فلان فَمٌ» تريد أنه شرهٌ، يلتقِمُ كل شيء. ونحوه: «فلان أنف» عندما تريد أن تصفه بعظم الأنف؛ فتبالغ فتجعلَه كله أنفاً؟ ومما يؤثر عن بعض الأدباء في وصف رجل أنافي[٢] قوله: «لستُ أدْري: أهُوَ في أنفِه، أم أنفه فيه»؟؟

---

١. المجاز المرسل: يوسع اللغة، ويعين على الافتنان في التعبير، ويساعد الكاتب والخطيب على إيراد المعنى الواحد بصور مختلفة، وقد تدعوا إليه: كما في «الطراز» حلية لفظية، من تقفية، أو ضرورة شعرية، أو مشاكلة، أو اختصار أو خفة في لفظة. وكثيراً ما يكون الداعي إليه راجعاً إلى المعنى.

٢. الأنافي: عظيم الأنف.

المبحث الرابع
في المجاز المفرد بالاستعارة

تمهيد

سبق: أن التشبيه أول طريقة دلت عليها الطبيعة؛ لإيضاح أمر يجهله المخاطب، بذكر شيء آخر، معروف عنده، ليقيسه عليه، وقد نتج من هذه النظرية، نظرية أخرى في تراكيب الكلام، ترى فيها ذكر المشبه به أو المشبه فقط. وتسمى هذه بالاستعارة، وقد جاءت هذه التراكيب المشتملة على الاستعارة أبلغ من تراكيب التشبيه، وأشد وقعاً في نفس المخاطب، لأنه كلما كانت داعية إلى التحليق في سماء الخيال، كان وقعها في النفس أشد، ومنزلتها في البلاغة أعلى.

وما يبتكره أمراء الكلام من أنواع صور الاستعارة البديعة، الّتي تأخذ بمجامع الأفئدة، وتملك على القارىء والسامع لبهما وعواطفهما هو سر بلاغة الاستعارة.

فمن الصور المجملة الّتي عليها طابع الابتكار وروعة الجمال قول شاعر الحماسة: [البسيط]

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زرافات ووحدانا

فإنه قد صور لك الشر، بصورة حيوان مفترس مكشر عن أنيابه مما يملأ فؤادك رعباً، ثم صور القوم الذين يعنيهم، بصور طيور تطير إلى مصادمة الأعداء؛ طيراناً مما يستثير إعجابك بنجدتهم، ويدعوك إلى إكبار حميتهم وشجاعتهم.

ومنهم: من يعمد إلى الصورة الّتي يرسمها، فيفصل أجزاءها، ويبين لكل جزء مزيته الخاصة، كقول امرىء القيس في وصف الليل بالطول: [الطويل]

فقلت له لما تمطى بصلبه ... وأردف أعجازاً وناء بكلكل[1]

---

١. تمطى تمدد، والصلب عظم في الظهر من لدن الكاهل إلى العجب، والعجز مؤخر الجسم والكلكل الصدر، أو ما بين الترقوتين.

فإنه لم يكتف بتمثيل الليل، بصورة شخص طويل القامة، بل استوفى له جملة أركان الشخص؛ فاستعار صلباً يتمطى به، إذ كان كل ذي صلب يزيد في طوله تمطيه، وبالغ في ذلك بأن جعل له أعجازاً يردف بعضها بعضاً، ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره، فاستعار له كلكلاً ينوء به أي يثقل به ولا يخفى عليك ما يتركه هذا التفصيل البديع في قلب سامعه من الأثر العظيم، والارتياح الجميل.

ومنهم: من لا يكتفي بالصورة التي يرسمها، بل ينظر إلى ما يترتب على الشيء فيعقب تلك الصورة بأخرى أشد وأوقع، كقول أبي الطيب المتنبي: [الوافر]

رماني الدهر بالأرزاء حتى ... فؤادي في غشاء من نبال[1]

فصرت إذا أصابتني سهام ... تكسرت النصال على النصال[2]

فإنه لم يكتف بتصويره المصائب سهاماً في سرعة انصبابها، وشدة إيلامها، ولا بالمبالغة في وصف كثرتها، بأن جعل منها غشاء محيطاً بفؤاده، حتى جعل ذلك الغشاء من المتانة والكثافة، بحيث إن تلك النصال مع استمرار انصبابها عليه، لا تجد منفذاً إلى فؤاده، لأنها تتكسر على النصال الّتي سبقتها، فانظر إلى هذا التمثيل الرائع، وقل لي: هل رأيت تصويراً أشد منه لتراكم المصائب والآلام؟

تعريف الاستعارة وبيان أنواعها

الاستعارة لغة: من قولهم، استعار المال: طلبه عارية. **واصطلاحاً:** هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي.

---

١. الأرزاء المصائب، والغشاء الغلاف، والنبال السهام.

٢. النصال حدائد السهام.

والاستعارة ليست إلا تشبيهاً مختصراً؛ ولكنها أبلغ منه[١] كقولك: رأيت أسداً في المدرسة، فأصل هذه الاستعارة «رأيت رجلاً شجاعاً كالأسد في المدرسة» فحذفت المشبه «لفظ رجلاً» وحذفت الأداة «الكاف» وحذفت وجه التشبيه «الشجاعة» وألحقته بقرينة «المدرسة» لتدل على أنك تريد بالأسد شجاعاً.

وأركان الاستعارة ثلاثة.

١ ـ **مستعار منه:** وهو المشبه به.

٢ ـ **ومستعار له:** وهو المشبه.

[ويقال لهما الطرفان]

٣ ـ **ومستعار:** وهو اللفظ المنقول.

فكل مجاز يبنى على التشبيه يسمى استعارة ولابد فيها من عدم ذكر وجه الشبه، ولا أداة التشبيه، بل ولابد ايضاً من تناسي التشبيه الذي من أجله وقعت الاستعارة فقط، مع ادعاء أن المشبه عين المشبه به. أو ادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به الكلي. بأن يكون اسم جنس أو علم جنس ولا تتأتى الاستعارة في العلم الشخصي[٢] لعدم إمكان دخول شيء في الحقيقة الشخصية، لأن نفس تصور الجزئي يمنع من تصور الشركة فيه. إلا إذا أفاد العلم

---

١ . فأصل الاستعارة: تشبيه حذف أحد طرفيه ووجه شبهه وأداته، ولكنها أبلغ منه لأن التشبيه مهما تناهى في المبالغة، فلابد فيه من ذكر المشبه، والمشبه به وهذا اعتراف بتباينهما. وأن العلاقة ليست إلا التشابه والتداني، فلا تصل إلى حد الاتحاد. بخلاف الاستعارة ففيها دعوى الاتحاد والامتزاج. وأن المشبه والمشبه به صارا معنى واحداً، يصدق عليهما لفظ واحد، فالاستعارة (مجاز لغوي) لا عقلي علاقته المشابهة.

واعلم أن حسن الاستعارة «غير التخييلية» لا يكون إلا برعاية جهات التشبيه وذلك بأن يكون وافياً بإفادة الغرض منه، لأنها مبنية عليه، فهي تابعة له حسناً وقبحاً.

٢ . يعني أن الاستعارة تقتضي ادخال المشبه في جنس المشبه به. ولذلك لا تكون علماً، لأن الجنس يقتضي العموم، والعلم ينافي ذلك بما فيه من التشخيص، إلا إذا كان العلم يتضمن وصفية قد اشتهر بها «كسحبان» المشهور بالفصاحة، فيجوز فيه ذلك، لأنه يستفيد الجنسية من الصفة، نحو: سمعت اليوم سحبان، أي خطيباً فصيحاً، وهلم جرا.

الشخصي وصفاً. به يصح اعتباره كلياً. فتجوز استعارته: كتضمن حاتم للجود، وقُس للخطابة، فيقال: رأيت حاتماً، وقساً؛ بدعوى كلية حاتم وقس، ودخول المشبه في جنس الجواد والخطيب.

وللاستعارة أجمل وقع في الكتابة، لأنها تجدي الكلام قوة، وتكسوه حسناً ورونقاً، وفيها تثار الأهواء والإحساسات.

المبحث الخامس

في تقسيم الاستعارة باعتبار ما يذكر من الطرفين

إذا ذكر في الكلام لفظ المشبه به فقط فاستعارة تصريحية أو مصرحة[1] نحو:

فأمطرت لُؤلُؤاً من نرجس وسقت ... ورداً وعضت على العناب بالبرد

فقد استعار: اللؤلؤ، والنرجس، والورد، والعناب، والبرد. للدموع، والعيون، والخدود، والأنامل، والأسنان.

وإذا ذكر في الكلام لفظ المشبه فقط، وحذف فيه المشبه به، وأشير إليه بذكر لازمه المسمى تخييلاً فاستعارة مكنية[2] أو بالكناية، كقوله: [الكامل]

---

١. (معنى تصريحية) أي مصرح فيها باللفظ الدال على المشبه به، المراد به المشبه وتسمى ايضاً تحقيقية.
(ومعنى مكنية) أي مخفي فيه لفظ المشبه به، استغناء بذكر شيء من لوازمه، فلم يذكر فيها من أركان التشبيه، سوى المشبه.

٢. أي وهذا مذهب السلف. وكذا (الزمخشري) صاحب الكشاف، وأما مذهب (السكاكي) فظاهر كلامه يشعر بأن الاستعارة بالكناية لفظ المشبه. أي كلفظ المنية في نحو «أظفار المنية نشبت بفلان» المستعمل في المشبه به، بادعاء أنه عينه عين المشبه به، و حينئذٍ يصير للمشبه به (فردان)، أحدهما حقيقي، والآخر ادعائي فالمنية: مراد بها السبع، بادعاء السبعية لها، وإنكار أن تكون شيئاً آخر غير السبع بقرينة إضافة الأظفار الّتي هي من خواص المشبه به وهو السبع، وأنكر (السكاكي) (التبعية) بمعنى أنها مرجوحة عنده، واختار ردها إلى قرينة المكنية، ورد قرينتها إلى نفس المكنية، ففي نطقت الحال مثلاً. يقدر القوم: أن نطقت استعارة تبعية والحال قرينة لها، وهو يقول: إن الحال استعارة بالكناية، ونطقت قرينتها وفي كلامه نظر من وجهين:

←

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيتَ كل تميمة لا تنفع

فقد شبه المنية، بالسبع، بجامع الاغتيال في كل، واستعار السبع للمنية وحذفه. ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الأظفار على طريق الاستعارة المكنية الأصلية، وقرينتها لفظة أظفار.

→

الأول: أن لفظ المشبه، لم يستعمل إلا في معناه الحقيقي، فلا يكون استعارة.

الثاني: أنه صرح بأن نطقت مستعارة للأمر الوهمي، أي المتوهم اثباته للحال، تشبيهاً بالنطق الحقيقي، فيكون استعارة، والاستعارة في الفعل لا تكون إلا تبعية فيلزمه القول بالتبعية، وأجيب عنه بأجوبة تطلب من المطولات.

وأما مذهب (الخطيب) فإنّه يقول: إن الاستعارة بالكناية، هي التشبيه المضمر أركانه سوى المشبه المدلول عليه، بإثبات لازم المشبه به للمشبه ويلزم على مذهبه أنه لا وجه لتسميتها استعارة، لأن الاستعارة هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، أو استعمال اللفظ المذكور، والتشبيه غير ذلك: بل هو فعل من أفعال النفس.

تنبيه: المشبه: في مواد الاستعارة بالكناية، لا يجب أن يكون مذكوراً بلفظ المشبه به، فيجوز ذكره بغير لفظه، كأن يشبه شيء كالنحافة واصفرار اللون، بأمرين كاللباس، والطعم المر البشع. ويستعمل لفظ أحد الأمرين فيه ويثبت له شيء من لوازم الآخر، كما في قوله تعالى: ﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾ فإن شبه ما غشي الإنسان عند الجوع والخوف من النحافة واصفرار اللون باللباس لاشتماله على اللابس واشتمال اثر الضرر على من به ذلك، فاستعير له اسمه، وشبه ما غشي الانسان عند الجوع «أي ما يدرك من اثر الضرر والألم، باعتبار أنه مدرك من حيث الكراهية» بما يدرك من الطعم المر البشع، حتى أوقع عليه الإذاقة، فتكون الآية مشتملة على الاستعارة المصرحة. نظراً إلى الأول، والمكنية نظراً إلى الثاني، وتكون الإذاقة تخييلاً بالنسبة للمكنية، وتكون تجريداً بالنسبة إلى المصرحة لأنها تلائم المشبه، وهو النحافة والاصفرار، لأنهما مستعارة للإصابة، وكثرت فيها حتى جرت مجرى الحقيقة ويقال شبه ما غشي الإنسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر، باللباس. بجامع الاشتمال في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه، على سبيل الاستعارة التصريحية وطريق اجراء الاستعارة الثانية، أن يقال: شبه ما غشي الإنسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر، بالطعم المر البشع، بجامع الكراهة في كل، واستعير لفظ المشبه به للمشبه، ثم حذف وأثبت له شيء من لوازمه وهو (الإذاقة) على سبيل الاستعارة المكنية، وإثبات الإذاقة تخييل، وطريق إجراء الاستعارة الثالثة: أن يقال شبهت الإذاقة المتخيلة، بالإذاقة المتحققة، واستعيرت المتحققة، للمتخيلة، على سبيل التخييلية، على مذهب (السكاكي).

ثم أخذ الوهم: في تصوير المنية بصورة السبع، فاخترع لها مثل صورة الأظفار ثم أطلق على الصورة الّتي هي مثل صورة الأظفار، لفظ الأظفار. فتكون لفظة أظفار استعارة تخييلية لأن المستعار له لفظ أظفار صورة وهمية. تشبه صورة الأظفار الحقيقية، وقرينتها إضافتها إلى المنية.

ونظراً إلى أن الاستعارة التخييلية قرينة المكنية؛ فهي لازمة لا تفارقها، لأنه لا استعارة بدون قرينة.

وإذاً تكون أنواع الاستعارة ثلاثة: تصريحية، ومكنية، وتخييلية.[1]

---

١. اعلم أن المذاهب في التخييلية أربعة.

الأول: مذهب السلف، والخطيب: هو أن جميع أفراد قرينة المكنية مستعملة في حقيقتها، والتجوز إنما هو في (الإثبات لغير ما هو له) المسمى استعارة تخييلية، فهما متلازمان، وهي من المجاز العقلي.

الثاني: مذهب السكاكي: وهو أن قرينة المكنية، تارة تكون تخييلية أي مستعارة لأمر وهمي: كأظفار المنية وتارة تكون تحقيقية، أي مستعارة لأمر محقق «كابلعي ماءك» وتارة تكون حقيقية «كأنبت الربيع البقل» فلا تلازم بين التخييلية والمكنية، بل يوجد كل منهما بدون الآخر، وقد استدل السكاكي على انفراد التخييلية عن المكنية بقوله: [الكامل]

لا تسقني ماء الملام فإنني ... صب قد استعذبت ماء بكائي

فإنه قد توهم: أن للملام شيئاً شبيهاً بالماء، واستعارة اسمه له استعارة تخييلية غير تابعة للمكنية، ورده العلامة (الخطيب) بأنه لا دليل له فيه، لجواز أن يكون فيه استعارة بالكناية، فيكون قد شبه الملام، بشيء مكروه، له ماء. وطوى لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الماء على طريق التخيل.

وأن يكون من باب إضافة المشبه به إلى المشبه، والأصل لا تسقني الملام الشبيه بالماء وأيضاً: لا يخفى ما في مذهب السكاكي من التعسف، أي الخروج عن طريق الجادة لما فيه من كثرة الاعتبارات، وذلك. أن المستعير يحتاج إلى اعتبار أمر وهمي، واعتبار علاقة بين وبين الأمر الحقيقي، واعتبار قرينة دالة على أن المراد من اللفظ الأمر الوهمي، فهذه اعتبارات ثلاثة لا يدل لها دليل، ولا تمس إليها حاجة.

الثالث: مذهب صاحب الكشاف وهو أنها تكون تارة مصرحة تحقيقية، وتارة تكون تخييلية، أي مجازاً في الإثبات.

الرابع: (مذهب صاحب السمرقندية) وهو مثل مذهب صاحب الكشاف غير أن الفرق بينهما: أن مدار

←

المبحث السادس

في الاستعارة باعتبار الطرفين

إن كان المستعار له محققاً حساً بأن يكون اللفظ قد نقل إلى أمر معلوم، يمكن أن يشار إليه إشارة حسية كقولك: رأيت بحراً يعطي. أو كان المستعار له محققاً عقلاً بأن يمكن أن ينص عليه. ويشار إليه إشارة عقلية، كقوله تعال: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة: ٦] أي: الدين الحق، فالاستعارة تحقيقية.

وإن لم يكن المستعار له محققاً، لا حساً ولا عقلاً فالاستعارة تخييلية وذلك: كالأظفار، في نحو: أنشبت المنية أظفارها بفلان.

المبحث السابع

في الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار

١ ـ إذا كان اللفظ المستعار اسماً جامداً لذات كالبدر إذا استعير للجميل، أو اسماً جامداً لمعنى، كالقتل إذا استعير للضرب الشديد. سميت الاستعارة أصلية في كل من التصريحية

→

الأقسام عند صاحب الكشاف على الشيوع، وعدمه وعند صاحب (السمرقندية) على الإمكان وعدمه.

تنبيه: الفرق: بين ما يجعل قرينة للمكنية وبين ما يجعل نفسه تخييلاً: على مذهب السكاكي أو استعارة تحقيقية: على مذهب صاحب الكشاف في بعض المواد، وعلى (مختار صاحب السمرقندية) كذلك، أو إثباته تخييلاً على مذهب (السلف، وصاحب الكشاف) في بعض المواد، وعلى مختار (صاحب السمرقندية) كذلك، وبين ما يجعل زائداً عليها (قوة الاختصاص) أي الارتباط بالمشبه به، فأيهما أقوى ارتباطاً به فهو (القرينة) وما سواه (ترشيح) وذلك كالنشب في قولك (مخالب المنية نشبت بفلان) فإن (المخالب) أقوى اختصاصاً وتعلقاً بالسبع، من (النشب) لأنها ملازمة له دائماً، بخلاف النشب.

والمكنية كقوله تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ [إبراهيم: ١][1].

وكقوله تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ [الإسراء: ٢٤][2].

وسميت أصلية: لعدم بنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخر معتبر أولاً.

٢ ـ وإذا كان اللفظ المستعار فعلاً[3] أو اسم فعل، أو اسماً مشتقاً، أو اسماً مبهماً أو حرفاً

---

١. يقال في إجراء الاستعارة في الآية الأولى، شبهت الضلالة بالظلمة، بجامع عدم الاهتداء في كل، واستعير اللفظ الدال على المشبه به، وهو الظلمة، للمشبه وهو الضلالة، على الاستعارة التصريحية الأصلية.

٢. ويقال في إجرا الاستعارة في الآية الثانية، شبه الذل بطائر، واستعير لفظ المشبه به وهو الطائر، للمشبه وهو الذل، على طريق الاستعارة المكنية الأصلية ثم حذف الطائر، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهوالجناح.

٣. مثال الاستعارة التصريحية في الفعل. نطقت الحال بكذا، وتقريرها أن يقال: شبهت الدلالة الواضحة، بالنطق بجامع إيضاح المعنى في كل. واستعير النطق للدلالة الواضحة، واشتق من النطق بمعنى الدلالة الواضحة نطقت بمعنى دلت على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ونحو: يحيي الأرض بعد موتها يقدر تشبيه تزيينها بالنبات ذي النضرة، بالإحياء، بجامع الحسن أو النفع في كل، ويستعار الإحياء للتزيين، ويشتق من الإحياء بمعنى التزيين يحيي بمعنى يزين، استعارة تبعية لجريانها في الفعل تبعاً لجريانها في المصدر، هذا إذا كانت استعارة في الفعل اعتبار مدلول صيغته، أي «مادته وهو الحدث» وأما إذا كانت باعتبار مدلول «هيئته وهو الزمن» كما في قوله تعالى: ﴿أتى أمر الله﴾ فتقريرها أن يقال: شبه الإتيان في المستقبل بالاتيان في الماضي، بجامع تحقق الوقوع في كل واستعير الاتيان في الماضي للاتيان في المستقبل واشتق منه أتى بمعنى يأتي، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، ونحو: ﴿ونادى أصحاب الجنة﴾ أي ينادي، شبه النداء في المستقبل، بالنداء في الماضي، بجامع تحقق الوقوع في كل، استعير لفظ النداء في الماضي للنداء في المستقبل، ثم اشتق منه نادى بمعنى ينادي، ونحو قوله تعالى: ﴿من بعثنا من مرقدنا هذا﴾ ان قدر المرقد مستعاراً للموت، فالاستعارة أصلية، وإن قدر لمكان الرقاد مستعاراً للقبر، فالاستعارة تبعية لأنها في اسم المكان، فلا يستعار المرقد للقبر إلا بعد استعارة الرقاد للموت.

ومثال الاستعارة في اسم الفاعل، لزيد قاتل عمراً، إذا كان عمرو مضروباً ضرباً شديداً، ومثالها في اسم المفعول، عمرو مقتول لزيد، إذا كان زيد ضارباً لعمرو ضرباً شديداً، وإجراء الاستعارة فيهما أن يقال: شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع شدة الإيذاء في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من القتل بمعنى

←

→

الضرب الشديد قاتل أو مقتول، بمعنى ضارب أو مضروب، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ومثالها في الصفة المشبهة، هذا حسن الوجه، مشيراً إلى قبيحه، وإجراء الاستعارة فيه أن يقال، شبه القبح، بالحسن، بجامع تأثر النفس في كل، واستعير الحسن للقبح تقديراً، واشتق من الحسن بمعنى القبح حسن بمعنى قبيح، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية التهكمية ومثال الاستعارة في أفعل التفضيل، هذا أقتل لعبيده من زيد، أي أشد ضرباً لهم منه.

ومثال اسم الزمان والمكان، هذا مقتل زيد، مشيراً إلى مكان ضربه أو زمانه، ومثال اسم الآلة، هذا مفتاح الملك: مشيراً إلى وزيره، واجراؤها أن يقال: شبهت الوزارة، بالفتح للأبواب المغلقة، بجامع التوسل إلى المقصود في كل، واستعير الفتح للوزارة، واشتق منه مفتاح بمعنى وزير.

ومثال اسم الفعل المشتق، نزال بمعنى انزل. تريد به ابعد. فتقول شبهه معنى البعد، بمعنى النزول، بجامع مطلق المفارقة في كل واستعير لفظ النزول لمعنى البعد، واشتق منه نزال بمعنى أبعد، ومثال اسم الفعل غير اشتق «صه» بمعنى اسكت عن الكلام، تريد به اترك فعل كذا، فتقول شبه ترك الفعل، بمعنى السكوت، واستعير لفظ السكوت لمعنى ترك الفعل، واشتق منه اسكت بمعنى اترك الفعل، وعبر بدل اسكت بصه، ومثال المصغر «رجيل» لمتعاطي ما لا يليق، ومثال المنسوب «قرشي» للمتخلق بأخلاق قريش وليس منهم.

ومثال الاستعارة في الحرف قوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ واجراؤها أن يقال شبهت المحبة والتبني، بالعداوة والحزن اللذين هما العلة الغائية للالتقاط بجامع مطلق الترتيب، واستعيرت اللام من المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية. واعلم أن اللام لم تستعمل في معناها الأصلي وهو العلة. لأن علة التقاطهم له أن يكون لهم ابناً، وإنما استعملت مجازاً (لعاقبة الالتقاط) وهي كونه لهم عدواً، فاستعيرت العلة للعاقبة، بجامع أن كلاً منهما مترتب على الالتقاط. ثم استعيرت اللام تبعاً لاستعارتها، فالمستعار منه العلة. والمستعار له العاقبة، والترتب على الالتقاط هو الجامع، والقرينة على المجاز استحالة التقاط الطفل ليكون عدواً، وكقوله تعالى: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ وإجراؤها أن يقال شبه مطلق استعلاء بمطلق ظرفية بجامع التمكن في كل، فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التي هي معاني الحروف فاستعير لفظ «في» الموضوع لكل جزئي من جزئيات الظرفية، لمعنى «على» على سبيل الاستعارة

←

فالاستعارة تصريحية تبعية نحو: نامت همومي عني.ونحو: صه: الموضوع للسكوت عن الكلام، والمستعمل مجازاً في ترك الفعل ونحو: الجندي قاتل اللص، بمعنى ضاربه ضرباً شديداً ونحو: هذا الموضوعة للإشارة الحسية؛ والمستعملة مجازاً في الاشارة العقلية نحو: هذا رأي حسن، ونحو: قوله: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ [طه: ٧١] ونحو: قوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ [القصص: ٨].

وسميت تبعية لأن جريانها في المشتقات، والحروف، تابع لجريانها أولاً: في الجوامد، وفي كليات معاني الحروف. يعني: أنها سميت تبعية لتبعيتها لاستعارة أخرى، لأنها في المشتقات

←

التصريحية التبعية، ومثال المكنية التبعية في الاسم المشتق يعجبني إراقة الضارب دم الباغي، وإجراء الاستعارة أن يقال شبه الضرب الشديد بالقتل، بجامع الإيذاء في كل، واستعير القتل للضرب الشديد واشتق من القتل القاتل بمعنى ضارب ضرباً شديداً ثم حذف وأثبت له شيء من لوازمه وهو الإراقة على سبيل الاستعارة المكنية التبعية، ومثالها في الاسم المبهم قولك لجليسك المشغول عنك: أنت مطلوب منك أن تسير إلينا الآن، شبه مطلق مخاطب بمطلق غائب فسرى التشبيه للجزئيات، واستعير الثاني للأول، ثم استعير بناء على ذلك ضمير الغائب للمخاطب، وحذف وذكر المخاطب، ورمز إلى المحذوف بذكر لازمه، وهو طلب السير منه إليك، وإثباته له تخييل.

واعلم أن استعارة الأسماء المبهمة أعني الضمائر وأسماء الإشارة والموصولات تبعية، لأنها ليست باسم جنس لا تحقيقاً ولا تأويلاً، ولأنها لا تستقل بالمفهومية لأن معانيها لا تتم ولا تصلح لأن يحكم عليها بشيء ما لم تصحب تلك الألفاظ في الدلالة عليها ضميمة تتم بها، كالإشارة الحسية والصلة والمرجع، فلابد أن تعتبر التشبيه أولاً في كليات تلك المعاني الجزئية، ثم سريانه فيها لتبنى عليه الاستعارة، مثلاً في استعارة لفظ «هذا» لأمر معقول، يشبه المعقول المطلق في قبول التمييز بالمحسوس المطلق فيسري التشبيه إلى الجزئيات فيستعار لفظ هذا المحسوس الجزئي للمعقول الجزئي الذي سرى إليه التشبيه، فهي استعارة تبعية، والاستعارة في الضمير والموصول المؤنث، أو بموصولها عنه لشبهه بها. أو عكسه. فتشبه المذكر المطلق، بالمؤنث، كالتعبير عن المذكر بضمير المطلق، فيسري التشبيه، فتستعير الضمير، أو الموصول، للجزء الخاص.

تابعة للمصادر. نحو: ركب فلان كتفي غريمه[١] أي: لازمه ملازمة شديدة. ولأنها في معاني الحروف تابعة لمتعلق معانيها، إذ معاني الحروف جزئية لا تتصور الاستعارة فيها إلا بواسطة كلي مستقل بالمفهومية. ليتأتى كونها مشبهاً ومشبهاً بها أو محكوماً عليها، أو بها. كقوله تعالى: ﴿أولئك على هدى من ربهم﴾ [البقرة: ٥] اى تمكنوا من الحصول على الهداية التامة[٢]، ونحو: أذقته لباس الموت[٣] أي ألبسته إياه.

٣ ـ وإذا كان اللفظ المستعار اسماً مشتقاً، أو اسماً مبهماً دون باقي أنواع التبعية المتقدمة فالاستعارة تبعية مكنية.[٤]

تنبيهات عشرة

التنبيه الأول: كل تبعية قرينتها مكنية.

التنبيه الثاني: إذا أجريت الاستعارة في واحدة من الاستعارة التصريحية أو في الاستعارة المكنية، امتنع إجراؤها في الأخرى.

التنبيه الثالث: تقسيم الاستعارة إلي أصلية وتبعية عام في كل من الاستعارة التصريحية والمكنية.

---

١. يقال في إجرائها: شبه اللزوم الشديد، بالركوب، بجامع السلطة والقهر، واستعير لفظ المشبه به وهو الركوب للمشبه وهو اللزوم، ثم اشتق من الركوب بمعني اللزوم ركب بمعني لزم، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

٢. يقال في إجرائها: شبه مطلق ارتباط بين مهدى وهدى، بمطلق ارتباط بين مستعلي ومستعلىٰ عليه بجامع التمكن في كل، فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات ثم استعيرت «على» من جزئي من جزئيات المشبه به، لجزئي من جزئيات المشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

٣. يقال في إجرائها: شبهت الإذاقة بالإلباس، واستعيرالإلباس للإذاقة بجامع الاشتمال في كل واشتق منه ألبس بمعني أذاق، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، ثم حذف لفظ المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو اللباس، على طريق الاستعارة المكنية.

٤. ولم يذكرها القوم. ولعلّه لعدم وجدانهم ايّاها في كلام البلغاء.

التنبيه الرابع: تبين أن الاستعارة هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعني الوضعي[1]. أو هي: مجاز لغوى علاقته المشابهة، كقول زهير :[الطويل]

لدى أسد شاكي السلاح مقذف له لبدٌ اظفاره لم تقلم

فقد استعار لفظ الأسد: للرجل الشجاع. لتشابهما في الجراءة. والمستعار له هنا: محقق حساً.

و كقوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة : ٦]: فقد استعار الصراط المستقيم للدين الحق، لتشابهما في أن كلاً يوصل إلي المطلوب.

و كقوله تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلي النور﴾ [ابراهيم: ١] أى من الضلال إلي الهدى، فقد استعير لفظ الظلمات للضلال، لتشابهما في عدم اهتداء صاحبيهما، وكذلك استعير لفظ النور للإيمان. لتشابهما في الهداية، والمستعارات لها هو الضلال والإيمان، كل منها محقق عقلاً وتسمي هذه الاستعارات تصريحية وتسمي تحقيقية.

وأما قول أبي ذؤيب الهذلي:[الكامل]

و إذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لاتنفع

فشبه المنية بالسبع. في اغتيال النفوس قهراً. من غير تفرقة بين نفاع وضرار، ولم يذكر لفظ المشبه به، بل ذكر بعض لوازمه وهو أظفارها التي لايكمل الاغتيال في السبع إلا بها. تنبيهاً على المشبه به المحذوف فهو استعارة مكنية وكقوله :[الكامل]

و لئن نطقت بشكر برّك مفصحاً فلسان حالي بالشكاية أنطقُ

فشبه الحال، بإنسان ناطق في الدلالة على المقصود، ولم يصرح بلفظ المشبه به بل ذكر لازمه. وهو اللسان الذى لاتقوم الدلالة الكلامية إلا به، تنبيهاً به عليه، فهو أيضاً استعاره مكنية. وقد اثبت للمشبه لازم من لوازم المشبه به، لايكون إلا به كماله أو قوامه في وجه الشبه

---

١. قد يراد بالاستعارة المعني المصدرى: أى استعمال اللفظ في غير ما وضع له فيكون اللفظ مستعاراً، والمشبه به مستعاراً منه، والمشبه مستعاراً له.

كالاظفار التي لايكمل الافتراس إلا بها. كما في المثال الأول واللسان الذى لاتقوم الدلالة الكلامية في الإنسان إلا به، كما في المثال الثاني وليس للمنية شيء كالأظفار نقل إليه هذا اللفظ، ولاللحال شيء كاللسان نقل إليه لفظ اللسان. و ما كان هذا حاله يعتبر طبعاً تخييلاً أو استعارة تخييلة.

التنبيه الخامس: تقدم أن الاستعارة التصريحية أو المصرحة: هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به. وأن المكنية، هي ما حذف فيها لفظ المشبه به، استغناء ببعض لوازمه التي بها كمالُه أو قوامه في وجه الشبه[1] وأن إثبات ذلك اللازم تخييل أو استعارة تخييلية.

غير أنهم اختلفوا في تعريف كل من المكنية والتخييلة.

فمذهب السلف: أن المكنيّة: اسم المشبه به، المستعار في النفس للمشبه، وأن إثبات لازم المشبه به للمشبه استعارة تخييلية[2] فكل من الأظفار في قوله: وإذا المنية أنشبت أظفارها. واللسان في قوله: فلسان حالي بالشكاية أنطقُ حقيقةٌ، لأنه مُستعمل فيما وضع له.

---

١ . إذا لم يكن اللازم كذلك، اعتبر ترشيحاً، فالفرق بين الترشيح والتخييل:

«أ» أن الترشيح يكون في المصرحة والمكنية: والتخييل، إنما يكون في المكنية.

«ب» أن التخييل به كمال المشبه به، أو قوامه في وجه الشبه، ولا يكون إلا كذلك.

٢ . وعلى مذهبهم لاتكون التخييلية «مجازاً لغوياً» لأنها فعل من أفعال النفس وهو الإثبات، والمجاز اللغوى من عوارض الألفاظ. وعلى مذهبهم أيضاً تتلازم المكنية والتخييلية، إلا أن أحدهم وهو «الزمخشرى» انفرد من بينهم بأن قال إن قرينة المكنية قد تكون تحقيقية إذا كان للمشبه لازم يشبه لازم المشبه به نحو ﴿ينقضون عهد الله﴾ فقد شبه العهد بالحبل بجامع أن كلاً يصل بين شيئين ويربطهما: فالعهد يربط المتعاهدين كما يربط الشيئان بالحبل، ثم حذف لفظ المشبه به وهو الحبل واستعير النقض وهو فك طاقات الحبل لإبطال العهد، بجامع الإفساد في كل «استعارة أصلية تحقيقية» ثم اشتق من النقض ينقضون بمعني يبطلون، على سبيل الاستعارة، «التحقيقية التبعية» فالزمخشرى يجمع بين المكنية والتحقيقية أحياناً. على أن التحقيقية ليست مقصودة لذاتها، وإنما جاءت تبعاً للمكنية، للدلالة عليها، فلاتلازم عنده بين المكنية والتخييلة. إلا أن يدعي أن القرينة «تصريحية» باعتبار المعني المقصود في الحالة الراهنة «تخييلة» باعتبار الإشعار بالأصل. أما غيره من السلف فتقول: شبه العهد بالحبل، وحذف لفظ الحبل، ورمز إليه بلازمه، وهو النقض وإثبات النقض للعهد تخييل.

و مذهب «الخطيب القزويني» أن المكنية هي التشبيه المضمر في النفس، المرموز إليه بإثبات لازم المشبه به للمشبه و هذا الإثبات هو الاستعارة التخييلية.[١]

و مذهب «السكاكي» أن المكنية لفظ المشبه، مراداً به المشبه به[٢] فالمراد بالمنية في قوله: وإذا المنية أنشبت أظفارها هو السبع بادعاء السبعية لها. وإنكار أن تكون شيئاً غير السبع، بقرينة إضافة الأظفار التي هي من خواص السبع إليها. والتخييلية عنده ما لا تحقق لمعناه. لاحساً ولا عقلاً بل هو صورة وهمية محضة: كالأظفار في ذلك المثال فإنه لما شبه المنية، بالسبع في الاغتيال، أخذ الوهم يصورها بصورته. ويخترع لها لوازمه، فاخترع لها صورة كصورة الأظفار. ثم أطلق عليها لفظ الأظفار فيكون لفظ الاظفار استعارة تصريحية تخييلة.

اما أنها تصريحية: فلأنه صرح فيها بلفظ المشبه به وهو اللازم الذى أطلق على صورة وهمية شبيهة بصورة الاظفار المحققة.

أما أنها تخييلية: فلأن المستعار له غير محقق لاحساً ولا عقلاً. والقرينة على نقل الأظفار

---

١. من هذا التعريف نفهم أولاً: أن «القزويني» يخالف السلف في تعريف المكنية ويتفق معهم في قرينتها. ونفهم ثانياً أن المكنية والتخييلية عند القزويني فعلان من أفعال النفس هما التشبيه والإثبات، فليسا من المجاز اللغوى، لأنه من عوارض الألفاظ وتكون التخييلية عند القزويني والقوم «مجازاً عقلياً»، لما فيها من إثبات الشيء لغير ما هو له، وإنما سموها (استعارة) لما فيها من نقل اللازم من ملاءمة الأصل، وهو المشبه به إلي المشبه، وسموها تخييلية لأن اللازم لما نقل من المشبه به إلي المشبه صار السامع يخيل إليه أن المشبه من جنس المشبه به. ونفهم ثالثاً أن لفظ اللازم في المكنية حقيقة عند (القزويني).

٢. تقرير الاستعارة على مذهب (السكاكي) أن يقال: شبهنا المنية التي هي الموت المجرد عن ادعاء السبعية، بالسبع الحقيقي، وادعينا أنها فرد من أفراده، وأن للسبع فردين فرداً متعارفاً وهو الحيوان المفترس، وفرداً غير متعارف وهو الموت الذى ادعيت له السبعية، واستعير اسم المشبه وهو المنية بمعني ذلك الفرد غير المتعارف، أعني الموت الذى ادعيت له السبعية، فصح بهذا أنه قد أطلق اسم المشبه، وهو المنية وأريد به المشبه به، وهو السبع.

من معناها الحقيقي إلي المعني المتخيل، إضافتها إلي المنية.[١]

هذا، ومذهب السكاكي في المكنية مردود عليه. بأن لفظ المشبه فيها مستعمل فيما وضع له تحقيقاً، للقطع بأن المراد بالمنية الموت لاغير: فليس مستعاراً.

التنبيه السادس: الاستعارة صفة للفظ على المشهور؛ والحق أن المعني يعار أولاً ثم يكون اللفظ دليلاً على الاستعارة، وذلك:

١ ـ لأنه إذا لم يكن نقل الاسم تابعاً لنقل المعني تقديراً لم يكن ذلك استعارة مثل الأعلام المنقولة فأنت إذا سميت إنساناً بأسد، أو نمر، أو كلب، لا يقال إن هذه الأسماء مستعارة؛ لأن نقلها لم يتبع نقل معانيها تقديراً.

٢ ـ ولأن البلغاء: جزموا بأن الاستعارة؛ ابلغ من الحقيقة فإن لم يكن نقل الاسم تابعاً لنقل المعني، لم يكن فيه مبالغة، إذ لامبالغة في إطلاق الاسم المجرد عن معناه.

التنبيه السابع: ظهر أن الاستعارة باعتبار اللفظ نوعان أصلية وتبعية.

فالأصلية: ماكان فيها المستعار اسم جنس غير مشتق، سواء أكان اسم ذات كأسد للرجل الشجاع، أم اسم معني، كقتل للإذلال، وسواء أكان اسم جنس حقيقة كأسد وقتل، أم تأويلاً كما في الأعلام المشهورة بنوع من الوصف كحاتم في قولك: رأيت اليوم حاتماً، تريد رجلاً كامل الجود فاعتبر لفظ حاتم في قوة الموضوع لمفهوم كلي، حتي كاد يغلب استعماله في كل من له وصف حاتم، فكما أن اسداً يتناول الحيوان المفترس والرجل الشجاع: كذلك حاتم يتناول الطائي وغيره ادعاء، ويكون استعماله في الطائي حقيقة، وفي غيره مجازاً، لأن الاستعارة مبنية على ادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، فلابد أن يكون المشبه به كلياً ذا أفراد.

---

١ . يرى (السكاكي) أن التخييلية قد توجد من غير المكنية كقولهم: أظفار المنية التي كالسبع نشبت بفلان، ففي أظفار (استعارة تخييلية) وجدت مع تشبيه صريح، ولكن هذا بعيد إذ لم يوجد له نظير في الكلام العربي، فالفرق بين السكاكي وغيره أن السكاكي يرى أن كل مكنية معها تخييلية ولا عكس، وغيره (إلا الزمخشري) يقول إنهما متلازمان.

والمراد باسم الجنس غير المشتق ما صلح لأن يصدق على كثيرين من غير اعتبار وصف من الأوصاف في الدلالة.

وليس العلم الشخصي واسم الإشارة والضمير والموصول من الكليات، فلاتصح أن تجرى فيها الاستعارة الأصلية. أما المشتق فالصفة جزء من مدلوله وضعاً، لأنه موضوع لذات متصفة بصفة، فكريم موضوع لذات متصفة بالكرم، وقتيل موضوع لذات متصفة بوقوع القتل عليها.

و قد اعتبرت الأعلام التي تتضمن معني الوصف اسم جنس تأويلاً ولم تعتبر من قبيل المشتق، لأن الوصف ليس جزءاً من معناها وضعاً، بل هو لازم له، غير داخل في مفهومه، فحاتم لم يوضع للدلالة على الجود ولاعلى ذات متصفة به، ولكن الجود عرض له. ولزمه فيما بعد.

التنبيه الثامن: التبعية[1] ماكان فيها المستعار مشتقاً، ويدخل في هذا: الفعل والاسم المشتق، والحرف.

---

١. كذلك يدخل فيه الاسم المبهم، فقد جعل بعضهم استعارة الإشارة والضمير والموصول من التبعية، لأن كلاً من هذه المبهمات ليس من اسم الجنس لا تحقيقاً و لا تأويلاً، إذ إن معانيها جزئية، والأصلية: مختصة باسم الجنس، فاذا قلت: هذا رأى حسن، فقد استعرت اسم الإشارة من المحسوس للمعقول، ويقال: شبه المعقول مطلقاً بالمحسوس مطلقاً في قبول التمييز والتعبير، فسرى التشبيه من الكليات إلي الجزئيات فاستعير لفظ (هذا) من جزئي المشبه به لجزئي المشبه استعارة تبعية، لقصد المبالغة في بيان تعيين المعقول، وإذا قلت لنسوة: إني منتظركم، فقد شبهت مطلق مخاطبة فيها عظمة، بمطلق مخاطب فيه عظمة، بجامع العظمة في كل، فسرى التشبيه من الكليين إلي الجزئيات فاستعير ضمير جماعة الذكور من جزئي المشبه به لجزئي المشبه، استعارة تبعية، وكذا إذا استعملت في المؤنث ما وضع من أسماء الموصول في المذكر.

و إذا عاد الضمير أو اسم الإشارة على مجاز: نحو: زارني هذا الأسد فأكرمته فليس فيهما تجوز بناء على أن وضعهما أن يعودا على ما يراد بهما من حقيقة أو مجاز، وقيل فيهما تجوز تبعاً لما يرجعان إليه ويكونان مستعارين بناء على التشبيه والاستعارة في مرجعهما، فيدخلان في التبعية.

فاستعارة الفعل[١]، نحو قوله تعالى: ﴿إنّا لما طغي الماء حملناكم في الجارية﴾ [الحاقة: ١١] ونحو قوله تعالى: ﴿و قطّعناهم في الأرض أمماً﴾ [الأعراف: ١٦٨] ونحو قوله تعالى: ﴿فبشّرهم بعذاب أليم﴾ [آل عمران: ٢١، التوبه: ٣٤]

يقال: شبه زيادة الماء زيادة مفسدة، بالطغيان، بجامع مجاوزة الحد في كل، وادعي أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، ثم استعير المشبه به للمشبه: على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، ثم اشتق من الطغيان بمعني الزيادة طغي بمعني زاد، وعلا: على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

هذا: وقد يستعمل لفظ الماضي موضع المضارع، بناء على تشبيه المستقبل المحقق، بالماضي الواقع، بجامع تحقق الوقوع في كل، نحو: قوله تعالى: ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا﴾ [فصلت: ٢١]. و قد يعبر بالمضارع عن الماضي، بناء على تشبيه غير الحاضر بالحاضر في استحضار صورته الماضية، لنوع غرابة فيها. نحو: قوله تعالى ﴿إني أرى في المنام أني أذبحك﴾.

التنبيه التاسع: استعارة المشتق: إما صفة[٢]، وأما اسم زمان؛ أو مكان أو آلة فالصفة،

---

١. لو دخلت أن المصدرية على فعل مستعار نحو: يسوءني أن يطغي الماء على قريتي، فالحق أنها تبعية وأن المستعار هو الفعل وحده وهو الذى حل محل يكثر أو يعلو، والعبرة باللفظ. والمصدر غير ملفوظ به، و«أن» إنما هي آلة في السبك أتي بها لغرض هو تأويل مدخولها بمصدر. فإذا أدى بها هذا الغرض طرحت كما تطرح الآلة إثر إتمام العمل الذى يؤدى بها. وقال بعضهم إنها أصلية نظراً للمصدر المؤول.

٢. يراد بالصفة: اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبه واسم التفضيل ويلحق بها المصغر والمنسوب كرجيل إذا أريد به رجل كبير تعاطي ما لا يليق به و كقرشي لمصرى يتخلق بأخلاق القرشيين فإن استعارتهما تابعة لاستعارة مصدرين يؤدى هذان اللفظان معناهما و هما صغير و منتسب الى قريش. شبه فعل ما لايليق بالصغر، بجامع أن كلاً يسقط الهيبة، واستعير لفظ الصغر لفعل ما لايليق ثم اشتق منه صغير بمعني فاعل ما لايليق، ثم عبر عن فاعل ما لايليق بلفظ رجيل. أو شبه رجيل، أو شبه مطلق فعل مالايليق، بمطلق الصغر، فسرى التشبيه إلي فردى المشبه والمشبه به وهما فاعل مالايليق ورجيل، ثم استعير بناء على التشبيه الحاصل بالسريان رجيل للكبير الذى يفعل فعل الصغير، وشبه التخلق بأخلاق قريش الانتساب إليهم، واستعير الانتساب للتخلق واشتق منه المنتسب بمعني المتخلق بأخلاقهم ثم عبر عن هذا بلفظ يؤديه وهو «قرشي» على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

نحو: حكم على قاتلك بالسجن، من القتل بمعني الضرب الشديد، مجازاً. ونحو: إنما أصادف الأصم عن الخني، وأجاوز الأعمي عن العورات، ونحو: فلسان حالي بالشكاية أنطق: أي أدل. و نحو قوله تعالى: ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾ ونحو: جئت بمقتالكِ[1]: أي بالآلة التي أضربك بها ضرباً شديداً.

التنبيه العاشر: مدار قرينة التبعية في الفعل والمُشْتق على ما تأتي:

١ ـ على الفاعل: نحو: إنا لما طغي الماء، ونطقت الحال بكذا[2].

٢ ـ أو على نائبه: نحو: ضربتْ عليهم الذلة والمسكنةُ[3].

٣ ـ أو على المفعول به: نحو: [المديد]

جمع الحقّ لنا في إمامٍ ... قتل البخلَ وأحيا السماحا[4]

٤ ـ أو على المفعول به الثاني ـ نحو: [الوافر]

صبحنا الخزرجية مُرْهفات ... أباد ذوي أرومتها ذووها[5]

---

١. شبه الضرب بالقتل بجامع شدة الإيذاء في كل، ثم استعير للضرب الشديد على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، ثم اشتق منه «مقتال» بمعني آلة الضرب على سبيل الاستعارة التبعية وشبه الإعراض عن سوء القول وعدم سمعه بالصمم بجامع عدم تأثير النفس بالقول في كل. وكذلك شبه الإغضاء عن العورات بالعمي، بجامع عدم تأثير النفس بالمرئي في كل.

٢. لأن كلاً من الطغيان والنطق من شأن الإنسان.

٣. لأن الضرب من شأن الخيام، لا من شأن الذلة التي هي أمر معنوي.

٤. لأن القتل والإحياء لا يقعان إلا على ذي روح، والبخل والسماح معنويان لا روح فيهما، فدل هذا: على أن المراد بالقتل الإزالة، وبالإحياء الإكثار. شبه الإزالة بالقتل بجامع ما يترتب على كل من العدم والإكثار بالإحياء بجامع إظهار المتعلق في كل.

٥. القرينة تعلق الفعل «صبح» بمرهفات وهي مفعول به ثان يقال: صبحه كقطع سقاه الصبوح، وهو شراب الغداة، ومرهفات اي سيوفاً مرهفات، يقال أرهف السيف إذا حددة ورققه: واباده أهلكه، والأرومة الأصل

←

٥ ـ أو على الفاعل والمفعولين، كقول الشاعر: [البسيط]

تَقري الرياحُ رياض الحزن مزهرة إذا سرى النومُ في الأجفان إيقاظَا[١]

٦ ـ أو على مفعولين؛ كقوله تعالى: ﴿و قطعناهم في الأرض أمماً﴾

٧ ـ أو على المجرور: نحو: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾[٢] ونحو ﴿فاصدعْ بما تؤْمرُ﴾ [الحجر: ٩٤] ونحو: ﴿ بل نقذف بالحقِّ﴾ [الأنبياء: ١٨].

هذا وقد تكون قرينة التبعية غير ذلك، نحو: ﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ [يس: ٥٢][٣] إذ القرينة في هذه الآية، كونه من كلام الموتى، مع قوله: ﴿هذا ما وعد الرحمٰن وصدق المرسلون﴾ [يس، ٥٢].

التنبيه الحادى عشر: استعارة الحرف[٤] نحو ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًا وحزَناً﴾ [القصص: ٨]

→

والضمير في أرومتها للخزرجية، وفي «ذووها» للمرهفات يقول: أبدنا أصول هذه القبيلة بسيوفنا المرهفات، ونزل التضاد منزلة التناسب، فشبه الإساءة إلي الخزرجية صباحاً بالإحسان إليهم، وتقديم الصبوح لهم، بجامع إدخال السرور على النفس في كل، و إن كال ادعائياً في المشبه، ثم استعار الفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية العنادية التهكمية، ثم اشتق من الصبوح بمعني الضرب بالمرهفات «صبح» بمعني ضرب بها على سبيل الأستعارة التبعية.

١. الجفن غطاء العين وغلاف السيف استعير لأكمام الزهر بجامع التغطية في كل، وكنى بسريان النوم فيها عن ذبولها، وإيقاظ مصدر أيقظ مصدر مستعار لتفتيح الزهر وايجاد النضرة والبهجة فيه، وقد حسن التعبير بالإيقاظ مجيئه بعد النوم والأجفان، والمعنى: تهب الرياح على بساتين الحزن فتكسوها تفتيحاً وحسناً ونضارة.

٢. قوله بعذاب: قرينة على أن «بشر» مستعار، لأن التبشير بما يسر فلا يناسب تعلقه بالعذاب، وقوله: «بما تؤمر» كذلك لأنه معنوي والصدع المحسوس، كما أن الحق معنوي أيضاً، فكل منها كان صارفاً عن المعني الأصلي للفعل إلى المعنى المجازي.

٣. هذا على أن مرقد اسم مكان، والا فالاستعارة أصلية كما تقدم.

٤. إيضاح: مثل الابتداء والظرفية والاستعلاء معان كليه، يصح أن تكون مستقلة بالفهم، يحكم بها وعليها، وتكون مقصودة لذاتها، ولكن لابتداء المفهوم من لفظ «من» ابتداء مخصوص لم يقصد لذاته، بل الغرض منه

←

فقد شبه مطلق ترتب علة واقعية على فعل[١]، بمطلق ترتب علة غائية على فعل[٢]، بجامع مطلق الترتب في كل[٣]، فسرى التشبيه من الكليين إلي الجزئيات، ثم استعمل في جزئي المشبه[٤] اللام الموضوعة لجزئي المشبه به[٥] على سبيل الاستعارة التبعية، ونحو قوله تعالى: ﴿ولأصلبنّكم في جذوع النخل﴾ [طه: ٧١][٦] ونحو قوله تعالى: ﴿أولئك على هُدًى من ربهم﴾ [البقرة: ٥][٧]، ونحو: زيد في نعمة[٨].

و من هذه الأمثلة السابقه: يتبين أنه لا يُشترط أن يكون للمشبه حرف موضوع له يدل عليه.

→

الربط بين معنيين مستقلين بالفهم، وهما السير والبصرة في قولك: سرت من البصرة ولذا كان جزئياً بالنسبة للابتداء الأول، وما قيل في الابتداء، يقال نظيره في الظرفيه والعلة الغائية والاستعلاء وغيرها من المعاني التي تستفاد من الحروف نحو: في، واللام، وعلى. فأي معني يستفاد من الحرف في جملة ما، يعتبر جزئياً من كلية، غير مقصود لذاته، بل للربط بين معنيين مستقلين، وتعتبر الحروف حينئذٍ روابط بين المعاني المقصودة.

١. العداوة والحزن علة واقعية للالتقاط.

٢. العلة الغائية لفعل هي التي تحمل على تحصيله التحصل بعد حصوله كتبني فرعون لموسى، ومحبة موسى إياه، لأن فرعون وآله إنما كفلوه بعد التقاطه لذلك.

٣. إلا أن الترتب في الغائية [رجائي أو تقديري] وفي العداوة والحزن [واقعي].

٤. جزئي المشبه هنا هو ترتب العداوة والحزن الخاصين المتعلقين بـ[موسى].

٥. جزئي المشبه به هنا هو ترتب علة الالتقاط الخاصة: وهي تبني موسى والمحبة، لأنهما متقدمان على كفالته بعد الالتقاط، ومرتبان عليه في الخارج.

٦. شبه مطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه، بمطلق ارتباط بين ظرف ومظروف، بجامع التمكن، أو مطلق الارتباط في كل. فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات، فاستعير لفظ «في» من جزئيات المشبه به، لجزئي من جزئيات المشبه استعاره تبعية.

٧. شبه مطلق ارتباط بين مهدي وهدى بمطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه، بجامع مطلق الارتباط في كل، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات، فاستعير لفظ «على» من جزئيات المشبه به، لجزئي المشبه، استعارة تبعية.

٨. شبه مطلق ملابسة الإنسان للنعمة، بمطلق ملابسة بين ظرف ومظروف بجامع مطلق الملابسة في كل، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات، فاستعير لفظ «في» من جزئيات المشبه به، لجزئي من جزئيات المشبه، استعارة تبعية.

و اختار السكاكي تقليلاً لأقسام الاستعارة: أن يستغني عن التبعية في الفعل، والمشتق، والحرف، بأن يجعل قرينة التبعية استعارة مكنية، وأن يجعل التبعية قرينة للمكنية؛ ففي قوله تعالى: ﴿إنّا لما طَغَى الماءُ حملناكم في الجارية﴾ [الحاقة: ١١] يجعل القوم الطغيان مستعاراً للكثرة المفسدة. ويقول «السكاكي» في لفظ الماء استعارة مكنية، ونسبة الطغيان إليه قرينة.

المبحث الثامن

في تقسيم الاستعارة المصرحة باعتبار الطرفين إلى عنادية ووفاقية

فالعنادية: هي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لتنافيهما كاجتماع النور والظلام.

والوفاقية: هي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لعدم التنافي كاجتماع النور والهُدى.

و مثالهم قوله تعالى: ﴿أوَمَنْ كانَ ميتاً فأحييناهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] أي ضالاً فهديناه.

ففي هذه الآية استعارتان.

الأولى: في قوله ميتاً شبه الضلال: بالموت، بجامع ترتب نفي الانتفاع في كل. واستعير الموت للضلال، واشتق من الموت بمعني الضلال، مَيتاً بمعني ضالاً، وهي عنادية، لأنه لا يمكن اجتماع الموت والضلال في شيء واحد.

والثانية: استعارة الإحياء للهداية، وهي وفاقية لإمكان اجتماع الإحياء والهداية في الله تعالى: فهو مُحيي وهاد.

ثم العنادية: قد تكون تمليحية، أي المقصود منها التمليح والظرافة. و قد تكون تهكمية أي المقصود منها التهكم والاستهزاء، بأن يستعمل اللفظ الموضوع لمعني شريف، على ضدِّه أو نقيضه، نحو رأيت أسداً تريد جباناً، قاصداً التمليح والظرافة، أو التهكم والسخرية: وهما اللتان نُزِّل فيهما التضاد، منزلة التناسب ـ نحو: ﴿فبشرْهم بعذاب أليم﴾ [آل عمران: ٢١، التوبة: ٣٤] أي أنذرهم فاستعيرت البشارة التي هي الخبر السار، للإنذار الذي هو ضده بإدخال الإنذار في جنس البشارة، على سبيل التهكم والاستهزاء. و كقوله تعالى: ﴿فاهدوهم إلي صراط الجحيم﴾ [الصافات: ٢٣].

المبحث التاسع

في تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع

الاستعارة المصرحة باعتبار الجامع نوعان[١]:

---

١. الجامع في الاستعارة: بمثابة «وجه الشبه» في التشبيه، وهو ما قصد اشتراك الطرفين فيه، وسمي جامعاً لأنه جمع المشبه في أفراد المشبه به تحت مفهومه وأدخله في جنسه ادعاء، ولا بد أن يكون في المستعار منه أقوى، لأن الاستعارة مبنية على المبالغة في التشبيه، والمبالغة فيه توجب ابلاغ المشبه لما هو أكمل.

و ينقسم الجامع، إلي داخل وخارج، فالأول: ما كان داخلاً في مفهوم الطرفين نحو قوله تعالى: ﴿و قطعناهم في الأرض أمماً﴾ فاستعير التقطيع الموضوع لإزالة الاتصال بين الأجسام الملتصق بعضها ببعض، لتفريق الجماعة وإبعاد بعضها عن بعض. والجامع إزالة الاجتماع، وهي داخلة في مفهومها وهي في القطع أشد.

و الثاني: وهو ما كان خارجاً عن مفهوم الطرفين، نحو: رأيت أسداً، أي: رجلاً شجاعاً، فالجامع وهي الشجاعة أمر عارض للأسد، لا داخل في مفهومه.

و ينقسم الجامع أيضاً باعتباره، وباعتبار الطرفين، إلي ستة أقسام، لأن الطرفين إما حسيان وإما عقليان «أو المستعار منه حسي والمستعار له عقلي أو بالعكس» والجامع في الأول من الصور الأربع تارة يكون حسياً وتارة يكون عقلياً وأخرى مختلفاً، وفي الثلاث الأخيرة لا يكون إلا عقلياً.

مثال ما إذا كان الطرفان حسيين والجامع كذلك قوله تعالى: ﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار﴾ فإن المستعار منه ولد البقر، والمستعار له الحيوان المصوغ من «حلي القبط» بعد سبكها بنار السامري، وإلقاء التراب المأخوذ من أثر فرس جبريل عليه السلام، والجامع لهما الشكل والخوار، فإنه كان على شكل ولد البقر، مما يدرك بحاسة البصر «و بحث بعضهم بأن إبدال جسداً من عجلاً يمنع الاستعارة». و مثال ما إذا كان الطرفان حسيين، والجامع عقلي، قوله تعالى: ﴿و آية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾ أي نكشف و نزيل الضوء من مكان الليل، وموضوع ظلمته، فإن المستعار منه أعني السلخ وهو كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها والمستعار إزالة الضوء عن مكان الليل وموضع ظلمته: و هما حسيان.

والجامع لهما ما يعقل من ترتب أمر على آخر بحصوله عقبه، كترتب ظهور اللحم على السلخ والكشط، وترتب حصول الظلمة على إزالة ضوء النهار عن مكان ظلمة الليل والترتب عقلي، وإجراء الاستعارة، شبه كشف

←

١ ـ عامية: وهي القريبة المبتذلة التي لاكتها الألسن، فلا تحتاج إلى بحث: ويكون الجامع فيها ظاهراً نحو: رأيت أسداً يرمي.

→

الضوء عن الليل، بكشط الجلد عن نحو الشاة. بجامع ترتب ظهور شيء على شيء في كل، واستعير اللفظ المشبه به وهو «السلخ» للمشبه، وهو كشف الضوء واشتق من «نسلخ» بمعني نكشف، على طريق الاستعارة التصريحيه التبعية. ومثال ما إذا كان الطرفان حسيين، و الجامع بعضه حسي، وبعضه عقلي. قولك رأيت بدراً يضحك، تريد شخصاً مثل «البدر» في حسن الطلعة وعلو القدر. حسن الطلعة حسي. وعلو القدر عقلي، ومثل ما إذا كان الطرفان عقليين ولا يكون الجامع فيهما إلا عقلياً، كباقي الأقسام. قوله تعالى:﴿من بعثنا من مرقدنا﴾ فإن المستعار منه «الرقاد» أي. النوم والمستعار له الموت والجامع بينهما عدم ظهور الافعال الاختيارية (و الجميع عقلي)، وإجراء الاستعارة: شبه الموت بالنوم بجامع عدم ظهور الفعل في كل، و استعير لفظ المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية، وقال بعضهم عدم ظهور الفعل في الموت أقوى. وشرط الجامع أن يكون في المستعار منه أقوى، فليجعل الجامع هو «البعث» الذي هو في النوم أظهر، وقرينة الاستعارة أن هذا الكلام كلام الموتى، مع قوله: ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ وعلى هذا يقال: شبه الموت بالرقاد، بجامع عدم ظهور الفعل في كل. واستعير الرقاد للموت واشتق منه «مرقد» اسم مكان ارقاد بمعني قبر اسم مكان الموت، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، ومثال ما إذا كان المستعار منه حسياً، والمستعار له عقلياً قوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ فإن المستعار منه كسر الزجاجة، وهو أمر حسي، باعتبار متعلقه والمستعار له التبليغ جهراً والجامع التأثير الذي لا يمكن معه رد كل منهما إلى ما كان عليه، أي: أظهر الأمر إظهاراً لا ينمحي كما أن صدع الزجاجة لا يلتئم وإجراء الاستعارة: شبه التبليغ جهراً، بكسر الزجاجة، بجامع التأثير الشديد في كل واستعير المشبه به وهو «الصدع» للمشبه وهو التبليغ جهراً، واشتق منه اصدع بمعنى بلغ جهراً، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، ومثال ما إذا كان المستعار منه عقلياً، والمستعار له حسياً قوله تعالى: ﴿إنا لما طغي الماء حملناكم في الجارية﴾ فإن المستعار له كثرة الماء كثرة مفسدة وهي حسية، والمستعار منه التكبر، والجامع الاستعلاء المفرط، وهما عقليان وإجراء الاستعارة، شبهت كثرة الماء المفرطة بمعني الطغيان وهو مجاوزة الحد، بجامع الاستعلاء المفرط في كل. واستعير لفظ المشبه به. وهو الطغيان للمشبه وهو الكثرة المفرطة، واشتق منه طغي بمعني كثر كثرة مفرطة على طريق الاستعارة التصريحية التبعيه.

و كقوله: [الوافر]

و أدهـــم يســـتمدّ اللـــيلُ مـــنه و تـــطلع بـــين عـــينيه الثرَيَّـــا

فقد استعار الثريا، لغرَّة المهر، والجامع بين الطرفين ظاهر، وهو البياض وقد يتصرَّف في العامية بما يخرجها إلى الغرابة.

٢ ـ **وخاصية**: وهي الغريبة التي يكون الجامع فيها غـامضاً، لا يـدركه إلاّ أصـحاب المدارك من الخواص كقول كثيِّر يمدح عبد العزيز بن مروان: [الكامل]

غـــمرُ الرِّداء، إذا تـــبسم ضـاحكاً غـــلقتْ لضـــحكته رقـــابُ المـال

غمرُ الرداء كثير العطايا والمعروف استعار الرِّداء للمعروف، لأنه يصون ويستر عرض صاحبه، كستر الرداء ما يلقي عليه، وأضاف إليه الغمر، وهو القرينة على عدم إرادة معني الثوب لأن الغمر من صفات المال، لا من صفات الثوب.

و هذه الاستعارة: لا يَظفرُ باقتطاف ثمارها إلا ذَوُو الفَطر السليمة والخبرة التامة.

المبحث العاشر

في تقسيم الاستعارة باعتبار مايتصل بها من المُلاءمات، و عدم اتصالها

تنقسم الاستعارة: باعتبار ذكر ملائم المستعار منه أو باعتبار ذكر ملائم المستعار له أو باعتبار عدم اقترانها بما يلائم أحدهما.

إلي ثلاثة أقسام: مطلَقة، ومرَشحة، ومجرّدة.

أ ـ **فالمطلقة**: هي التي لم تقترن بما يلائم المشبه والمشبه به، نحو: ﴿ينقُضُونَ عهْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧، الرعد: ٢٥] أو ذكر فيها ملائهما معاً، كقول زهير: [الطويل]

لدى أسد شـاكـي الـسـلاح مـقذَف له لبـــدٌ أظـــفاره لم تُـــقلم

استعار الأسد: للرجل الشجاع، وقد ذكر ما يناسب المستعار له، في قوله: شاكي السلاح مقذف وهو التجريد، ثم ذكر ما يناسب المستعار منه، في قوله: له لبدٌ أظفاره لم تقلم وهو الترشيح، واجتماع التجريد والترشيح يؤدِّي إلى تعارُضهما وسقوطهما، فكأنّ الاستعارة لم تقترن بشيء وتكون في رتبة المطلقة.

ب - **والمرَشحة**: هي التي قرنت بملائم المستعار منه أي المشبه به، نحو: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦] استعير الشراء للاستبدال والاختيار، ثم فرع عليها ما يلائم المستعار منه من الرِّبح والتجارة ونحو، من باع دينه بدنياه لم تربح تجارته.

وسميت مرشحة: لترشيحها وتقويتها بذكر الملائم، وترشيح الاستعارة التصريحية متفق عليه.

ج - **والمجرَّدة**: هي التي قرنت بملائم المستعار له أي لمشبه نحو: اشترِ بالمعروف عِرضك من الأذى.

و سمِّيتْ بذلك: لتجريدها عن بعض المبالغة، لبعد المشبه حينئذ عن المشبه به بعض بُعد؛ وذلك يبعد دعوى الاتحاد الذي هو منبي الاستعارة.

ثم اعتبار الترشيح والتجريد، إنما يكون بعد تمام الاستعارة بقرينتها سواء أكانت القرينة مقالية أم حالية فلا تعد قرينة المصرحة تجريداً ولا قرينة المكنية ترشيحاً بل الزائد على ما ذكر.

واعلم أن الترشيح أبلغ من غيره، لا شتماله على تحقيق المبالغة بتناسي التشبيه، وادعاء أن المستعار له هو نفس المستعار منه لا شيءٌ شبيهٌ به وكأن الاستعارة غير موجودة أصلاً، والإطلاق أبلغ من التجريد فالتجريد أضعف الجميع، لأن به تضعف دعوى الاتحاد.

وإذا اجتمع ترشيحٌ وتجريد: فتكون الاستعارة في رُتبة المطلقة، إذ بتعارضهما يتساقطان، كما سبق تفصيله.

وكما يجري هذا التقسيم في التصريحية يجري أيضاً في المكنية[1]

المبحث الحادي عشر

في المجاز المُرسل المركب

المجاز المرسل المركب: هو الكلام المستعملُ في غير المعنى الذي وضع له، لعلاقة غير المشابهة: مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعي.

ويقع أولاً: في المركبات الخبرية المستعملة في الإنشاء وعكسه، لأغراض:

١ـ فالاستعارة المكنية المرشحة: هي ما قرنت بما يلائم المشبه فقط، نحو: نطق لسان الحال بكذا، شبهت الحال بمعنى الانسان واستعير لفظ المشبه به للمشبه، وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو «لسان» وإثبات اللسان للحال تخييل، وهو القرينة والنطق ترشيح، لأنه يلائم المشبه به فقط. وترشيح المكنية فيه خلاف مبسوط في المطولات.

والمكنية المجردة: هي ما قرنت بما يلائم المشبه فقط: نحو نطقت الحال الواضحة بكذا فالوضوح تجريد لأنه لا يلائم المشبه ولا المشبه به، أو قرنت بما يلائمهما معاً نحو نطقت الحال بكذا ونطق لسان الحال الواضحة بكذا ففي الأول: شبهت الحال بإنسان واستعير لها اسمه وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو النطق، وإثبات النطق للحال تخييل، وهي مجردة لأنها لم تقترن بشيء يلائمها.

وفي الثاني: شبهت الحال بإنسان واستعير له اسمه، وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو «لسان» وإثباته للحال تخييل وهو القرينة، والنطق ترشيح، لأنه يلائم المشبه به، والوضوح تجريد لأنه يلائم المشبه، وهنا تعارضا فتساقطا.

وتنقسم المكنية أيضاً إلى عنادية، نحو: أنشبت المنية أظفارها بفلان، لأنه لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد (يكون منية وسبعاً) ووفاقية، نحو نطقت الحال بكذا لأنه يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد كالحال مع الإنسان.

١ ـ منها: التَّحَسُّر وإظهار التأسف، كما في قول الشاعر: [الكامل]

ذَهَبَ الصبا وتَوَلت الأيامُ فَعَلي الصبا وعلى الزَّمان سلامُ

فإنه وإن كان خبراً في أصل وضعه، إلا أنه في هذا المقام مستعمل في إنشاء التحسر والتحزن على ما فات من الشباب.

وكما في قول جعفر بن عُلبة الحارثي: [الطويل]

هَوَايَ معَ الرَّكب اليمانينَ مصْعدٌ جنيب وجثماني بمكة موثقُ

فهو يشير إلي الأسف والحزن الذي ألم به من فراق الأحبة، ويتحسَّرُ على ما آل إليه أمره، والقرينة على ذلك حال المتكلم، كما يفهم من الشطر الثاني في قوله هَوَايَ، الخ.

٢ ـ ومنها: إظهار الضعف، كما في قوله، [الخفيف]

رَبِّ إني لا أستطيعُ اصطباراً فاعف عني يا منْ يقيلُ العثارا

٣ ـ ومنها: إظهار السرور، نحو: كُتِبَ اسمي بين الناجحين.

٤ ـ ومنها: الدعاء، نحو: نجَّحَ الله مقاصدنا، أيها الوطن لك البقاء.

وثانياً: في المركبات الإنشائية كالأمر، والنهي، والاستفهام، التي خرجت عن معانيها الأصلية، واستعملت في معان أُخر: كما في قول المصطفى عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كذَب على متعمداً فلْيَتَبوأ مقعده من النارِ». إذ المراد «يتبوأُ مقعدهُ» والعلاقة في هذا السَّببيَّة والمسببية لأن إنشاء المتكلم للعبارة سبب لإخباره بما يتضمَّنُهُ، فظاهره أمرٌ، ومعناه خبر.

المبحث الثاني عشر

في المجاز المركب[١] بالاستعارة التمثيلية

المجاز المركب بالاستعارة التمثيلية: هو تركيبٌ استعملَ في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعي، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة من متعدِّد، وذلك بأن تشبه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين. أو أمور بأخرى ثم تدْخل المشبه في الصورة المشبهة بها. مبالغة في التشبيه، ويسَمَّى بالاستعارة التمثيلية[٢] وهي كثيرة الورود في الأمثال السائرة، نحو «في الصيفِ ضيَّعت اللبن» يضرب لمن فرَّط في تحصيل أمر في زمن يمكنه الحصول عليه فيه، ثم طلبه في زمن لايمكنه الحصول عليه فيه،[٣]

---

١. المجاز المركب: هو تركيب استعمل في ما يشبه بمعناه الأصلي «تشبيه التمثيل».

٢. سميت تمثيلية مع أن التمثيل عام في كل استعارة، للإشارة إلى عظم شأنها كأن غيرها ليس فيه تمثيل أصلاً، إذ الاستعارة التمثيلية مبنية على تشبيه التمثيل، ووجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد، لهذا كان أدق أنواع التشبيه. وكانت الاستعارة المبنية عليه أبلغ أنواع الاستعارات ـ ولذلك كان كل من تشبيه التمثيل، والاستعارة التمثيلية غرض البلغاء

٣. أصل المثل: أن امرأة كانت متزوجة بشيخ غني، فطلبت طلاقها منه في زمن الصيف لضعفه، فطلقها وتزوجت بشاب فقير، ثم طلبت من مطلقها لبناً وقت الشتاء فقال لها ذلك المثل، واجراء الاستعارة في المثل الأول، أن يقال: شبهت هيئة من فرط في أمر زمن إمكان تحصيله، بهيئة المرأة التي طلقت من الشيخ اللابن، ثم رجعت إليه، تطلب منه اللبن شتاء، بجامع التفريط في كل. واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية.

و إجراء الاستعارة في المثل الثاني أن يقال: شبهت هيئة من يتردد في أمر بين أن يفعله وألا يفعله، بهيئة من يتردد في الدخول، فتارة يقدم رجله، وتارة يؤخرها بجامع الحيرة في كل. واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية.

←

ونحو: «إني أراك تقدّم رِجْلاً وتؤخرُ أخرى» يضرب لمن يتردد في أمر، فتارة يقدم وتارة يحجم، ونحو: «أحَشفاً وسوء كيلةٍ» يضرب لمن يظلم من وجهين، وأصله أن رجلاً اشترى تمراً من آخر، فإذا هو رَديءٌ وناقص الكيل، فقال المشتري ذلك. ومثل ما تقدم جميعُ الأمثال السائرة نثراً ونظماً.

فمن النثر قولهم لمن يحتال على حصول أمر خفي، وهو مستتر تحت أمر ظاهر: «لأمر ما جَدَعَ قصيرٌ أنفه» وقولهم: «تجوع الحُرّة ولاتأكل بثديها» وقولهم: لمن يريد أن يعمل عملاً وحده وهو عاجز عنه «اليد لاتصفق وحدها» وقولهم لجاهد عاد إلي وطنه بعد سفر: «عاد السيف إلي قرابه، وحل الليث منيع غابه» وقولهم: لمن يأتي بالقول الفصل:

و إجراء الاستعارة في المثل الثالث، شبهت هيئة من يظلم من وجهين، بهيئة رجل باع آخر تمراً رديئاً وناقص الكيل، بجامع الظلم من وجهين في كل،استعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية.

و إجراء الاستعارة في المثل الرابع، شبهت هيئة الرجل المتستر تحت أمر ليحصل على أمر خفي يريده، بهيئة الرجل المسمى (قصيراً) حين جدع أنفه ليأخذ بثأر (جذيمة) من (الزباء) بجامع الاحتيال في كل. واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية

و إجراء الاستعارة في المثل الخامس أن يقال شبهت هيئة الرجل الكريم الأصل العزيز النفس الذي لا يفضل الدنايا على الرزايا عند ما نزل به القدم. بهيئة المرأة التي تفضل جوعها على إجارتها للإرضاع عند فقرها بجامع ترجيح الضرر على النفع في كل واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية.

و إجراء الستعارة في المثل السادس، شبهت هيئة من يريد أن يعمل عملاً وحده وهو عاجز عنه، بهيئة من يريد أن يصفق بيد واحدة، بجامع العجز في كل. و استعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على سبيل الاستعارة التمثيلية.

و إجراء استعارة في المثل السابع، شبهت هيئة الرجل الذي يحصل بوجوه فصل المشكلات، بهيئة نبي الله موسى عليه السلام، مع سحرة فرعون، بجامع حسم النزاع في كل، واستعمر الكلام الموضوع للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

و إجراء الاستعارة في المثل الثامن، شبهت هيئة الرجل الذي لايقول إلا الحق ولا يخبر إلا بالصدق، بهيئة المرأة المسماة «حذام» بجامع الصدق في كل واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية.

قَطَعَتْ جَهيزَةُ قَولَ كلِّ خطيب[١].

ومن الشعر قول الشاعر: [المتقارب]

إذا جـــاء مـــوسي وألقي العـــصا فـــقد بـــطل الســـحر والســـاحرُ

و قول آخر: [الوافر]

إذا قـــالت حَـــذام فـــصَدِّقوها فـــإن القـــولَ مـــا قـــالت حـــذام

و قول آخر: [الطويل]

مـــتى يَـــبلغ البـــنيانُ يـوماً تمـامَه إذا كـــنت تـــبنيه وغـــيرُكَ يهـدِمُ[٢]

و إذا فشت وشاعتْ الاستعارة التمثيلية[٣]، وكثر استعمالها تكون مثلاً[٤] لايغير مطلقاً، بحيثُ يخاطب بـه

---

١. أصل هذا المثل: أن قوماً اجتمعوا للتشاور في الصلح بين حيين من العرب قتل رجل من أحدهما رجلاً من الآخر، وبينا خطباؤهم يتكلمون، إذا بجارية تدعى (جهيزة) أقبلت فأخبرتهم أن أولياء المقتول ظفروا بالقاتل، فقتلوه، فقال أحدهم (قطعت جهيزة قول كل خطيب) فذهب قوله مثلاً.

٢. وإجراء الاستعارة في المثل التاسع: شبهت حال المصلح بمبدء الإصلاح ثم يأتي غيره فيبطل عمله. بحال البنيان ينهض به حتي إذا أوشك أن يتم جاء من يهدمه، والجامع هو الحالة الحاصلة من عدم الوصول إلي الغاية، لوجود مايفسد على المصلح إصلاحه، ثم حذف المشبه واستعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه.

٣. وتنقسم التمثيلية إلي قسمين تحقيقية وتخييلية، فالتحقيقية هي المنتزعة من عدة أمور متحققة موجودة خارجاً، كما في الأمثله السابقة، والتخييلية هي المنتزعة من عدة أمور متخيلة مفروضة لاتحقق لها في الخارج ولا في الذهن. وتسمي الأولي «تمثيلية تحقيقية» والثانية «تخييلية» كقوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾ الآية على احتمال فيها فإنه لم يحصل عرض وإباء وإشفاق منها حقيقية، بل هذا تصوير وتمثيل. بأن يفرض تشبيه حال التكاليف في ثقل حملها وصعوبةالوفاء بها، بحال أنها عرضت على هذه الأشياء، مع كبر أجرامها، وقوة متانتها، فامتنعن وخفن من حملها،بجامع عدم تحقق الحمل في كل، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به، للمشبه استعارة تمثيلية، ونحو قوله تعالى: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾ فإن معني أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالها أنه أراد تكوينهما فكانتا كما أراد. فالغرض تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما عنها، وتمثيل ذلك بحالة الآمر المطاع لها وإجابتها له بالطاعة فرضاً وتخييلاً من غير أن يتحقق شيء من الخطاب والجواب، هذا أحد وجهين في الآيتين كما في [الكشاف]. فارجع إليه.

٤. الأمثال[١]، هي عبارات موجزة مأثورة، يشبه الناس بها جديد أحوالهم بقديمها، وهي نوعان: حقيقية، وفرضية.

←

المفرد، والمذكر، وفروعهما بلفظ واحد من غير تغيير ولاتبديل عن مورده الأول وإن لم يطابق المضروب له.

و لذا كانت هذه الاستعارة محط أنظار البلغاء، لا يعدلون بها إلى غيرها إلا عند عدم إمكانها، فهي أبلغ أنواع المجاز مفرداً أو مركباً، إذ مبناها تشبيه التمثيل الذي قد عرفت أن وجه الشّبه فيه هيئة منتزعة من أشياء متعددة.

→

فالحقيقية: هي ما حدث موردها في الوجود. والفرضية: مالم يحدث موردها في الوجود وإنما اخترعت على لسان حيوان أو غيره.

ولكل مثل (مورد) وهو الحالة القديمة التي قيل فيها لأول مرة. و لكل مثل (مضرب) وهو الحالة الجديدة التي استعير لها. و كما تكون الأمثال نثراً تكون شعراً، وتضرب كما وردت دون تغيير في لفظها.

(١) للأمثال الحقيقية أسباب و نتائج، تفيد المجتمع الإنساني.

منها، كونها مرآة صقلية للمواعظ والعبر. ومنها، كونها مقياساً لرقي الأمة ولسان أخلاقها. ومنها، كونها مجموعة نفيسة من السلف إلى الخلف. أما الأمثال الفرضية فهي عظة للعاقل ومسلاة للجاهل. وأشهر الكتب الجامعة للأمثال: كتاب «مجمع الأمثال»، للميداني. «جمهرة الأمثال»، لأبي هلال العسكري. «العقد الفريد»، لابن عبد ربه. كتاب «كليلة ودمنة»، لابن المقفع، وغيرهم. ولا يسمى القول مثلاً إلا إذا سار وذاع بين الناس جميعاً. وكما تقدم شرحه في تشبيه التمثيل، والاستعارة التمثيلية، يعلم الفرق بين كل منهما في الجدول الآتي للموازنة بينهما.

تشبيه التمثيل	الاستعارة التمثيلية
١ ـ تشبيه التمثيل يذكر فيه المشبه والأداة	١ ـ الاستعارة التمثيلية لا تكون إلا في التراكيب
٢ ـ تشبيه التمثيل يجوز أن يكون بين مفردين مثل: المنافق كالحرباء	٢ ـ الاستعارة التمثيلية نوع من المجاز فهي لذلك أبلغ منه
٣ ـ تشبيه التمثيل لا يصلح استعارة دون حذف	٣ ـ الاستعارة التمثيلية تحتاج إلى قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي
٤ ـ تشبيه التمثيل لا يحتاج إلى قرينة معه تدل على حقيقته	٤ ـ الاستعارة التمثيلية يحذف منها المشبه والأداة ولا يبقى فيها من أركان التشبيه إلا ما كان مشبهاً به فقط
٥ ـ تشبيه التمثيل نوع من الحقيقة	٥ ـ الاستعارة التمثيلية تصلح مشبهاً به دون حذف. والتشبيه معها أكثر ما يكون غير تمثيل

ومن ثم كانت هي والتشبيه المبنية عليه غرض البلغاء الذين يتسامون إليه، ويتفاوتون في إصابته، وقد كثر ذلك في القرآن الكريم كثرة كانت إحدى الحجج على إعجازه.

والاستعارة ميدان فسيح من ميادين البلاغة، وهي أبلغ من التشبيه لأنها تضعُ أمام المخاطب بدلاً من المشبه صورة جديدة تملك عليه مشاعرة وتذهله عما ينطوى تحتها من التشبيه وعلى مقدار ما في تلك الصورة من الروعة، وسموّ الخيال، تكون البلاغة في الاستعارة.

و أبلغ أنواع الاستعارة المرشحة لذكر ما يناسب المستعار منه فيها، بناء على الدعوى بأن المستعار له هو عين السمتعار منه.

ثم تليها المطلقة لترك ما يناسب الطرفين فيها، بناء على دعوى التساوي بينهما.

ثم تليها المجردة لذكر ما يناسب المستعار له فيها، بناء على تشبيهه بالمستعار منه.

و لابد في الاستعارة، وفي التمثيل على سبيل الاستعارة، من مراعاة جهات حسن التشبيه، كشمول وجه الشبه للطرفين ومن كون التشبيه وافياً بإفادة الغرض، ومن عدم شم رائحة التشبيه لفظاً، ويجب أن يكون وجه الشبه بين الطرفين جلياً، لئلا تصير الاستعارة والتمثيل تعمية.

تمرين على كيفية إجراء الاستعارات

١ ـ فسمونا والفجر يضحك في الشرق إلينا مبشراً بالصباح[١]

[الخفيف]

٢ ـ عضّنا الدهر بنابه ليت ما حلَّ بَنا به[٢]

[مجزوء الرمل]

٣ ـ سقاهُ الرَّدى سيف إذا سل أو مَضتْ إليه ثنايا الموت من كل مَرقدِ[٣]

٤ ـ ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾[٤]. [الرحمن: ٣١].

٥ ـ ﴿إنا لنراك في ضلال مبين﴾[٥]. [الأعراف].

---

١. شبه الفجر بإنسان يتبسم، فتظهر أسنانه مضيئه لا معة، والقدر المشترك بينهما [البريق واللمعان] واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم حذف المشبه وأشار إليه بشيء من لوازمه وهو الضحك، على طريق الاستعارة بالكناية، وإثبات الضحك استعارة تخييلية.

٢. شبه حوادث الدهر بالعض، بجامع التأثير والايلام من كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من العض وهو المصدر، عض بمعنى آلم. على سبيل الاستعارة تصريحية التبعية، وذكر الناب ترشيح.

٣. شبه لحاق الموت به [بالسق] بجامع الوصول في كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم اشتق من السق سق على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة على ذلك نسبة السق إلى الردى، وأيضاً قد شبه الموت بإنسان له ثنايا يضحك منها فتلمع وتضيء، والجامع البريق واللمعان. واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الثنايا، على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة، والثنايا استعارة تخييلية، وأومض ترشيح.

٤. شبه القصد إلى الشيء والتوجه له، بالفراغ والخلوص من الشواغل، بجامع الاهتمام في كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم اشتق من الفراغ بمعنى الخلو: نفرغ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة حالية.

٥. في كلمة «في» استعارة تصريحية تبعية، فقد شبهت «في» التي تدل على الارتباط «بفي» التي تدل على الظرفية بجامع التمكن في كل فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات فاستعيرت في من الثاني للأول على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة على ذلك كلمة الضلال.

بلاغة الاستعارة بجميع أنواعها

سبق لك أن بلاغة التشبيه آتية من ناحيتين، الأولى: طريقة تأليف ألفاظه. و الثانية: ابتكار مشبه به بعيد عن الأذهان، لا يجول إلا في نفس أديب، وهب الله له استعداداً سليماً في تعرف وجوه الشبه الدقيقة بين الأشياء وأودعه قدرة على ربط المعانى، وتوليد بعض إلى مدى بعيد لا يكاد ينتهي.

و سر بلاغة الاستعارة لا يتعدى هاتين، فبلاغتها من ناحية اللفظ أن تركيبها يدل على تناسي التشبيه، ويحملك عمداً على تخيل صورة جديدة تنسيك روعتها ما تضمنه الكلام من تشبيه خفي مستور.

انظر إلى قول البحتري في الفتح بن خاقان: [البسيط]

يسمو بكفٍّ على العافين حانية تهمي وَطرف إلى العلياء طمّاح

ألست ترى كفه: وقد تمثلت في صورة سحابة هتانة، تصب وبلها على العافين والسائلين، وأن هذه صورة قد تملكتْ عليك مشاعرك فأذهلتك عما اختبأ في الكلام من تشبيه؟

لهذا كانت الاستعارة أبلغَ من التشبيه البليغ لأنه وإن بنى على ادعاء أن المشبه والمشبه به سواء، لا يزال فيه التشبيه منوياً ملحوظاً. بخلاف الاستعارة فالتشبيه فيها منسي مجحود، ومن ذلك يظهر لك أن الاستعارة المرشحة أبلغ من الاستعارة المطلقة، وأن الاستعارة المطلقة أبلغ من الاستعارة المجردة.

أما بلاغة الاستعارة من حيث الابتكار، وروعة الخيال، وما تحدثه من أثر في نفوس سامعيها، فمجال فسيح للإبداع، وميدان لتسابق المجيدين من فرسان الكلام. انظر إلى قوله عز شأنه في وصف النار: ﴿تَكَادُ تميزُ من الغيظ كُلما ألقي فيها فوجٌ سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير﴾ [سورة الملك، الآية: ٨]. ترتسم أمامك النار في صورة مخلوق ضخم، بطاش مكفهر الوجه عابس يغلي صدره حقداً وغيظاً. (عن البلاغة الواضحة بتصرف).

الباب الثالث

في الكناية و تعريفها و أنواعها

الكنايةُ[1] لغة: ما يتكلم به الإنسان، ويريد به غيره. وهي: مصدر كنيتُ، أو كنوت

---

١. توضيح المقام: أنه إذا أطلق اللفظ، وكان المراد منه غير معناه، فلا يخلو إما: أن يكون معناه الأصلي مقصوداً أيضاً، ليكون وسيلة إلى المراد. و إما، ألا يكون مقصوداً، فالأول: الكناية، والثاني: المجاز.

فالكناية: هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له ولكن يجيء إلى معنى هو مرادفه، فيومىء به إلى المعنى الاول، ويجعله دليلاً عليه. أو الكناية: هي اللفظ الدال على ما له صلة بمعناه الوضعي، لقرينة لاتمنع من إرادة الحقيقة، كفلان نقي الثوب، أى مبرأ من العيب، وكلفظ «طويل النجاد» المراد به طول القامة، فإنه يجوز أن يراد منه طول النجاد أى علاقة السيف أيضاً، فهي تخالف المجاز من جهة إمكان إرادة المعنى الحقيقي مع إرادة لازمة.

بخلاف المجاز فإنه لايجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي لوجود القرينة المعانة من إرادته.

و مثل ذلك قولهم «كثير الرماد» يعنون به أنه كثير القرى والكرم، وقول الحضرمي: [الكامل]

قد كان تعجب بعضهن براعتي ... حتى رأين تنحنحي وسعالي

كني عن كبر السن بتوابعه، وهي التنحنح والسعال.

و قولهم: المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه، وقوله: [الكامل]

إن السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج

←

و قوله: [الوافر]

و ما يك في من عيب فإني جبان الكلب مهزول الفصيل

فإن «جبان الكلب» كناية، وكذا «مهزول الفصيل» والمراد منها ثبوت الكرم وكل واحدة على حدتها يؤدي هذا المعني، وقد جاء عن العرب كنايات كثيرة كقوله: [البسيط]

بيضُ المطابخ لاتشكو إماؤهمُ طبخ القدور ولا غسل المناديل

و يروى أن خلافاً وقع بين بعض الخلفاء نديم له في مسألة، فاتفقا على تحكيم بعض اهل العلم فأحضر، فوجد الخليفة مخطئاً، فقال: القائلون بقول امير المؤمنين أكثر (يريد الجهال) وإذا كان الرجل أحمق قيل، نعته لاينصرف، ونظر البديع الهمذاني إلى رجل طويل بارد، فقال: قد أقبل ليل الشتاء. ودخل رجل على مريض يعوده وقد اقشعر من البرد، فقال: ماتجد (فديتك) قال أجدك (يعني البرد) وإذا كان الرجل ملولاً قيل: هو من بقية قوم موسى، وإذا كان ملحداً، قيل قد عبر (يريدون جسر الإيمان) وإن كان يسيء الأدب في المؤكلة قيل تسافر يده على الخوان ويرعى أرض الجيران. ويقال عمن يكثر الأسفار: (فلان) لايضع العصا عن عاتقه، وجاء في القرآن الكريم ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾ فإنه كنى الغيبة بأكل الإنسان لحم الإنسان وهذا شديد المناسبة لأن الغيبة إنما هي ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم وتمزيق العرض مماثل لأكل الإنسان لحم من يغتابه.

و من أمثال العرب، قولهم: لبست لفلان جلد النمر، وجلد الأرقم. كناية عن العداوة، وكذلك قولهم (قلبت له ظهر المجن) كناية عن تغيير المودة، ويقول القوم: فلان بريء الساحة، إذا برؤوه من تهمة، ورحب الذراع، إذا كان كثير المعروف، وطويل الباع في الأمر، إذا كان مقتدراً فيه، وقوي الظهر، إذا كثر ناصروه. ومن ذلك أن (المنصور) كان في بستان له، أيام محاربته (إبراهيم بن عبدالله بن الحسن) فنظر إلى شجرة خلاف فقال للربيع: ماهذه الشجرة؟ فقال: طاعة يا أمير المؤمنين، فتفاءل المنصور به، وعجب من ذكائه، ومثل ذلك: أن رجلاً مر في صحن دار (الرشيد)، ومعه حزمة خيزران، فقال الرشيد للفضل بن الربيع: ما ذاك؟ فقال (عروق الرماح) يا أمير المؤمنين، وكره أن يقول «الخيزران» لموافقته اسم (والدة الرشيد) ومن كلامهم «فلان طويل الذيل»

←

بكذا، عن كذا إذا تركت التصريح به.

واصطلاحاً: لفظ أريد به غير معناهُ الذي وضعَ له، مع جوَاز إرادة المعنى الأصليّ لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته نحو: زيد طويل النجاد تريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم، فعدلت عن التصريح بهذه الصفة، إلى الإشارة إليها بشيء تترتب عليه وتلزمه، لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة، فإذاً: المراد طول قامته، وإن لم يكن له نجاد، ومع ذلك يصح أن يراد المعنى الحقيقي، ومن هنا يعلم أن الفرق بين الكناية والمجاز صحة إرادة المعنى الأصلي في الكناية، دون المجاز: فإنه ينافي ذلك.

←

يريدون أنه غني حسن الحال. وعليه قول الحريري: [البسيط]

إن الغريب الطويل الذيل ممتهن ... فكيف حال غريب ما له قوت

وكذلك قولهم: فلان طاهر الثوب، أي منزه عن السيئات، فلان دنس الثوب أي متلوث بها، قال امرؤ القيس:

ثياب بني عوف طهارى نقية ... و أوجههم عند المشاهد غرات

ويقولون: فلان غمر الرداء، إذا كان كثير المعروف عظيم العطايا. قال كثير: [الكامل]

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكاً ... غلقت لضحكته رقاب المال

ومن الكنايات اللطيفة: ما ذكرها الأدباء في الشيب والكبر، فقالوا: عرضت لفلان فترة، وعرض له ما يمحو ذنوبه. وأقر ليله. ونور غصن شبابه، وفضض الزمان أبنوسه، وجاءه النذير. وقرع ناجذ الحلم. وارتاض بلجام الدهر. وأدرك زمان الحنكة. ورفض غرة الصبا. ولبى دواعي الحجى. ومن كناياتهم عن الموت: استأثر الله به. وأسعده بجواره. ونقله إلى دار رضوانه ومحل غفرانه، واختار له النقلة من دار البوار إلى دار الأبرار. ومن الكنايات أيضاً أن يقام وصف الشيء مقام اسمه كما ورد في القرآن الكريم ﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر﴾ يعني السفينة. فوضع صفتها موضع تسميتها، كما ورد ﴿إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد﴾ يعني الخيل، وقال بعض المتقدمين: [الكامل]

سألت قتيبة عن أبيها صحبه ... في الروح هل ركب الأغر الأشقرا

يعني هل قتل، لأن الأغر الأشقر، وصف الدم فأقامه مقام اسمه.

نعم: قد تمتنع إرادة المعنى الأصلي في الكناية، لخصوص الموضوع كقوله تعالى: ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ [سورة الزمر، الآية: ٦٧] وكقوله تعالى: ﴿الرحمنُ على العرش استوى﴾ [طه: ٥] كناية عن تمام القدرة، وقوة التمكن والاستيلاء.

وتنقسم الكناية بحسب المعنى الذي تشير إليه إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ **كناية عن صفة**: كما تقول: هو ربيب أبي الهول تكني عن شدة كتمانه لسره.

وتعرف كناية الصفة بذكر الموصوف: ملفوظاً أو ملحوظاً من سياق الكلام.

٢ ـ **كناية عن موصوف**: كما تقول: أبناء النيل تكني عن المصريين ومدينة النور تكني عن باريس وتعرف بذلك الصفة مباشرة، أو ملازمة ومنها قولهم تستغني مصر عن مصب النيل ولا تستغني عن منبعه كنوا بمنبع النيل عن أرض السودان. ومنها قولهم: هو حارس على ماله كنوا به عن البخيل الذي يجمع ماله، ولا ينتفع به. ومنها قولهم: هو فتى رياضي يكنون عن القوة، وهلم جرا.

٣ ـ **كناية عن نسبة**: وسيأتي الكلام عليها فيما بعد.

فالقسم الأول: وهو الكناية التي يطلب بها صفة هي ما كان المكنى عنه فيها صفة ملازمة لموصوف مذكور في الكلام.

وهي نوعان:

أ ـ **كناية قريبة**: وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة بين المعنى المنتقل عنه، والمعنى المنتقل إليه، نحو قول الخنساء في رثاء أخيها صخر: [المتقارب]

رفيع العماد طويل النجا ... دساد عشيرته أمردا[1]

---

١ . قصدت الخنساء وصف صخر بطول القامة والشجاعة، فعدلت التصريح بما أرادت إلى الإشارة إليه بطول النجاد لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول قامة صاحبه. أو طول القامة يلزم الشجاعة غالباً، كما أرادت وصفه بالعزة والسيادة فلم تصرح بقصدها وصرحت بما يستدعي ما أرادت فقالت: (رفيع العماد) فرفعة العماد تستلزم أنه عظيم المكانة في قومه عليّ الشأن بين عشيرته، لجريان العادة بذلك. وعمدت إلى وصفه بالجود والكرم، فقالت: (كثير الرماد) تشير إلى كثرة الإيقاد للإطعام، وهذا يلزم الكرم.

ب ـ وكناية بعيدة: وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة، أو بوسائط، نحو: فلان كثير الرماد كناية عن المضياف، و الوسائط: هي الانتقال من كثرة الرماد إلى كثرة الإحراق، ومنها إلى كثرة الطبخ والخبز، ومنها إلى كثرة الضيوف، ومنها إلى المطلوب وهو المِضياف الكريم.

القسم الثاني: الكناية التي يكون المكنى عنه موصوفاً[1] بحيث يكون إما معنى واحداً كموطن الأسرار كناية عن القلب، وكما في قول الشاعر:

فلما شربناها ودَبّ دبيبها ... إلى موطن الأسرار قلتُ لها قفي

[الطويل]

وإما مجموع معان: كقولك: جاءني حيٌّ مستوي القامة، عريض الأظفار كناية عن الإنسان لاختصاص مجموع هذه الأوصاف الثلاثة به ونحو:

الضّاربين بكلِّ أبيض مخذَم ... والطاعنينَ مجامعَ الأضغان[2]

[الكامل]

ويشترط في هذه الكناية: أن تكون الصفة أو الصفات مختصة بالموصوف، ولا تتعداه ليحصل الانتقال منهاإليه.

القسم الثالث: الكناية التي يراد بها نسبة أمر لآخر، إثباتاً أو نفياً فيكون المكنى عنه نسبة، أسندت إلى ماله اتصال به، نحو قول الشاعر: [الكامل]

إنّ السماحةَ والمروءة والندى ... في قبةٍ ضربت على ابن الحشرَجِ

فإن جعل هذه الأشياء الثلاثة في مكانه المختص به يستلزم إثباتها له.

والكناية المطلوبُ به نسبةً:

---

١. أي يكون المكنى عنه فيها ذاتاً ملازمة للمعنى المفهوم من الكلام.

٢. الضاربين منصوب بأمدح المحذوف، والأبيض السيف، والمخذم بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الذال المعجمتين القاطع، والأضغان جمع ضغن وهو ما انطوى عليه الصدر من الحقد، كنى الشاعر بمجامع الأضغان عن القلوب، وهي لا كناية صفة، ولا كناية نسبة، بل هي كناية موصوف.

أ ـ إما أن يكون ذو النسبة مذكوراً فيها، كقول الشاعر: [مجزوء الكامل]

اليُمْـــــنُ يـــــتبعُ ظـــله والمجـــدُ يمـــشي في ركـــابه

ب ـ وإما أن يكون ذو النسبة غير مذكور فيها: كقولك: خير الناس من ينفع النـاس، كناية عن نفي الخيرية عمن لا ينفعهم.

وتقسيم الكناية أيضاً باعتبار الوسائط (اللوازم) والسياق: إلى أربعة أقسام: تـعريض وتلويح، ورمز، وإيماء.

١ ـ **فالتعريض**: لغة خلاف التصريح. واصطلاحاً: هو أن يطلق الكلام، ويُشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق نحو: قولك للمؤذي (المسلمُ منْ سلمَ المسلمونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ) تعريضاً بنفي صفة الإسلام عن المؤذي وكقول الشاعر: [الطويل]

إذا الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى فلا الحمدُ مكسـوباً ولا المـالُ بـاقيا

٢ ـ **والتلويح**: لغة: أن تشير إلى غيركَ من بعدٍ. واصطلاحاً: هو الذي كثرت وسائط بلا تعريض نحو: [الوافر]

ومـا يكُ فيَّ مـن عـيبٍ فـإني جـبَانُ الكـلب مـهزولُ الفـصيل

كنى عن كرم الممدوح بكونه جبان الكـلب، مـهزول الفـصيل، فـإنَّ الفكـر يـنتقل إلى جملة وسائط.

٣ ـ **والرمز**: لغة: أن تشير إلى قريب منك خفيةً، بنحو: شفة، أو حاجب. واصطلاحاً: هو الذي قلت وسائطه، مع خفاء في اللزوم بلا تعريض نحو فلان عريضُ القـفا، أو عـريض الوسادة كناية عن بلادته وبلاهته، ونحو: هو مُكتنز اللحم كناية عن شجاعته، ومتناسب الأعضاء كناية عن ذكائه ونحو: غليظ الكبد كناية عن القسوة وهلم جرا.

٤ ـ **والإيماء أو الإشارة**: هو الذي قلت وسائطه، مع وضوح اللزوم، بلا تعريض، كقول الشاعر: [الكامل]

أَو مـــا رَأيتَ المجـدَ ألقى رحـله في آلِ طـــلحةَ ثمَّ لم يَـــتحول

كناية عن كونهم: أمجاداً أجواداً، بغاية الوضوح.

و من لطيف ذلك قول بعضهم: [الطويل]

سألتُ الندَى والجُود ما لي أراكما ... تبدَّلتما ذلاً بعز مؤبدِ
وما بالُ رُكن المجد أمسى مهدَّماً ... فقالا، أُصبنَا بابن يحيى محمدِ
فقلتُ: فهلا متما عند موتِهِ ... فقدْ كنتما عبدَيهِ في كل مَشْهدِ
فقالا: أقمنَا كي نعزَّى بفقده ... مسافة يومٍ ثم نتلوهُ في غدِ

والكناية من ألطف أساليب البلاغة وأدقها، وهي أبلغ من الحقيقة والتصريح، لأن الانتقال فيها يكون من الملزوم إلى اللازم فهو كالدعوى ببينة. فكأنك تقول في زيد كثير الرماد زيد كريم، لأنه كثير الرماد وكثرته تستلزم كذا الخ، كيف لا وأنها تمكن الإنسان من التعبير عن أمور كثيرة، يتحاشى الإفصاح بذكرها، إما احتراماً للمخاطب أو للإبهام على السامعين، أو للنيل من خصمه، دون أن يدع له سبيلاً عليه، أو لتنزيه الأذن عما تنبو عن سماعه ونحو ذلك من الأغراض واللطائف البلاغية.

تمرين

بين أنواع الكنايات الآتية، وعين لازم معنى كل منها.

١ ـ قال البحتري يصف قتلَهُ ذئباً: [الطويل]

فأتبعتها أُخرَى فأضللت نَصْلها ... بحيث يكون اللبُّ والرُّعبُ والحقد[1]

---

١. ضمير أتبعتها يعود على الطعنة. وأضللت أخفيت، والنصل حديدة السيف واللب العقل، والرعب الفزع والخوف.

واعلم أن الكناية: إما حسنة، وهي ما جمعت بين الفائدة ولطف الإشارة كما في الأمثلة السابقة.

وإما قبيحة، هي ما خلت عن الفائدة المرادة، وهي معيبة لدى أرباب البيان كقول المتنبي:

إني على شغفي بما في خمرها ... لأعف عما في سراويلاتها

كناية عن النزاهة والعفة. إلا أنها قبيحة لسوء تأليفها وقبح تركيبها.

٢ ـ وقال آخر في رثاء من مات بعلةٍ في صدره:

و دبت لهُ في مـوطن الحـلم عـلةٌ لهَـا كـالصلالِ الرقش شر دَبـيبِ[١]

[الطويل]

تمرين آخر

بين أنواع الكنايات الآتية، وبين منها ما يصح فيه إرادة المعنى المفهوم من صريح اللفظ، وما لا يصح:

١ ـ وصف أعرابي رجلاً بسوء العشرة فقال: كان إذا رآني قربَ منْ حاجب حاجباً.

٢ ـ وقال أبو نواس في المديح:

فمَـا جـازَهُ جـودٌ ولا حـلّ دونـهُ ولكـنْ يسير الجـودُ حـيثُ يسير

[الطويل]

٣ ـ فـتى مختصرُ المأكـول و المـشروب والعـطْرِ

نـقيُّ الكأس والقـصـعة والمـنديل والقـدر

[المزج]

٤ ـ اليمـن يـتبع ظـلهُ والمجـد يمـشي في ركـابه

[مجزوء الكامل]

٥ ـ أصبح في قيدك السماحة والمجدُ وفـضلُ الصـلاح والحسب

[المنسرح]

٦ ـ فلسنا على الأعقاب تدْمى كلومنا ولكن على أقـدامـنا تـقطُر الدمـا[٢]

[الطويل]

المجدُ بين ثوبيك. والكرم مِلءُ برديك.

---

١. الصلال جمع صل بالكسر ضرب من الحيات صغير أسود لانجاة من لدغته والرقش جمع رقشاء، وهي التي فيها نقط سوداء في بياض، والحية الرقشاء من أشد الحيات إيذاء.

٢. الأعقاب جمع عقب وهو مؤخر القدم، والكلوم الجراح، يقول: نحن لا نولي فنجرح في ظهورنا فتقطر دماء كلومنا على أعقابنا، ولكنا نستقبل السيوف بوجوهنا، فإن جرحنا قطرت الدماء على أقدامنا.

بلاغة الكناية

الكناية مَظهرٌ من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، وصفت قريحته، والسرُّ في بلاغتها أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة، مصحوبة بدليلها، والقضية وفي طيها برْهانها، كقول البحتري في المديح: [الطويل]

يغضُّون فضل اللحظ من حيث ما بدا لهمْ عن مهيب في الصدور محبب

فإنه كنى عن إكبار الناس للممدوح، وهيبتهم إياه، بغض الأبصار الذي هو في الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال، وتظهر هذه الخاصة جلية في الكنايات عن الصفة والنسبة.

ومن أسباب بلاغة الكنايات أنها تضع لك المعاني في صورة المحسوسات ولا شك أن هذه خاصة الفنون، فإن المصور إذا رسم لك صورة للأمل أو لليأس، بهرَكَ وجعلك ترى ما كنت تعجز عن التعبير عنه واضحاً ملموساً.

فمثل كثير الرماد في الكناية عن الكرم. ورسول الشر، في الكناية عن المزاح.

وقول البحتري: [الكامل]

أو ما رأيتَ المجْدَ ألقى رحله في آل طلحة ثم لم يتحوَّلِ

وذلك في الكناية عن نسبة الشرف إلى آل طلحة. كل أولئك يبرزلك المعاني في صورة تشاهدها وترتاح نفسك إليها.

ومن خواص الكناية: أنها تمكنك من أن تَشْفي غلتك من خصمك من غير أن تجعل له إليك سبيلاً، ودون أن تخدش وجه الأدب، وهذا النوع يسمى بالتعريض. ومثاله قول المتنبي في قصيدة، يمدح بها كافوراً ويعرض بسيف الدولة: [الطويل]

رَحلْتُ فكم باك بأجفان شادن عليَّ وكم باك بأجفان ضيغم[١]
وما رَبة القُرط المليح مكانهُ بأجزع من رب الحسام المصمم[٢]
فلو كان ما بي منْ حبيبٍ مقنع عذرتُ ولكنْ من حبيب معمَّمِ
رَمى واتقى رمْيي و من دون ما اتقى هوى كاسرٌ كفي وقوسي وأسهمي
إذا ساء فعلُ المرء ساءت ظنونهُ وصدق ما يعتاده من توهم

فأنه كنى عن سيف الدولة، أولاً: بالحبيب المعمم، ثم وصفه بالغدر الذي يدعي أنه من شيمة النساء، ثم لامه على مبادهته بالعدوان، ثم رماه بالجبن لأنه يرمي ويتقي الرمي بالاستتار خلف غيره، على أن المتنبي لا يجازيه على الشر بمثله، لأنه لايزال يحمل له بين جوانحه هوى قديماً، يكسر كفه وقوسه، وأسهمه، إذا حاول النضال، ثم وصفه بأنه سيىء الظن بأصدقائه لأنه سيىء الفعل، كثير الأوهام والظنون، حتى ليظن أن الناس جميعاً مثله في سوء الفعل، وضعف الوفاء، فانظر كيف نال المتنبي من سيف الدولة هذا النيل كله، من غير أن يذكر من اسمه حرفاً.

هذا، ومن أوضح مميزات الكناية التعبير عن القبيح بماتسيغ الآذان سماعه، وأمثلة ذلك كثيرة جداً في القرآن الكريم، وكلام العرب فقد كانوا لا يعبرون عما لا يحسن ذكره إلا بالكناية، وكانوا لشدة نخوتهم يكنون عن المرأة بالبيضة والشاة.

ومن بدائع الكنايات قول بعض العرب:

ألا يا نخلة منْ ذاتِ عرْقٍ عليك ورحمةالله السلامُ[٣]

[الوافر]

فإنه كنى بالنخلة، عن المرأة التي يحبها.

---

١. الشادن ولد الغزال، والضيغم الأسد، أراد بالباكي بأجفان الشادن المرأة الحسناء، وبالباكي بأجفان الضيغم الرجل الشجاع. يقول كم من نساء ورجال بكوا على فراقي، وجزعوا لارتحالي.

٢. القرط ما يعلق في حمة الأذن، والحسام السيف القاطع، والمصمم الذي يصيب المفاصل ويقطعها، يقول لم تكن المرأة الحسناء بأجزع على فراقي من الرجل الشجاع.

٣. ذات عرق موضع بالبادية وهو مكان إحرام أهل العراق.

أثر علم البيان في تأدية المعاني

ظهر لك من دراسة علم البيان: أن معنى واحداً يستطاع أداؤه بأساليب عديدة وطرائق مختلفه، وأنه قد يوضع في صورة رائعة من صور التشبيه أو الاستعارة، أو المجاز المرسل، أو المجاز العقلي، أو الكناية، فقد يصف الشاعر إنساناً بالكرم، فيقول: [المتقارب]:

يريد الملوكُ مدىَ جعْفَر ... ولا يصنعونَ كما يصنعُ

وليسَ بأوسعهم في الغنى ... ولكنَّ معروفه أوْسعُ

و هذا كلام بليغ جداً، مع أنه لم يقصد فيه إلى تشبيه أو مجاز، وقد وصف الشاعر فيه ممدوحه بالكرم، وأن الملوك يريدون أن يبلغوا منزلته ولكنهم لا يشترون الحمد بالمال كما يفعل، مع أنه ليس بأغنى منهم، ولا بأكثر مالاً.

وقد يعتمد الشاعر عند الوصف بالكرم إلى أسلوب آخر، فيقول: [الكامل]

كالبحر يقذفُ للقريب جواهراً ... جوداً ويبعثُ للبعيدِ سحائباً

فيشبه الممدوح: بالبحر، ويدفع بخيالك إلى أن يضاهي بين الممدوح والبحر الذي يقذفُ الدرر للقريب، ويرسل السحائب للبعيد، أو يقول: [الطويل]

هو البحرُ منْ أيِّ النواحي أتيتهُ ... فلجته المعروفُ والجودُ ساحله

فيدعي أنه البحر نفسه، وينكر التشبيه نكراناً يدل على المبالغة، وادعاء المماثلة الكاملة، أو يقول: [البسيط]

علا فما يستقر المالُ في يده ... وكيف تمسك ماءً قنةُ الجبلِ؟

فيرسل إليك التشبيه: من طريق خفي، ليرتفع الكلام إلى مرتبة أعلى في البلاغة وليجعل لك من التشبيه الضمني دليلاً على دعواه، فإنه ادعى: أنه لعلوّ منزلته ينحدر المال من يديه، وأقام على ذلك برهاناً. فقال وكيف تمسك ماءً قُنّةُ الجبل أو يقول: [الطويل]

جرَى النهرُ حتى خلته منك أنعُماً تساق بلا ضنٍّ وتعطَى بلا منٍّ[1]

فيقلب التشبيه زيادة في المبالغة، وافتناناً في أساليب الإجادة. ويشبه ماء النهر بنعم الممدوح، بعد أن كان المألوف، أن تشبه النعم، بالنهر الفياض أو يقول: [البسيط]

كأنه حين يعطي المالَ مبتسماً صوْبُ الغمامة تهمي وهْيَ تأتلقُ[2]

فيعمد إلى التشبيه المركب، ويعطيك صورة رائعة، تمثل لك حالة الممدوح وهو يجود، وابتسامة السرور تعلو شفتيه، أو يقول: [البسيط]

جادَتْ يد الفتح والأنداءُ باخلةٌ وذاب نائلهُ والغيثُ قدْ جمدَا

فيضاهي بين جود الممدوح والمطر، ويدعي أنَّ كرم ممدوحه لا ينقطع، إذا انقطعت الانداء، أو جمد المطر، أو يقول: [الكامل]

قدْ قلتُ لِلغيْمِ الرُّكَامِ وَلجَّ في إسراقِهِ وألَحَّ في إرعادِهِ[3]
لا تَعْرِضَنَّ لجعفرٍ مُتَشَبِّهاً بسَنَدَى يَدَيْهِ فلست من أندادِهِ

فيصرح لك في جلاء، وفي غير خشية بتفضيل جود صاحبه على جود الغيم، ولا يكتفي بهذا، بل تراه يَنْهى السَّحاب في صورة تهديد أن يُحاول التشبه بممدوحه؛ لأنه ليس من أمثاله ونظائره، أو يقول: [الطويل]

وأقْبلَ يمشِي في البِسَاط فما دَرى إلى البَحْر يَسْعَى أم إلى البَدْر يَرْتَقِي

---

١. الضن البخل، والمن الامتنان بتعداد الصنائع.

٢. تهمي تسيل، وتأتلق تلمع.

٣. الغيم الركام المتراكم. لجَّ وألحَّ كلاهما بمعنى استمر.

يصف حال رسول الروم داخلاً على سيف الدولة، فَيَنْزَع في وصف الممدوح بالكرم، إلى الاستعارة التصريحية، والاستعارة كما علمت مبنية على تناسي التشبيه، والمبالغة فيها أعظم، وأثرها في النفوس أبلغ، أو يقول: [الطويل]

دَعــوتُ نَــدَاهُ دعــوةً فأجــابَنِي و عَــلَّمني إحســانُهُ كَــيْفَ آمُـلهْ

فيُشَبِّه نَدى ممدوحه وإحسانه بإنسان ثم يحذف المشبه به، ويرمز إليه بشيء من لوازمه، وهذا ضربٌ آخر من ضروب المبالغة التي تساق الاستعارة لأجلها، أو يقول: [الطويل]

و مَنْ قَصَدَ البحر اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا

فيرسل العبارة كأنَّها مَثلٌ، ويصوِّر لك أنَّ من قصد ممدوحه استغنى عمَّن هو دونه، كما أنَّ قاصد البحر لا يأبه للجداول، فيعطيك استعارة تمثيلية، لها روعة، وفيها جمال، وهي فوق ذلك تحمل برهاناً على صدق دعواه، وتؤيِّد الحال الذي يَدَّعيها، أو يقول: [البسيط]

مـا زلْت تـتبعُ مـا تُـولي يَـداً بِـيَدٍ حـتى ظَـنَنْتُ حَـيَاتي مِـنْ أَيَـادِيكا

فيعدل عن التشبيه والاستعارة، إلى المجاز المرسل ويطلق كلمة يد ويريد بها النعمة؛ لأن اليد آلة النعم وسببها، أو يقول: [البسيط]

أعَــادَ يَــوْمُكَ أيــامِي لِنَضْرَتِهَا واقْتَصَّ جودُك مِنْ فَقرِي وإعْسَاري

فيسند الفعل إلى اليوم، وإلى الجود، على طريقة المجاز العقلي، أو يقول: [الطويل]

فــا جَــازَهُ جُـودٌ ولا حَـلَّ دُونَـه ولكـن يَسِـير الجـود حـيث يسـير

فيأتي بكناية عن نسبة الكرم إليه، بادِّعاء أنَّ الجود يسير معه دائماً؛ لأنه بَدَل أن يحكم بأنه كريم، ادّعى أن الكرم يسير معه أين ما سار.

ولهذه الكناية من البلاغة، والتأثير في النفس، وحسن تصوير المعنى، فوق ما يجده السَّامع في غيرها من بعض ضروب الكلام. فأنت ترى أنه من المستطاع التعبير عن وصف إنسان بالكرم بأربعة عشر أسلوباً كلٌّ: له جماله، وحُسْنه، وبَراعتُه، ولو نشاء لأتينا

بأساليب كثيرة أخرى في هذا المعنى؛ فإن للشعراء ورجال الأدب افتناناً وتوليداً للأساليب والمعاني، لا يكاد ينتهي إلى حد، ولو أردنا لأوردنا لك مايقال من الأساليب المختلفة المَنَاحِي في صفات أخرى، كالشجاعة، والإباء، والحزم وغيرها، ولكنَّا لم نَقْصِد إلى الإطالة، ونعتقد أنك عند قراءتك الشعر العربيّ والآثار الأدبية، ستجد بنفسك هذا ظاهراً وسَتَدْهَش للمَدَى البعيدِ الذي وصل إليه العقل الإنساني في التصوير البلاغيّ، والإبداع في صوغ الأساليب (عن البلاغة الواضحة بتصرف).

علم البديع

البديع، لغة: المُخْتَرع المُوجَدُ على غير مِثَال سابق. وهو مأخوذ ومُشْتَقٌّ من قولهم: بَدَع الشيء وأبْدَعه، اخترعَه لا عَلَى مِثال[1].

و اصطلاحاً: هو علم يُعْرف به الوجوه[2] والمزايا التي تزيد الكلام حسْناً وطلاوة،

---

١. البديع فعيل بمعنى مفعل، أو بمعنى مفعول، ويأتي البديع بمعنى اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿بديع السموات والأرض﴾ أي مبدعها.

٢. وجوه التحسين أساليب وطرق معلومة وضعت لتزيين الكلام وتنميقه. وتحسين الكلام بعلمي المعاني والبيان «ذاتي» وتحسين الكلام بعلم البديع «عرضي»

ووجوه التحسين: إما معنوية، وإما لفظية، وأدخل المتأخرون فيهما أنواعاً كثيرة.

فالبديع المعنوي هو الذي وجبت فيه رعاية المعنى دون اللفظ، فيبقى مع تغيير الألفاظ. كقوله: [الوافر]

أتطلب صاحباً لا عيب فيه ... وأنت لكل ما تهوى ركوب

ففي هذا القول ضربان من البديع (هما الاستفهام والمقابلة) لا يتغيران بتبدل الألفاظ، كما لو قلت مثلاً: كيف تطلب صديقاً منزهاً عن كل نقص، مع أنك أنت نفسك ساع وراء شهواتك!

والبديع اللفظي: هو ما رجعت وجوه تحسينه إلى اللفظ دون المعنى، فلا يبقى الشكل إذا تغير اللفظ، كقوله: [المتقارب]

إذا ملك لم يكن ذاهبه ... فدعه فدولته ذاهبه

فإنك إذا أبدلت لفظة (ذاهبة) بغيرها ولو بمعناها يسقط الشكل البديعي بسقوطها.

وملخص القول أن المحسنات المعنوية هي ما كان التحسين بها راجعاً إلى المعنى أولاً وبالذات، وان حسنت اللفظ تبعاً، والمحسنات اللفظية هي ما كان التحسين بها راجعاً إلى اللفظ بالأصالة، وإن حسنت المعنى تبعاً.

وقد أجمع العلماء: على أن هذه المحسنات خصوصاً اللفظية منها، لا تقع موقعها من الحسن، إلا إذا طلبها المعنى، فجاءها عفواً بدون تكليف، وإلا فهي مبتذلة.

وتكسوه بهاءً ورونقاً، بعدَ مُطابقته لمقتضى الحال. مع وُضوح دلالته على المراد لفظاً ومعنى.

وواضعه عبدالله بن المعتز العبَّاسي المتوفى سنة ٢٧٤ هجرية. ثم اقتفى أثره فى عصره قُدَامة بن جعفر الكاتب فزاد عليها. ثم ألّف فيه كثيرون كأبي هلال العَسْكرِي وابن رشيق القِيرَوَاني، وصفِيّ الدين الحِلّي، وابن حِجَّة الحموي، وغيرهم ممَّن زَادُوا في أنواعه، ونظموا فيها قصائد تُعرف (بالبديعيَّات).

وفي هذا العلم بابان: وخاتمة.

الباب الأول

في المحسنات المعنوية

(١) التورية[١]

---

١ ـ التورية أن يطلق لفظ له معنيان: أحدهما قريب غير مراد، والآخر بعيد هو المراد، ويدل عليه بقرينة يغلب أن تكون خفية لا يدركها إلا الفطن.

و تنقسم التورية إلى أربعة أقسام، مجردة، مرشحة، ومبينة، ومهيأة.

١ ـ فالمجردة، هي التي لم تقترن بما يلائم المعنيين: كقول الخليل لما سأله الجبار عن زوجته، فقال «هذه أختي»، أراد أخوة الدين، وكقوله: ﴿و هو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾.

٢ ـ المرشحة، هي التي اقترنت بما يلائم المعنى القريب، وسميت بذلك لتقويتها به، لأن القريب غير مراد، فكأنه ضعيف، فإذا ذكر لازمه تقوى به نحو ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ فإنه يحتمل (الجارحة) وهو القريب، وقد ذكر من لوازمه البنيان على وجه الترشيح. ويحتمل (القدرة) وهو البعيد المقصود، وهي قسمان باعتبار ذكر اللازم قبلها أو بعدها.

٣ ـ والمبينة هي ما ذكر فيها لازم المعنى البعيد، سميت بذلك لتبيين المورى عنه بذكر لازمه، إذ كان قبل ذلك خفياً، فلما ذكر لازمه تبين، نحو: [الكامل]

يـــا مـــن رآني بسالهموم مـــطوقا ... وظللت من فقدي غصوناً فيّ شجون

أتـــلومني في عـــظم نـوحي والبكـا ... شن المطوق أن يـنوح عـلى غصون

وهي أيضاً قسمان باعتبار ذكر اللازم قبل أو بعد.

التَّورية: لغة: مصدر ورّيت الخبر تورية: إذا سترتَه وأظهرتَ غيره. واصطلاحاً: هي أن يذكُرَ المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان؛ أحدهما قريب غير مقصود ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد مقصود، ودلالةُ اللفظ عليه خَفِيَّةٌ، فيتوهَّم السَّامع: أنه يُريد المعنَى القريب، وهو إنَّما يُريد المعنى البعيد بقرينة تشيرُ إليه ولا تُظهره، وتستره عن غير المتيقظ الفطِن، كقوله تعالى:﴿وَهُوَ الذي يَتَوَفَّاكُم بالليْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بالنَّهَارِ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٦٠] أراد بقوله جرحتم معناه البعيد، وهو ارتكاب الذنوب، ولأجل هذا سُمِّيت التَّورية إيهاماً وتخييلاً وكقول سراج الدين الورَّاق: [الوافر]

أَصونُ أديمَ وجهي عن أُناس ... لقاءُ الموتِ عندهم الأديبُ
ورَبُّ الشِّعر عندهُمُ بغيضٌ ... ولو وافى به لهُمُ «حبيبُ»

وكقوله: [مجزوء الكامل]

أبياتُ شعرك كالقصـ ... ـور ولا قصور بها يعوق
ومن العجائب لفظُها ... حُرٌّ ومعناها «رقيق»

←

٤ ـ المهيأة، هي التي لا تقطع التورية فيها إلا بلفظ قبلها أو بعدها، فهي قسمان أيضاً.

فالأول: وهو ما تهيأ بلفظ قبل، نحو قوله: [الطويل]

وأظهرت فينا من سماتك سنة ... فأظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب

فالفرض والندب معناهما القريب الحكمان الشرعيان.

والبعيد: الفرض، معناه العطاء. والندب، معناه الرجل السريع في قضاء الحوائج ، ولولا ذكر السنة لما تهيأت التورية ولا فهم الحكمان.

والثاني: وهو ما تهيأت بلفظ بعد: كقول الإمام عليعليه السلام في الأشعث بن قيس: إنه كان يحرك الشمال باليمين فالشمال معناها القريب ضد اليمين، والبعيد جمع شملة، ولو ذكر اليمين بعده لما فهم السامع معنى اليد الذي به التورية.

وكقوله : [الطويل]

بِرَغم شَبيبٍ فارقِ السيفُ كفَّه وكانا على العِلاّت يَصطحبان
كأنَّ رِقابَ الناس قالت لسيفه رفيقك قَيْسِيٌّ وأنْتَ يَماني[1]

(٢) الاستخدام

الاسْتِخْدام: هو ذكرُ لفظ مُشترك بين معنيين، يُراد به أحدهما، ثم يُعاد عليه ضمير، أو إشارة، بمعناه الآخر، أو يُعاد عليه ضميران يُراد بثانيهما غيرُ ما يُراد بأوّلهما.

فالأول: كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] أريدَ أوّلاً بالشهر الهلال ثم أُعِيدَ عليه الضميرُ أخيراً بمعنى أيام رمضان. وكقول مُعاوية بن مالك: [الوافر]

إذا نزل السَّماء بأرض قوم رَعيناهُ وإن كانوا غِضَابا

أراد بالسماء المطر وبضميره في رعيناه النَّبات[2]، وكلاهما معنى مجازي للسماء.

---

١ . يريد أن كف شبيب وسيفه متنافران، لا يجتمعان، لأن شبيباً كان قيسياً والسيف يقال له: «يماني» فورى به عن الرجل المنسوب إلى اليمن ومعلوم ما بين قيس واليمن من التنافر فظاهر قوله «يماني» أنه رجل منسوب إلى اليمن، ومراده البعيد الدلالة على السيف، لأن كلمة يماني من أسمائه.

٢ . ملخص الاستخدام: هو أن يؤتى بلفظ له معنيان، فيراد به أحدهما. ثم يراد بضميره المعنى الآخر،كقول الشاعر: [البسيط]

وللغزالة شيء من تلفته ونورها من ضيا خديه مكتسب

أراد الشاعر: بالغزالة الحيوان المعروف وبضمير «نورها» الغزالة بمعنى الشمس وكقوله: [البسيط]

رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره متيم لج في الأشواق خاطره

وكقوله: [الطويل]

إذا لم أبرقع بالحيا وجه عفتي فلا أشبهته راحتي بالتكوم
ولا كنت ممن يكسر الجفن بالوغى أذا أنا لم أغضضه عن رأي مخرم

والثاني: كقول البحتري [الكامل]

فسقى الغضا والسَّاكنيه وإن هُمُ شبُّوهُ بين جوانحي وضلوعي

الغضا: شجر بالبادية، وضمير ساكنيه أولاً راجع إلى الغضا، باعتبار المكان وضمير شبوه عائد ثانياً إلى الغضا بمعنى النار الحاصلة من شجر الغضا، وكلاهما مجاز للغضا.

(٣) الاستطراد

الاستطراد: هو أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى غرض آخر لمناسبة بينهما، ثم يرجع فينتقل إلى إتمام الكلام الأول، كقول السموأل: [الطويل]

وإنا لقومٌ لا نرى القتل سبة إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ

يقرِّب حب الموت آجالنا لنا وتكرهُ آجالهمْ فتطولُ

فسياق القصيدة، للفخر بقومه، وانتقل منه إلى هجو قبيلتي عامر وسلول ثم عاد إلى مقامه الأول، وهو الفخر بقومه، وكقوله: [البسيط]

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة فإن تسلت أسلناها على الأسل

لا ينزلُ المجد إلا في منازلنا كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

→

وقال الآخر في الدعاء، أقر الله عين الأمير وكفاه شرها. وأجرى له عذبها وأكثر لديه تبرها، وكقول الشاعر: [الوافر]

رحلتم بالغداة فبت شوقاً أسائل عنكم في كل ناد

أراعي النجم في سيري إليكم ويرعاه من البيدا جوادي

(٤) الافتنان

الافتنان: هو الجمع بين فنَّين مختلفين، كالغزل، والحماسة، والمدح، والهجاء والتعزية والتهنئة، كقول رجل، جامعاً بين التعزية والتهنئة، حين دخل على ولد سلطان وقد مات ابوه، وخلفه هو في الملك:

«آجرك الله على الرَّزية، وبارك لك في العطية، وأعانك على الرعية فقد رُزئتَ عظيماً، وأعطيت جسيماً، فاشكر الله على ما أعطيت، واصبر على ما رزيت، فقد فقدت الخليفة وأعطيتَ الخلافة ففارقتَ خليلاً ووهبت جليلاً.

وكقول عنترة يخاطب عبلة: [الطويل]

ولقد ذكرتك والرماح نواهلٌ ... مني وبيضُ الهند تقطر من دمي

فوددتُ تقبيل السيوف لأنها ... لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(٥) الطباق(١)

الطباق: هو الجمع بين لفظين مُقابلين في المعنى. وهما قد يكونان اسمين، نحو: قوله تعالى: ﴿هو الأولُ والآخرُ والظاهر والباطن﴾ [سورة الحديد، الآية: ٣]. وكقوله تعالى: ﴿وتحسبهمْ أيقاظاً وَهُمْ رُقود﴾ [سورة الكهف، الآية: ١٨].

---

١ . ويسمى بالمطابقة: وبالتضاد. وبالتطبيق. وبالتكافؤ. وبالتطابق، وهو أن يجمع المتكلم في كلامه بين لفظين، يتنافى وجود معناهما معاً في شيء واحد، في وقت واحد، بحيث، يجمع المتكلم في الكلام بين معنيين متقابلين، سواء أكان ذلك التقابل: تقابل الضدين، أو النقيضين، أو الإيجاب والسلب، أو التضايف.

أو فعلين، نحو: قوله تعالى: ﴿وأنه هوَ أضحكَ وأبكى وأنه هو أمَات وأحيَا﴾ [سورة النجم، الآية: ٤٤] وكقوله تعالى: ﴿ثم لا يموت فيها ولا يحيا﴾ [سورة الأعلى، الآية: ١٣].

أو حرفين: نحو قوله تعالى: ﴿ولهنَّ مثلُ الذِي عليهنّ بالمعروفِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٢٨].

أو مختلفين: نحو قوله تعالى: ﴿و منْ يضللِ الله فَا لَهُ منْ هَاد﴾ [سورة الرعد، الآية: ٣٣][1].

ونحو قوله تعالى: ﴿أو منْ كان ميْتاً فأحييناه﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٢٢].

فيكون تقابل المعنيين وتخالفهما مما يزيد الكلام حسناً وطرافة.

---

١. والطباق ضربان:

أحدهما طباق الإيجاب: وهو مالم يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً نحو ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك من تشاء وتعز ممّن تشاء وتذل من تشاء﴾. وكقوله: [الكامل]

حلو الشمائل وهو مر باسل ... يحمي الذمار ضبيحة الإرهاق

وثانيهما طباق السلب: وهو ما اختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً بحيث يجمع بين فعلين من مصدر واحد، أحدهما مثبت مرة، والآخر ينفى تارة أخرى في كلام واحد نحو ﴿يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله﴾ ونحو ﴿لا يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ ﴿وقل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون﴾.

أو أحدهما أمر، والآخر نهي نحو ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا دونه أولياء﴾ ونحو ﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾.

و ملخص الطباق الذي هو الجمع بين معنيين متقابلين في كلام واحد، وهو نوعان:

١ ـ طباق سلب، وهو أن يجمع بين فعلين، من مصدر واحد، أحدهما مثبت، والآخر منفي، وأحدهما أمر والآخر نهي.

٢ ـ طباق الإيجاب، وهو ما كان تقابل المعنيين فيه بالتضاد. ويلحق بالطباق، ما بني على المضادة، تأويلاً في المعنى، نحو ﴿يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ فإن التعذيب لا يقابل المغفرة صريحاً لكن على تأويل كونه صادراً عن المؤاخذة التي هي ضد المغفرة. أو تخييلاً في اللفظ باعتبار أصل معناه نحو ﴿من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير﴾ أي يقوده فلا يقابل الضلالة بهذا الاعتبار ولكن لفظه يقابلها في أصل معناه. وهذا يقال له: «إيهام التضاد».

(٦) المقابلة

المقابلة: هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معَان متوافقةٍ، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، كقوله تعالى: ﴿فأما منْ أعطى وأتقى وصدق بالحسنى فسنيسرُهُ لليسرى، وأما من بخلَ واستغنى وكذبَ بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾ [سورةالليل، ٥ ـ ١٠] وكقوله تعالى: ﴿يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ويُحَرِّمُ عَلَيْهِم الخَبَائِثَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧] وقال عليه الصلاة والسلام للأنصار: «إنكم لتكثرون عند الفَزَع وتقِلُّون عند الطّمع» وقال خالد بن صفوان يَصِف رجلاً: ليس له صديق في السرّ ولاعدوٌّ في العلانية وكقوله: [الطويل]

فتى كان فيه ما يسرّ صديقه ... ولكنَّ فيه ما يسوء الأعاديا

وكقوله: [الطويل]

وباسطُ خيرٍ فيكُم بيمينه ... وقابضُ شرٍّ عنكُم بشماله

وكقوله: [البسيط]

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا ... وأقبحَ الكُفْر والإفلاسَ بالرجل

وكقوله: [البسيط]

يا أُمَّة كان قُبح الجُور يسخطها ... دهراً فأصبح حُسْنُ العدل يرضيها

(٧) مراعاة النظير(١)

مراعاة النظير: هي الجمع بين أمرين، أو أمور متناسبة، لا على جهة التضاد، وذلك إما بين اثنين، نحو قوله تعالى: ﴿وهو السميعُ البصيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وإما بين أكثر، نحو قوله تعالى: ﴿أولئِكَ الذين اشتروا الضلالة بالهدَى فما ربحت تجارتهمْ﴾ [البقرة: ١٦].

---

١. وتسمى بالتناسب والتوافق. والائتلاف.

ويلحق بمراعاة النظير، ما بني على المناسبة في المعنى بين طرفي الكلام يعني: أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى، نحو: قوله تعالى: ﴿لا تدْرِكه الأبصَار وَهُوَ يُدرِك الأبْصَار وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. فإن اللطيف يناسب عدم إدراك الأبصار له، والخبير يناسب إدراكه سبحانه وتعالى للأبصار. وما بني على المناسبة في اللفظ باعتبار معنى له غير المعنى المقصود في العبارة، نحو قوله تعالى: ﴿الشَّمسُ والقمَرُ بحسبَانٍ والنجمُ والشجرُ يسجدانِ﴾ [الرحمن: ٥ ـ ٦].

فإن المراد بالنجم هنا النبات، فلا يناسب الشمس والقمر ولكن لفظه يناسبهما باعتبار دلالته على الكواكب؛ وهذا يقال له: إيهام التناسب

(٨) الإرصاد

الإرصاد: هو أن يذكر قبل الفاصلة من الفقرة، أو القافية، من البيت ما يدل عليها إذا عرف الرّوِيّ نحو: قوله تعالى: ﴿وسبِّح بحمْدِ ربكَ قبلَ طلوعِ الشمس وقبلَ الغروبِ﴾ [سورة ق، الآية: ٣٩]. ونحو: قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [العنكبوت: ٤٠][1] وكقول الشاعر: [الطويل]

أحلت دمي من غير جُرم وحرَّمتْ ... بلا سبب عند اللقاء كلامي

فليس الذي حَللته بمحللٍ ... وليس الذي حرَّمته بحرام

---

١ . فالسامع: إذا وقف على قوله تعالى: ﴿قبل طلوع الشمس﴾ بعد الإحاطة بما تقدم، علم أنه «وقبل الغروب». وكذا البصير بمعاني الشعر وتأليفه، اذا سمع المصرع الأول «أحلت دمي. الخ» علم أن العجز «وحرمت، الخ» ليس إلا ما قاله الشاعر.

و نحو:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزْه إلى ما تستطيع

[الوافر]

وقد يستغنى عن معرفة الرويِّ، نحو قوله تعالى: ﴿ولكلّ أمّة أجلٌ إذَا جاءَ أجَلهُمْ لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ [الأعراف: ٣٤].

(٩) الإدماج

الإدماج: هو أنْ يُضمَّن كلامٌ قد سيق لمعنى، معنى آخر، لم يصرحْ به، كقول المتنبي [الوافر]

أقلِّبُ فيه أجفاني كأني أعد بها على الدهر الذنوبا

ساق الشاعر: هذا الكلامَ أصالة لبيان طول الليل، وأدمج الشكوى من الدهر، في وصف الليل بالطول.

(١٠) المذهب الكلامي

المذهبُ الكلامي: هو أن يورد المتكلم على صحة دعواه حُجَّة قاطعة مسلمة عند المخاطب، بأن تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزمة للمطلوب، كقوله تعالى: ﴿لوْ كانَ فيهِمَا آلهةٌ إلا الله لفسَدَتَا﴾ واللازم وهو الفساد باطل، فكذا الملزوم وهو تعدد الآلهة باطل، وليس شيء أدل على ذلك من الحقيقة والواقع، وكقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنْتُمْ في رَيْبٍ من البعث فإنا خلقناكم من تراب﴾ [سورة الحج: ٥]، ونحو قوله تعالى: ﴿وهُوَ الذي يَبْدأُ الخلْقَ ثمَّ يعيدهُ وهو أهْوَنُ عليْهِ﴾ [الروم: ٢٧] أي وكل ما هو أهون عليه فهو أدخل تحت الإمكان، فالإعادة ممكنة.

وسمِّي هذا النوع بالمذهب الكلامي لأنه جاء على طريقة علم الكلام والتوحيد وهو عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة.

(١١) حسن التعليل

حُسْنُ التعليل[١]: هو أن ينكر الأديب صراحة، أو ضمناً، علة الشيء المعروفة، ويأتي بعلة أخرى أدبية طريفة، لها اعتبارٌ لطيف، ومشتملة على دقة النظر، بحيث تناسب الغرض الذي يرمي إليه.

يعني أن الأديب: يدعي لوصف علة مناسبة غير حقيقية، ولكن فيها حسنٌ وطرافة، فيزداد بها المعنى المراد الذي يرمي إليه جمالاً وشرفاً كقول المعري في الرثاء: [الطويل]

وما كلفة البدر المنير قديمةٍ ... ولكنها في وجهه أثر اللطم

يقصد: أن الحزن على المرثي شمل كثيراً من مظاهر الكون، فهو لذلك: يدَّعي أن كلفة البدر، وهي ما يظهر على وجهه من كدرة ليست ناشئة عن سبب طبيعي، وإنما هي حادثة من أثر اللطم على فراق المرثي ومثله قول الشاعر الآخر: [البسيط]

أما ذكاء فلم تصفرّ إذ جنحت ... إلا لفرقة ذاك المنظر الحسن

يقصد أن الشمس لم تصفر عند الجنوح إلى المغيب للسبب المعروف ولكنها اصفرت مخافة أن تفارق وجه الممدوح ومثله قول الشاعر الآخر: [البسيط]

ما قصر الغيثُ عن مصر وتربتها ... طبعاً ولكن تعداكم من الخجلِ

ولا جرى النيل إلا وهو معترفٌ ... بسبقكم فلذا يجري على مهلِ

ينكر هذا الشاعر: الأسباب الطبيعية لقلة المطر بمصر، ويلتمس لذلك سبباً آخر، وهو أن المطر يخجل أن ينزل بأرض يعمها فضل الممدوح وجوده لأنه لا يستطيع مباراته في الجود والعطاء، ولا بد في العلة أن تكون ادعائية، ثم إن الوصف أعم من أن يكون ثابتاً فيقصد بيان علته، أو غير ثابت فيراد إثباته.

---

١. من الأشياء ما له صفة ثابتة، ذات علة معروفة، أو غير معروفة: كزلزلة الأرض، وسقوط المطر من السحب، ومقاتلة الأعداء، وبزوغ القمر وأفوله، ونحو ذلك، فيلتمس الأدباء لها عللاً أخرى، فيها طرافة وحسن؛ يزداد بها المعنى الذي يريدون تقديراً وجمالاً وشرفاً، فحسن التعليل: هو استنباط علة مناسبة للشيء غير حقيقة، بحيث تكون على وجه لطيف بليغ، يحصل بها زيادة في المقصود.

أ ـ فالأول: وصف ثابت غير ظاهر العلة، كقوله: [البسيط]

بين السيوف وعينيها مشاركة ... من أجلها قيل للأجفان أجفان

و قوله: [الكامل]

لم يحكِ نائلَك السحاب وإنما ... حُمَّتْ به فصبيبها الرُّحَضَاءُ[1]

---

١. أي أنّ السحائب لا تقصد محاكاة جودك بمطرها لأن عطاءك المتتابع أكثر من مائها وأغزر، ولكنها حمت حسداً لك. فالماء الذي ينصب منها هو عرق تلك الحمى، فالرحضاء عرق الحمى:

و كقوله: [البسيط]

ولم يطلع البدر إلا من تشوقه ... إليك حتى يوافي وجهك النضرا

ولا تغيب إلا عند خجلته ... لما رآك فولى عنك واستترا

وكقوله: [الوافر]

سألت الأرض لم كانت مصلى ... ولم جعلت لنا طهراً وطيباً

فقالت غير ناطقة لأني ... حويت لكل إنسان حبيبا

وكقوله:

عيون تبر كأنها سرقت ... سواد أحداقها من الغسق

فإن دجا ليلها بظلمته ... تضمها خيفة من السرق

وكقوله: [البسيط]

ما زلزلت مصر من كيد يراد بها ... وإنما رقصت من عدله طربا

وكقوله: [الكامل]

لا تنكروا خفقان قلبي ... والحبيب لدي حاضر

ما القلب إلا داره ... دقت له فيها البشائر

وكقوله: [الوافر]

أرى بدر السماء يلوح حيناً ... ويبدو ثم يلتحف السحابا

وذاك لأنه لما تبدى ... وأبصر وجهك استحيا وغابا

←

وقوله: [الكامل]

زعم البنفسج أنه كعذاره حُسْناً، فسلوا من قفاه لسانَهُ

فخروج ورقة البنفسج إلى الخلف لا علة ظاهرة له، لكنه ادعى أن علته الافتراء على المحبوب.

ب ـ أو وصف ثابت ظاهر العلة، غير التي تذكر، كقول المتنبي: [الرمل]

ما به قَتْلُ أعاديه ولكن يتقي إخْلاف ما ترجو الذِّئابُ

فإن قتل الأعادي عادة للملوك، لأجل أن يسلموا من أذاهم وضرهم ولكن المتنبي اخترع لذلك سبباً غريباً، فتخيل أن الباعث له على قتل أعاديه لم يكن إلا ما اشتهر وعرف به، حتى لدى الحيوان الأعجم من الكرم الغريزي، ومحبته إجابة طالب الإحسان ومن ثم فتك بهم، لأنه علم، أنه إذا غدا للحرب، رجت الذئاب أن يتسع عليها رزقها. وتنال من لحوم أعدائه القتلى، وما أراد أن يخيب لها مطلباً.

والثاني: وصف غير ثابت، وهو:

١ ـ إما ممكن كقول مسلم بن الوليد: [البسيط]

يا واشياً حسنت فينا إساءته نجى حذارك إنساني من الغرق

فاستحسان إساءة الواشي ممكن، ولكنه لما خالف الناس فيه، عقبه بذكر سببه وهو أن

←

وكقوله: [الطويل]

لما تؤذن الدنيا به في صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وكقوله: [المتقارب]

ولو لم تكن ساخطاً لم أكن أذم الزمان وأشكو الخطوبا

وكقوله: [الكامل]

قد طيب الأفواه حسن ثنائه من أجل ذا تجد الثغور عذابا

حذاره من الواشي منعه من البكاء، فسلم إنسان عينه من الغرق في الدموع.

٢ ـ وإما غير ممكن كقول الخطيب القزويني: [البسيط]

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد منتطق

فقد ادعى الشاعر: أن الجوزاء تريد خدمة الممدوح، وهذه صفة غير ممكنة ولكنه عللها بعلة طريفة ادعاها أيضاً ادعاء أدبياً مقبولاً إذ تصور أن النجوم التي تحيط بالجوزاء إنما هي نطاق شدته حولها عل نحو ما يفعل الخدم، ليقوموا بخدمة الممدوح[1].

(١٢) التجريد

التجريد: لغة إزالة الشيء عن غيره. واصطلاحاً: أن ينتزع المتكلم من أمر ذي صفة أمراً آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها في المنتزع منه، حتى أنه قد صار منها بحيث، يمكن أن ينتزع منه موصوف آخر بها، وأقسام التجريد كثيرة:

أ ـ منها: ما يكون بواسطة من التجريدية كقولك: لي «من» فلان صديق حميم، أي بلغ

---

١. ومثله قول ابن المعتز: [المنسرح]

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل نالها الوصب
حمرتها من دماء من قتلت والدم في السيف شاهد عجب

وكقوله: [الكامل]

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوي الغنائم أو يموت كريم

وكقوله: [الطويل]

عداتي لهم فضل علي ومنة فلا أذهب الرحمن عني الأعاديا
همُ بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

وكقوله: [البسيط]

لو لم يكن أقحواناً ثغر مبسمها ما كان يزداد طيباً ساعة السحر

فلان من الصداقة حداً صح معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها. ونحو: [الطويل]

ترى منهم الأسد الغضاب إذا سطوا وتنظر منهم في اللقاء بدورا

ب ـ ومنها: ما يكون بواسطة «الباء» التجريدية الداخلة على المنتزع منه. نحو قولهم، لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر، بالغ في اتصافه بالسماحة، حتى انتزع منه بحراً فيها.

ج ـ ومنها: ما لا يكون بواسطة، نحو: ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر﴾ [التوبة: ١٢]

د – ومنها: ما يكون بطريق الكناية، كقول الأعشى: [المنسوخ]

يا خير من ركب المطيّ ولا يشرب كأساً بكف من بخلا[1]

(١٣) المشاكلة

المشاكلة: هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته كقوله تعالى: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ [المائدة: ١١٦] المراد: ولا أعلم ما عندك. وعبر بالنفس للمشاكلة ونحو: قوله تعالى: ﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ [الحشر: ١٩] أي أهلهم. ذكر الإهمال هنا بلفظ النسيان لوقوعه في صحبته. ومن ذلك ما حكي عن أبي الرقمع: أن أصحاباً له، أرسلوا يدعونه إلى الصبوح في يوم بارد، ويقولون له: ماذا تريد أن نصنع لك طعاماً؟؟

---

١. أي يشرب الكأس بكف الجواد، انتزع منه جواداً يشرب هو بكفه عن طريق الكناية. لإن الشرب بكف غير البخيل يستلزم الشرب بكف الكريم وهو لا يشرب إلا بكف نفسه. فإذاً هو ذلك الكريم.

ومن التجريد خطاب المرء نفسه، كقول المتنبي: [البسيط]

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

أي الغني. فقد انتزع من نفسه شخصاً آخر وخاطبه، وهذا كثير في كلام الشعراء، وإنما سمي هذا النوع تجريداً لأن العرب تعتقد أن في الإنسان معنى كامناً فيه كأنه حقيقته، فتخرج ذلك إلى ألفاظها مجرداً عن الإنسان، كأنه غيره. وفائدة هذا النوع «مع التوسع» أن يثبت الإنسان لنفسه ما لا يليق التصريح بثبوته له.

وكان فقيراً، ليس له كسوة تقيه البرد، فكتب إليهم يقول: [الكامل]

أصحابنا قصدوا الصبوح بسحرة ... وأتى رسولهم إليَّ خصيصا
قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه ... قلت اطبخوا لي جبة وقميصا[1]

وكقوله:

مَن مُبلغ أفناء يعرب كلها ... أني بنيت الجار قبل المنزل

وكقوله:

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

(١٤) المزاوجة

المزاوجة: هي أن يُزَاوج المتكلم بين معنيين في الشرط والجزاء، بأن يرتب على كل منهما معنى رتب على الآخر، كقوله: [الطويل]

إذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى ... أصاخت إلى الواشي فلج بها الهجر

زاوج بين النهي والإصاخة في الشرط والجزاء بترتيب اللجاج عليهما.

وكقوله: [الطويل]

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها ... تذكرت القربى ففاضت دموعها

زاوج[2] بين الاحتراب أي التحارب وبين تذكر القربى، في الشرط والجزاء بترتيب الفيض عليهما.

(١٥) الطي والنشر

الطي والنشر: أن يذكر متعدد، ثم يذكر ما لكل من أفراده شائعاً من غير تعيين، اعتماداً على تصرف السامع في تمييز مالكل واحد منها، وردّه إلى ما هو له وهو نوعان:

---

١. أي خيطوا لي جبة وقميصاً، فذكر الخياطة بلفظ، الطبخ لوقوعه في صحبة طبخ الطعام.

٢. المزاوجة: يقال زاوج أي خالط وأشبه بعضه بعضاً في السجع أو الوزن.

أ ـ إما أن يكون النشر فيه على ترتيب الطي، نحو قوله تعالى: ﴿ومن رحمته جعلَ لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾ [القصص: ٧٣] فقد جمع بين الليل والنهار ثم ذكر السكون لليل، وابتغاء الرزق للنهار، على الترتيب.

وكقوله: [الطويل]

عيون وأصداغ وفرع وقامة ... وخال ووجنات وفرق ومرشف

سيوف وريحان وليل وبانة ... ومسك وياقوت وصبح وقرقف

وكقوله: [الكامل]

فعل المدام ولونها ومذاقها ... في مقلتيه ووجنتيه وريقه

ب ـ وإما أن يكون النشر على خلاف ترتيب الطي نحو: ﴿فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مُبصرةً لِتبتغوا فضلاً مِنْ رَبكم ولتعلموا عدد السنين والحسَاب﴾ [الإسراء: ١٢] ذكر ابتغاء الفضل للثاني، وعلم الحساب للأول، على خلاف الترتيب:

وكقوله:

ولحظهُ ومُحياهُ وقامته ... بدر الدُجا وقضيبُ البان والرَّاح

[البسيط]

فبدر الدجا: راجع إلى المحيّا الذي هو الوجه، وقضيب البان راجع إلى القامة، والراح راجع إلى اللحظ ويسمى اللف والنشر أيضاً.

(١٦) الجمع

الجمعُ: هو أن يجمع المتكلم بين متعدد، تحت حكم واحد وذلك:

أ ـ إما في اثنين، نحو قوله تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ [الكف: ٤٦] و نحو قوله تعالى: ﴿واعلمُوا أنما أموالكمْ وأولادُكم فتنة﴾ [الأنفال: ٢٨]

ب ـ وإما في أكثر نحو قوله تعالى: ﴿إنما الخمرُ والمَيسرُ والأنصابُ والأزلام رجسٌ منْ عمل الشيطان فاجتنبوه﴾ وكقوله: [الرجز]

إن الشـــباب والفـــراغ والجـــده ... مـــفسدة للـــمرء أي مـــفسده

وكقوله: [البسيط]

آراؤه وعـــــطاياهُ ونـــعمتهُ ... وعـــفوهُ رحمـــة للـناس كـــلهم

وكقوله: [البسيط]

آراؤكـــم ووجـــوهكم وســـيوفكم ... في الحـــادثات إذا دجـــون نجـــومُ

(١٧) التفريق

التفريق: أن يفرق بين أمرين من نوع واحد في اختلاف حكمها نحو قوله تعالى: ﴿وما يستوي البحرانِ هذا عذبٌ فراتٌ سائغٌ شرابُهُ وهذا ملحٌ أجاجٌ﴾ [فاطر: ١٢] وكقول الشاعر: [الخفيف]

مـــا نـــوالُ الغـــمام وقت ربـــيع ... كـــنوال الأمـــير يـــوم ســـخاء

فـــنوالُ الأمـــير بـــدرة عـــين ... ونـــوال الغـــمام قـــطرة مـــاء

وكقوله: [المضارع]

مـــن قـــاس جـــدواك يـــوماً ... بـــالسحب أخـــطأ مـــدحك

الســـحب تُـــعطي وتـــبكي ... وأنت تُـــــعطي وتـــضحك

وكقوله: [المنسرح]

مـــن قـــاس جـــدواك بـالغمام فـا ... أنـــصف في الحكـــم بـــين شكـــلين

أنت إذا جـــدت ضـــاحكٌ أبـــداً ... وهـــو إذا جـــاد دامـــع العـــين

وكقوله: [مجزوء الكامل]

ورْد الخـــــدود أرقّ مـــــن ... ورد الريـــــاض وأنـــــعمُ

هـــــذاك تـــنشقهُ الأنـــو ... فُ وذا يُـــــقبله الفـــــمُ

(١٨) التقسيم

التقسيم: هو أن يُذكر مُتعدد، ثم يضاف إلى كل من أفراده، ما له على جهة التعيين نحو: ﴿كذَّبتْ ثمودُ وعادٌ بالقارِعة، فأما ثمودُ فأهلكوا بالطاغيةِ، وأمَّا عادٌ فأهلكوا بريحٍ صرْصر عاتيةٍ﴾ [سورة الحاقة: ٤ ـ ٦].

وكقوله: [البسيط]

ولا يقيم على ضيم يُرادُ به ... إلا الأذلان عيرُ الحيِّ والوتدُ
هذا على الخسف مربوط برُمته ... وذا يشجّ فلا يرثي له أحدُ

وقد يطلق التقسيم على أمرين آخرين:

أوّلهما: أن تستوفى أقسام الشيء نحو قوله تعالى: ﴿لهُ مَا فِي السمٰوات وَما في الأرض وَمَا بَيْنَهما وما تحت الثرى﴾ [طه: ٦]

وثانيهما: أن تُذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كل منها ما يليق به كقوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوْمٍ يُحبهُمْ ويُحبونهُ أذلةٍ على المُؤمِنين أعزةٍ على الكافرين يُجاهدون في سبيل الله ولا يَخافون لومة لائمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، وكقوله: [الطويل]

سأطلبُ حقي بالقنا ومشايخ ... كأنهمُ من طول ما الْتثموا مردُ
ثقالٌ إذا لاقوا خفاف إذا دُعوا ... كثير إذا شدُّوا قليلٌ إذا عُدُّوا

(١٩) الجمع مع التفريق

الجمعُ مع التفريق: أن يجمع المتكلم بين شيئين في حكم واحد، ثم يفرق بين جهتيْ إدخالها كقوله تعالى: ﴿خلقتنى منْ نار، و خلقتهُ مِنْ طينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

و كقوله: [المتقارب]

فوجهك كالنار في ضوئها ... وقلبي كالنّار في حرها

(٢٠) الجمع مع التقسيم

الجمعُ مع التقسيم: أن يجمع المتكلم بين شيئين أو أكثر تحت حكم واحد. ثم يُقسم ما جمع أو: يقسم أوّلاً، ثم يجمع.

فالأول: نحو: ﴿اللّهُ يَتوفى الأنفسَ حينَ موْتِها والتي لمْ تمتْ في منامها فيمسكُ التي قضى عليها المْوت ويرسلُ الأخرَى إلى أجل مسمى﴾ وكقول المتنبي [البسيط]

حتى أقام على أرباض خرشنة[1] تشق به الروم والصلبان والبيع
للرق ما نسلوا والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

ونحو: [الطويل]

سأطلب حقي بالقنا ومَشايخ[2] كأنهم من طول ما التثموا مردُ
ثقالٌ إذا لاقوا، خفاف إذا دعوا كثير إذا شدوا قليل إذ عُدوا

والثاني: كقول حسان: [البسيط]

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهُمُ أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة إن الخلائق فاعلم شرها البدع

(٢١) المبالغة

المبالغة: هي أن يدعي المتكلم لوصف، بلوغه في الشدة أو الضعف حداً مستبعداً، أو مستحيلاً، وتنحصر في ثلاثة أنواع:

١ ـ **تبليغ:** إن كان ذلك الادعاء للوصف من الشدة أو الضعف ممكناً عقلاً وعادة، نحو قوله تعالى: ﴿ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها﴾ [النور: ٤٠] وكقوله في وصف فرس: [الوافر]

إذا ما سابقتها الريح فرَّت وألقت في يد الريح الترايا

---

١. الأرباض: جمع ربض وهو ما حول المدينة، وخرشنة، بلد بالروم.

٢. القنا: الرماح، والمشايخ أصحابه، أي يطلب حقه بنفسه ومستعيناً بأصحابه المجربين المحنكين، ولذلك جعلهم مشايخ.

٢ ـ **وإغراق**: إن كان الادعاء للوصف من الشدة أو الضعف ممكناً عقلاً، لا عادة كقوله: [الوافر]

ونكـــرم جـــارنا مـــا دام فـــينا ونـــتبعه الكـــرامـــة حـــيث مـــالا

٣ ـ **وغلو**[1]: إن كان الادعاء للوصف من الشدة أو الضعف مستحيلاً عقلاً وعادة كقوله: [الوافر]

تكـــاد تُسِـــيُّه مـــن غـــير رام تمكـــن في قـــلوبهم النـــبالا

(٢٢) المغايرة

المغايرة: هي مدح الشيء بعد ذمه، أو عكسه كقول الحريري في مدح الدينار: «أكرم به أصفر راقت صفرته». بعد ذمه في قوله: «تبّاله من خادع ممارق».

---

١ . أما الغلو: فمنه مقبول، ومنه مردود: فالمقبول ثلاثة أنواع:

أحدها ما اقترن به ما يقربه للصحة. «كفعل مقاربة» نحو: قوله تعالى: ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ أو «أداة فرض» نحو قوله تعالى: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾.

وثانيها ما تضمن حسن تخييل، كقول المتنبي:

عقدت سنابكها عليها عثيراً لو تبتغي عنقاً عليه لأمكنا(*)

وقول المعرى:

يذيب الرعب منه كل عضب فلولا الغمد يمسكه لسالا

وثالثها ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة، كقول النظام:

تـــو همـــه طـــرفي فـــآلم طـــرفه فصار مكان الوهم في خده أثر

ومر بفكري خاطراً فجرحته ولم أر خلقاً قط يجرحه الفكر

وقول الآخر:

لك أنـــف يـــا ابـــن حـــرب أنفت منه الأنوف

أنت في القـــدس تـــصلي وهـــو في البـــيت يسطوف

(*) الـــنابك جمع سنبك وهو طرف مقدم الحافر. والعثير الغبار. والعنق ضرب من السير سريع فسيح المنطو، يقول إن حوافر هذه الخيل عقدت فوقها غباراً كثيفاً، حتى لو أرادت السير عليه لكان يحملها، كالأرض لشدة كثافته.

(٢٣) تأكيد المدح بما يشبه الذم

تأكيدُ المَدح بما يشبهُ الذم: نوعان:

الأول: أن يستثنى من صفة ذمٍّ منفية عن الشيء، صفة مدح بتقدير دخولها فيها كقوله: [الطويل]

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب[1].

الثاني: أن يُثبت لشيء صفة مدح، ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى والنوع الأول أبلغ كقوله: [الطويل]

فتى كملت أوصافه غيرَ أنه ... جواد فما يبقي من المال باقياً

والنّوع الأوّل ابلغ وقد تقوم لكنْ مقام أداة الاستثناء في هذا النوع.

---

١. أي إن كان تكسّر حد سيوفهم من مقارعة الجيوش عيباً فلا عيب فيهم غيره، ومن المعلوم أنه ليس بعيب وكقول الآخر،

ولا عيب فيهم سوى أن النزيل بهم ... يسلو عن الأهل والأوطان والحشم

وقوله: [الطويل]

ولا عيب فيه غير أن خدوده ... بهن احمرار من عيون المتيم

وقوله: [السريع]

ليس به عيب سوى أنه ... لا تقع العين على شبهه

وقوله: [الطويل]

ولا عيب في معروفهم غير أنه ... يبين عجز الشاكرين عن الشكر

وقوله: [الطويل]

ولا عيب فيكم غير أن ضيو ... فكم تعاب بنسيان الأحبة والوطن

(٢٤) تأكيد الذم بما يشبه المدح(١)

تأكيد الذم بما يشبه المدح: ضربان أيضاً:

الأول: أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء، صفة ذم بتقدير دخولها فيها، كقوله: [مجزوء البسيط]

خلا من الفضل غير أني أراه في الحمق لا يجارى

ونحو: لا فضل للقوم الا أنهم لا يعرفون للجار حقه. ونحو: فلان ليس أهلاً للمعروف، إلا أنه يسيء إلى من يحسن إليه.

الثاني: أن يثبت لشيء صفة ذمّ، ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء(٢) تليها صفة ذم أخرى، نحو: فلانٌ حسودٌ ألا أنه نمّام، وكقوله: [الطويل]

هو الكلبُ إلا أن فيه ملالة وسُوء مراعاة وما ذاك في الكلب

وكقوله: [المتقارب]

لئيم الطباع سوى أنه جبّانٌ يهون عليه الهَوَان

وهنا نوع آخر يسمى «الهجاء في معرض المدح» وهو أن يؤتى بكلام ظاهره مدح، وباطنه ذم، كقوله: [المتقارب]

أبو جعفر رجل عالم بما يصلح المعدة الفاسده

تخوف تخمة أضيافه فسعودهم أكلة واحده

٢. ومثل أداة الاستثناء في ذلك، أداة الاستدراك في قول الشاعر: [الطويل]

وجوه كأطهار الرياض نضارة ولكنها يوم الهياج صخور

وكقوله:

هو البدر إلا أنه البحر زاخراً سوى أنه الضرغام لكنه الوبل

أدرج أهل البيان (التدبيج) في الطباق. وأفرده أهل البديع، وهو الأولى، لجواز أن لا يقع التقابل بين الألوان، فيفوت «الطباق».

(٢٥) التوجيه

التوجيه: هو أن يؤتى بكلام يحتمل معنيين متضادين على السواء كهجاء، ومديح ودعاء للمخاطب، أم دعاء عليه، ليبلغ القائل غرضه بما لا يمسك عليه، كقول بشار في خياط أعور اسمه عمرو: [مجزوء الرمل]

خَـــاط لي عـــمرو قـــباء ... ليت عـــينَيْهِ ســـواء

فإنَّ دعاءه لا يعلم، هل له أم عليه، وقوله:

كـــلما لاح وجـــهه بمكـــان ... كـــثرت زَحمـــة العـــيون عـــليه

ويحكى أن محمدا بن حزم هنأ الحسن بن سهل باتصال بنته بورّان التي تنسب إليها الأطبخة البورانية بالخليفة المأمون العباسي مع من هنأه، فأثابهم، وحرمه، فكتب إليه إن أنت تماديت على حرماني، قلتُ فيك بيتاً لا يعرف أهو مدح أم ذم، فاستحضره وسأله؟ فأقرَّ، فقال الحسَن: لا أعطيك أو تفعل، فقال:

بـــارك اللـــه للـــحسَنْ ... ولِـــبُوران فى الخـــتَنْ

يـــا إمـــامَ الهـــدى ظـــفر ... تَ ولكـــنْ بـــبنت مَـــنْ؟؟

فلم يدر: ببنت من؟؟ أفي العظمة وعلوِّ الشأن ورفعة المنزلة، أم في الدناءة والخِسَّة؟؟ فاستحسنَ الحسن منه ذلك.

الفرق بين التورية والتوجيه

التورية: تكون في لفظ واحد.

وأمَّا التوجيه: فيكون في تركيب:

ب ـ التورية: يقصد المتكلم بها معنى واحداً: هو البعيد.

التوجيه: لا يترجح فيه أحد المعنيين على الآخر.

(٢٦) نفي الشيء بإيجابه

نفيُ الشيءِ بإيجابه: هو أن ينفى متعلق أمر عنْ أمر، فيوهم إثباته له، والمراد نفيه عنه أيضاً، نحو قوله تعالى: ﴿رجال لا تلهيهم تجارةٌ ولاَ بيع عن ذكر الله﴾ [النور: ٣٧][١]. فإن نفي إلهاء التجارة منهم، إثباتها لهم، والمراد نفيها أيضاً.

(٢٧) القول بالموجب

القول بالموجب: نوعان:

الأول: أن يقع في كلام الغير إثباتُ صفة لشيء وترتيب حكم عليها، فينقلُ السامع تلك الصفة إلى غير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه كقوله تعالى: ﴿يقولون لئن رجعنَا إلى المدينة ليخرجن الأعز منهَا الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ [المنافقون: ٨][٢] فالمنافقون أرادوا بالأعز أنفسهم، وبالأذل المؤمنين ورتبوا على ذلك الإخراج من المدينة فنقلت صفة العزة للمؤمنين، وأبقيت صفة الأذلية للمنافقين، من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج للمتصفين بصفة العزة و لا لنفيه عنهم.

---

١. مقتطع من الآية: التي مرت في مبحث ترك المسند، حيث يقول: ﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ [فإن قوله: لا تلهيهم تجارة] يوهم أن لهم تجارة، غير أنهم لا يلتهون بها. ولكن المراد أنهم ليس لهم تجارة حتى يلتهو بها، لأن رجال الجنة لا يتعاطون التجارة.

٢. تلخيص العبارة: أن الكافرين حكموا لأنفسهم بالعزة، وللمؤمنين، بالذلة وقالوا إن رجعنا إلى المدينة نخرجهم منها. فحكم بالعزة لله، ولرسوله، وللمؤمنين ولم يقل إنهم يخرجون أولئك منها، ولا أنهم لا يخرجونهم.

والثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده بذكر متعلق له كقوله: [الوافر]

وقـــالوا قـــدصفت مـــنا قـــلوب لقـــد صـــدقوا ولكـــن عـــن ودادي

ارادوا بصفو قلوبهم الخلوص فحمله على الخلو بذكر متعلقه، وهو قوله: عن ودادي.

(٢٨) ائتلاف اللفظ مع المعنى

ائتلاف اللفظ مع المعنى: هو أن تكون الألفاظ موافقة للمعانى، فتختار الألفاظ الجزلة، والعبارات الشديده للفخر والحماسة، وتختار الكلمات الرقيقة، والعبارات اللـينة، للـغزل والمدح كقوله: [الطويل]

إذا مـــا غـــضبنَا غـــضبة مـــضرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

أذا مـــا أعـــرنَا ســـيداً مـــن قـــبيلة ذرا مـــنبر صـــلى عـــلينا وســـلما

وكقوله: [الطويل]

ولست بـــنظار إلى جـــانب الغـــنى إذا كـــانت العـــلياء في جـــانب الفـــقر

وكقوله: [الرمل]

لم يـــطل ليـــلي ولكـــن لم أنم ونـــفى عـــني الكـــرى طـــيف ألم

(٢٩) التفريع

التفريع: هو أن يثبت حكم لمتعلق أمر، بعد إثباته لمتعلق له آخر كقول الشاعر: [المنسرح]

فـــاضت يـــداه بـــالنضّار كـــما فـــاضت ظـــباه في الوغـــى بـــدمي

وكقوله: [البسيط]

أحـــلامكم لســـقام الجـــهل شـــافية كـــما دمـــاؤكم تشـــفي مـــن الكـــلب

(٣٠) الاستتباع

الاستتباع: هو الوصف بشيء على وجه يستتبع الوصف بشيء آخر، مدحاً أو ذماً.

يعني أن الاستتباع هو المدح على وجه يستتبع المدح بأمر آخر، كقوله: [الطويل]

ألا ايها المال الذي قد أباده ... تسلَّ فهذا فعله بالكتائب

وكقوله: [الطويل]

سمح البديهة ليس يمسك لفظه ... فكأنما ألفاظه من ماله

وكقوله: [البسيط]

الحرب نزهته والبأس همته ... والسيف عزمته والله ناصره

وقيل: إنه يكون أيضاً في الذم، كقول بعضهم في قاض لم يقبل شهادته برؤية هلال الفطر: [مجزوء الرمل]

أترى القاضيَ أعمى ... أم تراه يتعامى

سرق العيد كأن العيـ ... ـد أموال اليتامى

(٣١) السلب والإيجاب

السلب والإيجاب: هو أن يقصد المتكلم تخصيص شيء بصفة فينفيها عن جميع الناس، ثم يُثبتها له مدحاً أو ذماً.

فالمدح كقول الخنساء: [الطويل]

وما بلغت كفُّ أمرىء مُتناولاً ... من المجد إلا والذي نلتَ أطولُ

ولا بلغ المهدونَ للناس مدحة ... وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضلُ

والذم، كقول بعضهم: [الكامل]

خُلقوا وما خلقوا لمكرُمة ... فكأنهم خلقوا وما خلقوا

رُزقوا وما رُزقوا سماحَ يدٍ ... فكأنما رزقوا وما رزقوا[1]

---

١. وهذا مثال للايجاب والسلب.

(٣٢) الإبداع

الإبداع: هو أن يكون الكلام مشتملاً على عدة أنواع من البديع، كقول الشاعر: [الطويل]

فضحت الحيا والبحر جُوداً فقد بكى الـ ـحيا من حياء منك والتطم البحرُ[1]

وللقرآن الكريم اليد البيضاء في هذا النوع فقد وجد اثنان وعشرون نوعاً في قوله تعالى ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ مع كون الآية سبع عشرة لفظة، ولابد لي من ذكرها، تبركاً بها، وإلجاماً لبعض المعاصرين الذين يتفوهون بما لا يليق ذكره، بالنسبة لكلام رب العالمين:

(١) ففيها [المناسبة التامة] بين ابلعي وأقلعي.

(٢) الاستعارة فيهما.

(٣) الطباق بين الأرض والسماء.

(٤) المجاز في قوله [يا سماء] فإن الحقيقة يا مطر.

(٥) الإشارة: في ﴿وغيض الماء﴾ فإنه عبر به عن معان كثيرة، فإن الماء لا يغيض حتى لا يقلع مطر السماء وتبلع الأرض ما يخرج منها من عيون الماء.

(٦) الإرداف: في قوله: ﴿واستوت على الجودي﴾ فإنه عبر عن استقرارها في المكان بلفظ قريب من لفظ المعني.

(٧) التمثيل في قوله: ﴿وقضي الأمر﴾ فإنه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظ بعيد عن الموضوع.

---

١. فإن فيه حسن التعليل في قوله: [بكى الحياء حياء منك]. وفيه التقسيم في قوله:[فضحت الحيا والبحر]، حيث ارجع ما لكل إليه على التعيين بقوله بكى الحيا، والتطم البحر. وفيه المبالغة في جعله بكاء الحيا والتطام البحر حياء من الممدوح. وفيه الجمع في قوله: فضحت الحيا والبحر. وفيه رد العجز على الصدر: في ذكر البحر والبحر وفيه الجناس التام: بين الحيا والحياء.

(٨) التعليل، فإن غيض الماء علة الاستواء.

(٩) التقسيم: فإنه استوفى أقسام الماء حال نقصه.

(١٠) الاحتراس: في قوله: ﴿وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ إذ الدعاء يشعر بأنهم مستحقو الهلاك، احتراساً من ضعيف يتوهم أن الغرق لعمومه ربما يشمل غير المستحق.

(١١) الانسجام، فإن الآية منسجمة كالماء الجاري في سلاسته.

(١٢) حسن التنسيق، فإنه تعالى قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن الترتيب.

(١٣) ائتلاف اللفظ مع المعنى، لأن كل لفظة لا يصلح لمعناها غيرها.

(١٤) الإيجاز فإنه سبحانه وتعالى، أمر فيها ونهى وأخبر ونادى ونعت وسمى، وأهلك وأبقى وأسعد وأشقى، وقص من الأنباء ما لو شرح لجفت الأقلام.

(١٥) التسهيم: إذ أول الآية يدل على آخرها.

(١٦) التهذيب: لأن مفرداتها موصوفة بصفات الحسن، لأن كل لفظة سهلة مخارج الحروف عليها رونق الفصاحة، سليمة من التنافر، بعيدة عن عقادة التراكيب.

(١٧) حسن البيان: لأن السامع لا يشكل عليه في فهم معانيها شيء.

(١٨) الاعتراض، وهو قوله: ﴿وغيض الماء واستوت على الجودي﴾.

(١٩) الكناية فإنه لم يصرح بمن أغاض الماء. ولا بمن قضى الأمر، وسوى السفينة، ولا بمن قال وقيل بعداً. كما لم يصرح بقائل: ﴿يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي﴾ في صدر الآية سلوكاً في كل واحد من ذلك سبيل الكناية.

(٢٠) التعريض: فإنه تعالى عرض بسالكي مسالكهم في تكذيب الرسل ظلماً، وأن الطوفان وتلك الصورة الهائلة ما كانت إلا بظلمهم.

(٢١) الأبداع الذي نحن بصدد الاستشهاد له، وفيها غير ذلك، وقد أفردت هذه الآية

الشريفة بتآليف عديدة لما اشتملت عليه من البلاغة، حتى عد بعضهم فيها مائة وخمسين نوعاً، وقد أجمع المعاندون على أن طوق البشر عاجز عن الإتيان بمثلها.

(٣٣) الأسلوب الحكيم

أسلوب الحكيم: هو تلقي المخاطب بغير ما يترقبُه.

١ ـ إما بترك سؤاله: والإجابة عن سؤال لم يسأله. تنبيها على أنه كان ينبغى له أن يسأل هذا السؤال

٢ ـ وإما بحمل كلام المتكلم على غير ما كان يقصِد ويريدُ، تنبيهاً على أنه كان ينبغي له أن يقصد هذا المعنى.

فمثال الأول، قوله تعالى: ﴿ويسألُونكَ ماذا يُنفقونَ قلْ ما أنفقتُمْ مِنْ خيرٍ فللوَالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ [البقرة: ٢١٥] سألوا النبي عليه الصلاة والسلام عن حقيقة ما ينفقون من مالهم، فأجيبوا ببيان طرُق إنفاق المال: تنبيهاً على أن هذا هو الأولى والأجدر بالسؤال عنه. وقال تعالى: ﴿يسألُونكَ عن الأهلة قل هي مَواقيت للناس والحجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩][1].

ومثال الثاني: ما فعل القبعثرِى بالحجَّاج[2]، إذ قال اله الحجاجُ متوعداً (لأحملنكَ عل الأدهمِ).

---

١ . بيان ذلك: أن أصحاب رسول الله ﷺ سألوه عن الأهلة؟ لم تبدو صغيرة، ثم تزداد حتى يتكامل نورها. ثم تتضاءل حتى لا ترى «وهذه مسألة دقيقة من علم الفلك» تحتاج إلى فلسفة عالية وثقافة عامة. فصرفهم عنها ببيان أن الأهلة وسائل للتوقيت في المعاملات، والعبادات، إشارة إلى أن الأولى بهم أن يسألوا عن هذا.

٢ . هو الحجاج بن يوسف الثقفي، كان عاملاً على العراق وخراسان: لعبد الملك بن مروان، ثم للوليد من بعده، وكان شديد البطش قاسياً، حتى ضرب المثل بجوره وظلمه توفي سنة ٩٥ هـ

يُريد الحجاج: القيد الحديد الأسود: فقال القبعثري: «مثلُ الأمير يحمل على الأدهم والأشهب» يعني الفرس الأسود، والفرس الأبيض، فقال له الحجاجُ: أردت الحديد فقال القبعثري: لأن يكون حديداً خيرٌ من أن يكون بليداً، ومرادُه تخطئة الحجاج بأن الأليق به الوعد لا الوعيد[١].

وقال ابن حجاج بغدادى: [الخفيف]

قال: ثقلتُ، إذ أتيت مراراً ... قلتُ: ثقلت كاهلي بالأيادي

قال: طولتُ، قال: أوليت طوْلا ... قال: أبرمت، قلتُ: حبل ودّادي[٢]

فصاحبُ ابن حجاج، يقول له: قد ثقلت عليك بكثرة زياراتي، فيصرفه عن رأيه في أدب وطرفٍ وينقل كلامه من معنى إلى معنى آخر: وقول الشاعر: [الطويل]

ولما نعى الناعي سألناه خشيةً ... وللعين خوفُ البَين تَسْكاب أمطار

أجاب قضى: قلنا قضى حاجة العلا ... فقال: مضى قلنا: بكلٍّ فخار

ويحكى: أنه لما توجه خالد بن الوليد لفتح الحيرة، أتى إليه من قبل أهلها رجل ذو تجربة فقال له خالد: فيم أنت؟ قال: في ثيابي، فقال: علامَ أنت؟ فأجاب على الأرض فقال كم سنك؟ قال: اثنتان وثلاثون فقال: أسألك عن شيء وتجيبني بغيره، فقال: إنما أجبتك عما سألت.

---

١. سبب ذلك: أن الحجاج بلغه أن القبعثري لما ذكر الحجاج بينه وبين أصحابه في بستان، قال: اللهم سود وجهه، واقطع عنقه واستقني من دمه، فوشى به إلى الحجاج فلما مثل بين يديه، وسأله عن ذلك، قال: إنما أردت «العنب» فقال له الحجاج ما ذكر.

٢. فقد وقع لفظ «ثقلت» في كلام المتكلم بمعنى «حملتك المؤونة» فحمله المخاطب على الإكثار من المنن والأيادي «وأبرمت» وقع في كلامه بمعنى «أمللت» فحمله المخاطب على إبرام حبل الوداد وإحكامه، وليس في طولت الأولى التي سمى من طول الإقامة، وتطولت من التطول وهو التفضل: شاهد.

(٣٤) تشابه الأطراف

تشابه الأطراف: قسمان معنوي ولفظي.

فالمعنوي: هو أن يختم المتكلم كلامه بما يناسب ابتداءه في المعنى كقوله: [الطويل]

ألذ من السحر الحلال حديثه وأعذب من ماء الغمامة ريقهُ

فالريق: يناسب اللذة في أول البيت.

واللفظي نوعان: الأول : أن ينظر الناظم أو الناثر إلى لفظة وقعت في آخر المصراع الأول أو الجملة، فيبدأ لها المصراع الثاني، أو الجملة التالية، كقوله تعالى: ﴿مَثَل نورِهِ كمشكاةٍ فيها مصباحُ المصباح في زجاجةٍ الزُّجاجة كأنها كَوْكَبٌ دريٌّ﴾ [النور: ٣٥] وكقول أبي تمام: [الطويل]

هَوًى كان خلساً إن من أبرد الهوى هوى جلستُ أفيائه وهو خاملُ

الثاني: أن يعيد الناظم لفظة القافية من كل بيت في أول البيت الذي يليه، كقوله: [الطويل]

رمتني وسترُ الله بيني وبينها عشيةَ آرام الكناس رميمُ

رميمُ التي قالتْ لجيران بيتها ضمنتُ لكم ألا يزال يهيم

(٣٥) العكس

العكس: هو أن تقدم في الكلام جزءاً ثم تعكِس، بأن تقدمَ ما أخرتَ، وتؤخِّر ما قدمت، ويأتي على أنواع:

أ ـ أن يقع العكس بين أحد طرفي جملة، وما أضيف إليه ذلك الطرف نحو: كلام الملوك ملوك الكلام وكقول المتنبي: [الطويل]

إذا أمطرت منهم ومنك سحابة فوابلهم طلٌّ وطلكَ وابل

ب ـ أن يقع العكس بين متعلقي فعلين في جملتين كقوله تعالى: ﴿يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحي﴾ [الروم: ١٩].

ج – أن يقع العكس بين لفظين في طرفي الجملتين كقوله تعالى: ﴿لاَ هنَّ حِلٌّ لهمْ ولا همْ يحلونَ لهنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠].

د ـ أن يقع العكس بين طرفي الجملتين نحو قول الشاعر: [الطويل]

طَـويت بـإحراز الفـنون ونـيلها ... رداء شـباب والجـنون فـنونُ

فـحين تـعاطيت الفنون وحـظها ... تـسبين لي أن الفـنون جـنونُ

هـ أن يكون العكس بترديد مصراع البيت معكوساً نحو قول الشاعر: [الخفيف]

إن للـوجد في فـؤادي تـراكـم ... ليت عـيني قـبل المـات تـراكـم

في هـواكـم يـا سـادتي مت وَجـداً ... مت وجْـداً يـا سـادتي في هـواكـم

(٣٦) تجاهل العارف

تجاهل العارف: هو سُؤَال المتكلم عما يعلمه حـقيقة، تجـاهلاً لنُكـتة، كـالتَّوبيخ، في قوله: [الطويل]

أيـا شـجر الخـابور مـا لك مـورق ... كأنك لم تجـزع عـلى ابـن طـريف

أو المبالغة في المدح، كقول البحتري: [البسيط]

ألمعُ برقٍ سرى أم ضـوء مـصباح؟؟ ... أم ابـتسامَتها بـالمُنظرِ الضـاحِي

أو المبالغة في الذم، كقول زهير: [الوافر]

ومـا أدري وسـوف إخـالُ أدري ... أقـومٌ آل حـصن أم نسَـاءُ

أوالتـعجب نحـو: ﴿أفسحرٌ هذا أم أنتم لا تبصرون﴾ [الطور: ١٥] إلى غـير ذلك مـن الأغراض البديعية التي لا تحصى.

تمرين

بين الأنواع البديعية فيما يلي:

١ ـ قال بعضهم في وصف إبل: [الرجز]

صلبُ العصا بالضرْب قد أدماها ... تَودُّ أن الله قد أفناها[١]

٢ ـ وللغزالةِ شيء من تلفتِهِ ... ونُورها من ضيا خدّيهِ مكتسب[٢]

[البسيط]

٣ ـ أفنى جيُوش العدا غزواً فلستَ ترى ... سوى قتيل ومأسُور ومنهزم[٣]

[البسيط]

٤ ـ ولا عيب فيهم غير أن ذوي الندى ... خِساسٌ إذا قيسوا بهم ولئامُ[٤]

[الطويل]

٥ ـ على رأس عبدٍ تاجُ عز يزِينُه ... وفي رجل حر قيدُ ذل يشينه[٥]

[الطويل]

---

١ . الضرب: لفظ مشترك بين الضرب بالعصا وهو المعنى القريب الذي لم يقصد، والسير في الأرض، وهو المعنى البعيد المقصود والمراد بالتورية.

٢ . فيه استخدام: إذ أراد بالغزالة الحيوان المعروف، وبضمير (نورها) الغزالة بمعنى الشمس.

٣ . فيه تقسيم؛ إذ هو قد استوفى جميع أقسام جيش العدو، بحصرها في الأقسام الثلاثة.

٤ . فيه تأكيد المدح بما يشبه الذم، فإنه استثنى من صفة ذم منفية. صفة مدح.

٥ . فيه مقابلة بين ستة وستة: فقد قابل بين على وفي. رأس ورجل، حر وعبد، تاج وقيد، عز وذل، يزين ويشين.

٦ ـ فلا الجودُ يفني المَال والجدُّ مقبل ولا البخل يبقي المال والجدُّ مـدبر[١]

[الطويل]

٧ ـ رحمَ اللّهُ من تصدَّق من فـضل أو آسى من كفاف، أو آثر من قُوتِ[٢]

[الخفيف]

٨ ـ آراؤكم ووجـوهكم وسيُوفكم في الحـادثاتِ إذا دجَـونَ نجُـومُ[٣]

[الكامل]

٩ ـ ما زلْزلتْ مصر من كـيد ألم بهـا لكنها رقصتْ مـن عـدلكم طـربا[٤]

[البسيط]

١٠ ـ أراعي النجمَ في سيري إليكـم ويـرعاه مـن البـيدا جَـوَادِي[٥]

[الوافر]

تطبيق عام على البديع المعنوي

يـا سـيداً حـاز لطـفاً له البرايـا عـبيد

أنت الحسـين ولكـن جـفاك فـينا يـزيد

[المجتث]

---

١ . فيه مقابلة: بين الجود والبخل، يفني ويبقي، مقبل و مدبر.

٢ . فيه تقسيم: باستيفاء أقسام الشيء، لأن طبقات الناس هذه الثلاثة ليس غير.

٣ . فيه الجمع، فقد جمع بين ثلاثة أشياء في حكم واحد.

٤ . فيه حسن التعليل فقد جعل علة زلزال مصر طرباً من عدل الممدوح لا لمكروه نزل بها، وهي لا شك غير العلة التي يتعارفها الناس فيما بينهم.

٥ . فيه استخدام: إذ النجم الأول الكوكب، وأعاد عليه الضمير بمعنى النبات الذى لا ساق له.

في هذا الكلام تورية، مهيأة بلفظ قبلها، فإن ذكر «الحسين» لازم لكون يزيد اسماً بعد احتمال الفعل المضارع المورى عنه.

حماة في بهجتها جَنة وهي من الغم لنا جُنّه
لاتيأسوا من رحمة الله فقد رأيتم العاصيَ في الجنه

[السريع]

في هذا الكلام تورية مرشحة، فإن ذكر الرحمة ترشيح للفظ العاصي المورى به الذي هو من العصيان، والمورى عنه النهر المعروف الذي عبر حماه.

فإن ضيعت فيه جميع مالي فكم من لحية حلقت بموسى

[الوافر]

فيه التورية المرشحة، بذكر اللحية والحلق، وهما يناسبان المورى به وهو «موسى الحديد» والمورى عنه الاسم المذكور.

يا عذولي في مغن مطرب حرك الأوتار لمَّا سفرا
لم تهز العطف منه طربا عند ما تسمع منه وترا

[الرمل]

فيه تورية في لفظ وتراً فإن معناه البعيد المراد هو الرؤية، والقريب أحد الأوتار ولفظ تسمع هيأ قوله وتراً للتورية.

سألته عن قومه فأنثني يعجب من إفراط دمعي السخي
وأبصر المسك وبدر الدجى فقال ذا خالي وهذا أخي

[السريع]

فيه تورية في لفظ خالي فمعناه البعيد المراد، النقطة السوداء في الخد، والقريب أخ الأم، ولفظة أخي هي التي هيأت خالي للتورية وهي بعيدة.

الباب الثاني

في المحسنات اللفظية

١ ـ الجناس(١)

---

١ . ويقال له التجنيس، والتجانس، والمجانسة. ولا يستحسن إلا إذا ساعد اللفظ المعنى، ووازى مصنوعه مطبوعه، مع مراعاة النظير، وتمكن القرائن، فينبغي أن ترسل المعاني على سجيتها ليكتسي من الألفاظ ما يزينها حتى لا يكون التكلف في الجناس مع مراعاة الالتئام. موقعاً صاحبه في قول من قال: [الكامل]

طبع الجنس فيه نوع قيادة ... أو ما ترى تأليفه للأحرف

وبملاحظة ما قدمنا يكون فيه استدعاء لميل السامع والإصغاء إليه، لأن النفس تستحسن المكرر مع اختلاف معناه، ويأخذها نوع من الاستغراب.

وتلخيص القول في الجناس: أنه نوعان: تام. وغير تام: فالتام، هو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أمور أربعة: نوع الحروف. وشكلها من الهيئة الحاصلة من الحركات والسكنات. وعددها. وترتيبها.

وغير التام، وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة كقول الله تعالى: ﴿والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذٍ المساق﴾ وكقول الشاعر: [الطويل]

وسميته يحيى ليحيا فلم يكن ... إلى رد أمر الله فيه سبيل

وكقوله: [مجزوء الكامل]

أشكو وأشكر فعله ... فاعجب لشاك منه شاكر

طرفي وطرف النجم في ... ـه كلاهما ساه وساهر

الجناس: هو تشابه لفظين في النطق، واختلافهما في المعنى.

وهو ينقسم إلى نوعين: لفظي ومعنوي.

أنواع الجناس اللفظي

١ ـ منها: **الجناس التام:** وهو مااتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أشياء نوع الحروف، وعددها، وهيئاتها الحاصلة من الحركات والسكنات، وترتيبها مع اختلاف المعنى.

فإن كان اللفظان المتجانسان من نوع واحد كاسمين، أو فعلين، أو حرفين سمي: الجناس مماثلاً[1] نحو: ﴿ويوم تقوم الساعة يُقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة﴾ [الروم: ٥٥] فالمراد بالساعة الأولى يوم القيامة، وبالساعة الثانية المدة من الزمان، ونحو: رَحَبة رَحْبة. فرحبة الأولى: فناء الدار، ورحبة الثانية: بمعنى واسعة.

وإن كانا من نوعين: كفعل واسم، سمي: الجناس مستوفياً. نحو ارع الجار ولو جار وكقول الشاعر: [الكامل]

ما مات من كرم الزمان فإنه ... يحيا لدى يحيى بن عبدالله

فيحيا الأول فعل مضارع، ويحيى الثاني اسم الممدوح. ونحو: [السريع]

إذا رماك الدهر في معشر ... قد أجمع الناس على بغضهم

فدارهم مادمت في دارهم ... وأرضهم ما دمت في أرضهم

وكقول ابن الفارض: [الكامل]

هلا نهاك عن لوم امرىء ... لم يسلف غير منعم بشقاء

وقول المعري: [البسيط]

لم نلق غيرك إنساناً يلاذ به ... فلا برحت لعين الدهر إنسانا

١. اعلم أن العبرة في المماثلة تكون بالنطق لا بالكتابة.

والجناس التام: مما لا يتفق للبليغ إلا على ندور وقلة، فهو لا يقع موقعه من الحسن حتى يكون المعنى هو الذي استدعاه وساقه، وحتى تكون كلمته مما لا يبتغي الكاتب منها بدلاً، ولا يجد منها حولاً.

وامّا: الجناس غير التام: فهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الأربعة السابقة، واختلافهما، يكون إما:

بزيادة حرف. في الأول: نحو: دوام الحال من المحال. أو في الوسط نحو: جَدِّي جَهْدِي أو في الآخر نحو: الهوى مطية الهوان. والأول يسمى مردوفاً. والثاني يسمى مكتنفاً. والثالث مطرفاً.

أو باختلاف حرف في الأول كقوله تعالى: ﴿ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون﴾ [غافر: ٧٥] وفي الوسط كقول الشاعر: [الوافر]

فإن حلوا فليس لهم مقرٌّ وإن رحلوا فليس لهم مقر

وفي الاخر كقوله عليه السلام: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».

ومن اختلاف أعدادها، قولك: هذا بناء ناء.

ومن اختلاف ترتيب الحروف، قوله: في حسامه فتح لأوليائه، وحتف لأعدائه.

ومن اختلاف الهيئة، قول الشاعر: [البسيط]

الجدّ في الجدّ والحرمان في الكسل فانْصَب تُصِب عن قريب غاية الأمل.

٢ ـ ومنها: الجناس المطلق: وهو توافق ركنيه في الحروف وترتيبها بدون أن يجمعهما اشتقاق، كقوله ﷺ «أسلم» سالمها الله، «وغفار» غفر الله لها، «وعصية» عصت الله ورسوله.

فإن جمعهما اشتقاق نحو: ﴿لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ [الكافرون: ٣]

فقيل: يسمى جناس الاشتقاق[١].

٣ ـ ومنها: **الجناس المذيل، والجناس المطرف.**

فالأول: يكون الاختلاف بأكثر من حرف في آخره.

---

١. كقوله:

فيا دمع أنجدني ... على ساكني نجد

وكقوله: [الخفيف]

وإذا ما رياح جودك هبت ... صار قول العذول فيه هباء

وقول النابغة: [الطويل]

فيا لك من حزم وعزم طواهما ... جديد الردى بين الصفا والصفائح

وقول البحتري: [الوافر]

نسيم الروض في ريح شمال ... وصوب المزن في راح شمول

وكقوله: [الوافر]

أراك فيمتلي قلبي سروراً ... وأخشى أن تشط بك الديار

فجر واهجر وصل ولا تصلني ... رضيت بأن تجور وأنت جار

وكقوله: [مجزوء الكامل]

من بحر جودك أغترف ... وبفضل علمك أعترف

وكقولهم «خلف الوعد خلق الوغد»

وكقول البشتي: [الوافر]

بسيف الدولة اتسقت أمور ... رأيناها مبددة النظام

وكقول السبكي: [الكامل]

كن كيف شئت عن الهوى لا أنتهي ... حتى تعود لي الحياء وأنت هي

وكقوله: [الوافر]

سما وحمى نبي سام وحام ... فليس كمثله سام وحام

وقول أبي نواس: [الكامل]

عباس عباس إذا احتدم الوغى ... والفضل فضل والربيع ربيع

والثاني: يكون الاختلاف بزيادة حرف في أخره.

فالجناس المذيل: كقول الخنساء: [المجزوء الكامل]

انّ البكـــــاء هـــو الشـــفا ء مـــن الجـــوى بـــين الجـــوانح

والجناس المطرف: كقول أبي تمام: [الطويل]

يـدون مـن أيـد عـواص عـواصم تـصول بأسـياف قـواض قـواضب

٤ ـ ومنها: **الجناس المضارع والجناس اللاحق.**

فالجناس المضارع، يكون باختلاف ركنيه في حرفين، لم يتباعدا مخرجاً

إما في الأول: نحو: ليل دامس، وطريق طامس.

وإما في الوسط: نحو: ﴿وهم ينهون عنه، وينأون عنه﴾ [الأنعام: ٢٦].

وإما في الآخر: نحو قوله ﷺ «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».

والجناس اللاحق يكون في متباعدين.

إما في الأول: نحو ﴿هُمَزَة لمزة﴾ [الهمزة: ١].

وإما في الوسط: نحو: ﴿إنه على ذلك لشهيد، وإنه لحب الخير لشديد﴾ [العاديات: ٧، ٨].

وإما في الآخر: نحو قوله تعالى: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به﴾ [النساء: ٨٣].

٥ ـ ومنها: **الجناس اللفظي** وهو ما تماثل ركناه لفظاً، واختلف احد ركنيه عن الآخر خطاً، إما الاختلاف في الكتابة بالنون والتنوين. وإما الاختلاف في الكتابة بالضاد والظاء، أو الهاء والتاء.

فالأول: وهو ما تماثل ركناه لفظاً، واختلف أحد ركنيه عن الآخـر خـطًّا في الكـتابة بالنون والتنوين قوله: [الرجز]

أعـــذبُ خـــلق اللـــه نـطقاً و(فماً) إن لم يكـــن أحـقّ بـالحسن (فَـنْ)

مـــثل الغـــزال نـــظرةً ولفـــتَة مَـــن ذا رآه مُـــقبلاً ولا افـــتتنْ

والثاني: وهو اختلاف أحد ركنيه في الضاد والظاء نحو قوله تعالى: ﴿وُجوهٌ يومئذٍ (ناضرةٌ) إلى رَبِّها (ناظرةٌ)﴾ [القيامة: ٢٢]، وكقول أبي فراس: [مجزوء الكامل]

ما كنت تصبر في القديـ ـم فلم صَبرت الآن عنا
ولقد ظَننت بك الظنو ن لأنه مَن (ضَنَّ ظنَّا)

والثالث: وهو اختلاف أحد رُكنيه في الهاء والتاء كقوله: [البسيط]

إذا جلست إلى قوم لِتُؤنسهم بما تحدّث من ماض ومن آت
فلا تُعيدن حديثاً إنَّ طبعهمُ مُوكل (بمعاداة المعاداتِ)

٦ ـ ومنها: الجناس المحرَّف و«الجناس المصحّف»

فالأول: ما اختلف رُكناه في هيئات الحروف الحاصلة من حركاتها وسكناتها، نحو: جُبة البُرد جُنَّة البَرد. ونحو: إذا زلَّ العالم، زلَّ بزلته العالَم.

والثاني: ما تماثل ركناه وضعاً، واختلفا نقطاً، بحيث لو زال إعجام أحدهما لم يتميز عن الآخر كقول بعضهم: غرَّك عزُّك، فصار قصارى ذلك ذُلُّكَ، فاخشَ فاحشَ فعلك، فعلك بهذا تهتدِي. ومثل قول أبي فراس: [مجزوء الكامل]

مِن بحر شِعرك أغترف وبفضل علمك أعترف

٧ ـ ومنها: الجناس المركب والجناس الملفق.

فالأول: ما اختلف رُكناه إفراداً وتركيباً. فإن كان من كلمة وبعض أخرى سُمِّي مَرفُوًّا مثل قول الحريري: [الطويل]

ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه بدمعٍ يضاهي المزن حال مصابه
ومثّل لعينيك الحِمامَ ووقعِه وروعَة مُلقاهُ ومطعمَ صابه

وإن كان من كلمتين فإن اتفق الركنان خطاً سُمِّي (مقروناً) مثل قوله: [الطويل]

إذا مَلِك لم يكن «ذاهِبَهْ» فدعهُ فدولتُه «ذاهبة»

وإلا سُمّي مفروقاً مثل قوله: [الكامل]

لا تعرضَنَّ على الرُّواة قصيدة ... ما لم تكن بالغتَ في تهذيبها

فإذا عرضت الشِّر غير مهذب ... عدُّوه منك وساوساً تهذي بها

والثاني: وهو الجناس المُلفق: يكون بتركيب الركنين جميعاً مثل قوله: [الوافر]

وليتَ الحكم خمساً وهي خمس ... لعمري والصبا في العُنفوانِ

فلم تضع الأعادي قدر شاني ... ولا قالوا فلان قد رشاني

٨ ـ ومنها: جناس القلب وهو ما اختلف فيه اللفظان في ترتيب الحروف، نحو: حُسامه فتحٌ لأوليائه، وحتْفٌ لأعدائه. ويسمى قلب كلّ لانعكاس الترتيب.

ونحو: اللهم استر عَوراتِنا، وآمِنْ رَوْعاتِنا، ويسمى قلب بعض.

ونحو: رحم الله امرأ، أمسك ما بين فكيه، وأطلق ما بين كفيه.

وإذا وقع أحد المتجانسين في أول البيت، والآخر في آخره، سُمّي مقلوباً مجنحاً كأنه ذو جناحين مثل قوله: [مجزوء الكامل]

لاح أنوارُ الهدى ... من كفّه في كل حال

وإذا وَلِيَ أحد المتجانسين الآخر قيل له المزدوج.

وإن كان التركيب بحيث لو عكس حصل بعينه فالمستوي ويسمى أيضاً ما لا يستحيل بالانعكاس نحو: ﴿كل في فلك﴾ [الأنبياء: ٣٣] ونحو: ﴿وربَّكَ فكبِّرْ﴾ [المدثر: ٣].

وبعدُ: فلا يخفى على الأديب، ما في الجناس من الاستدعاء لميل السامع، لأن النفس ترى حُسن الإفادة، والصورة صورة تكرار وإعادة ومن ثم تأخذها الدهشة والاستغراب، ولأمرٍ مَا، عدَّ الجناس من حُلى الشعر.

أنواع الجناس المعنوي

الجناس المعنويُّ: نوعان: جناس إضمار وجناس إشارة.

أ ـ **فجناس الإضمار** أن يأتي بلفظ يُحضِرُ في ذهنك لفظاً آخر وذلك اللفظ المحضر يراد به غير معناه، بدلالة السِّياق مثل قوله: [البسيط]

«مُنعَّم» الجسم تحكي الماء رقته ... وقلبه «قسوة» يحكي أبا أوسِ

وأوس شاعر مشهور من شعراء العرب، واسم أبيه حجر، فلفظ أبي أوس يحضر في الذِّهن اسمه، وهو حجر؛ وهو غير مراد؛ وإنما المراد: الحجر المعلوم، وكان هذا النوع في مبدئه مستنكراً، ولكنَّ المتأخرين ولعُوا به، وقالوا منه كثيراً. فمن ذلك قول البهاء زُهير: [البسيط]

وجاهل طال به عنائي ... لازمَني وذاك من شقائي

أبغضُ للعين من الأقذاء ... أثقل من شماتة الأعداء

فهو إذا رأته عين الرائي ... أبو معاذ أو أخو الخنساء

ب ـ **وجناس الإشارة** هو ما ذكر فيه أحد الركنين، وأشير للآخر بما يدل عليه، وذلك إذا لم يساعد الشعر على التصريح به. نحو: [المجتث]

يا «حمزة» اسمح بوصل ... وامنن علينا بقرب

في ثغرِك اسمك أضحى ... مصحّفاً وبقلبي

فقد ذكر الشاعر أحد المتجانسين: وهو حمزة، وأشار إلى الجناس فيه، بأن مصحفه، في ثغره، اى خمره وفي قلبه، أيْ جمرَة و بعد: فاعلم أنه لا يستحسن الجناس، ولا يعدّ من أسباب الحسن، إلا إذا جاء عفواً، وسمح به الطبع من غير تكلف، حتى لا يكون من أسباب ضعف القول وانحطاطه، وتعرّض قائله للسخرية والاستهزاء.

٢ ـ التصحيف

التصحيف: هو التشابُه في الخط بين كلمتين فأكثر: بحيث لو أزيل أو غُيرت نُقط كلمة، كانت عين الثانية، نحو التخلّي، ثم التحلّي، ثم التجلّي.

٣ - الازدواج

الازدواج: هو تجانس اللفظين المجاورين، نحو: مَنْ جَدَّ وَجَدَ، ومن لجَّ وَلج

٤ ـ السجع

السجعُ: هو توافق الفاصلتين[1] في الحرف الأخير من النثر. وأفضلُه: ما تساوتْ فِقَرُهُ، وهو ثلاثة أقسام:

أولها: السجع المطَرَّف، وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن، واتفقتا في التقفية، نحو قوله تعالى: ﴿مالكم لاترجُون لِلّهِ وقَاراً وقدْ خلقكم أطواراً﴾ [نوح: ١٣].

ونحو قوله تعالى: ﴿ألم نجعل الأرْض مهَاداً والجبال أوْتاداً﴾ [النبأ: ٦].

ثانيها: السجع المرصَّع، وهو ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والتقفية، مثل قول الحريري: هو يطبع الأسجاع بجواهر لفظِه ، ويَقرَع الأسماع بزواجر وعظه[2]، ومثل قول الهمداني: إن بعد الكدر صفواً، وبعد المطر صحواً.

ثالثها: السجع المتوازي وهو ما لم تتفق فيه الفقرتان في الوزن والتّقفية نحو قوله تعالى: ﴿فيها سُرُرٌ مرفوعةٌ وأكوابٌ موضوعة﴾ [الغاشية: ١٤] لاختلاف سُرُر، وأكواب، وزناً

---

١. «الفاصلة» في النثر «كالقافية» في الشعر، والسجع خاص بالنثر.

٢. ولَو أبدل الأسماع بالآذان كان مثالاً للأكثر: وسمي السجع سجعاً تشبيهاً له بسجع الحمام. وفواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز، موقوفاً عليه، لأن الغرض أن يزاوج بينها، ولا يتم ذلك إلا بالوقف.

وتقفية، ونحو قوله تعالى: ﴿والمرْسَلاَتِ عُرْفاً فالْعاصفاتِ عَصْفاً﴾ [المرسلات: ٢] لاختلاف المرسلات، والعاصفات وزناً فقط، ونحو: حسد الناطق والصامت، وهلك الحاسد والشامت لاختلاف ما عدا الصامت، والشامت: تقفية فقط.

والأسجاع مبنية على سكون أواخرها، وأحسن السجع ما تساوت فقرُهُ، نحو قوله تعالى: ﴿في سِدْرٍ مَخْضُودٍ، وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ، وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨]. ثم ما طالت فقرتُه الثانية، نحو قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إذَا هَوى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُم وما غَوَى﴾ [النجم: ٢] ثم ما طالت ثالثتُه، نحو قوله تعالى: ﴿النارِ ذَاتِ الوَقُودِ إذ هم عليها قعودٌ وَهم مَا يفعلون بالمؤمنينَ شُهُودٌ﴾ [البروج: ٥ ـ ٧] ولا يحسن عكسه، لأن السامع ينتظر إلى مقدار الأول، فإذا انقطع دونه، أشبه العِثار[1]، ولا يحسُن السجع إلا إذا كانت المفردات رشيقة، والألفاظ خدم المعاني.

ولا يستحسن السجع أيضاً إلا إذا جاء عفواً، خالياً من التكلف والتصنع، ومن ثم لا تجد لبليغ كلاماً يخلو منه، كما لا تخلو منه سورة وإن قصرت.

والسجع: موطنه النثر. وقد يجيء في الشعر نادراً، مثل قوله: [مجزوء البسيط]

فنحنُ في جَزَلٍ والرومُ في وجلٍ
والبَرّ في شُغلٍ والبحر في خجلِ

ولا يقال في القرآن «اسجاع» لان السجع في الاصل هدير الحمام ونحوها؛ بل يقال: «فواصل»

٥ ـ الموازنة

الموازنة: هي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية، نحو قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفوفة وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثة﴾ [الغاشية: ١٦] فإن مصفوفة ومبثوثة مُتَّفقتان في الوزن، دون التقفية.

---

١ ـ يعني أنه لا يحسن أن يؤتى في السجع بفقرة أقصر مما قبلها كثيراً، لأن السجع إذا استوفى أمده من الأولى لطولها، ثم جاءت الثانية أقصر منها، يكون كالشيء المبتور.

٦ـ الترصيع

الترصيع: هو توازُن الألفاظ، مع توافق الأعجاز، أو تقارُبها.

مثال التوافق: نحو قوله عزوجل: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣].

ومثال التقاربُ: نحو قوله سبحانه: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ﴾ [الصافات: ١١٧، ١١٨].

٧ـ التشريع

التَّشريعُ: هو بِناءُ البيت على قافيتين، يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما كقول الشاعر: [الكامل].

يا خاطبَ الدُّنيا الدنيَّة إنها ... شرَكُ الرَّدى وقَرارةُ الأقذارِ
دارٌ متى ما أضحكت في يومها ... أبكتْ غدا تبًّا لها من دارِ
وإذا أظلَّ سحابها لم ينتفع ... منه صدى لجهامه الغرَّار
غاراتها لا تَنْقضي وأسيرُها ... لا يُفتدىَ بجلائل الأخطار

فتكون هذه الأبيات من بحر الكامل ويصح أيضاً الوقوف على الرَّدَى وغدَا وصدَى، ويفتدى؛ وتكون إذاً من (مجزوء الكامل) وتقرأ هكذا:

يا خاطبَ الدُّنيا الدَّنية ... إنها شِركُ الرَّدَى
دارٌ متى ما أضحكت ... في يومها أبكتْ غدَا
وإذا أضلّ سحابُها ... لم ينتفع منه صدى
غاراتها لا تَنقضي ... وأسيرُها لايُفتدي

وكقوله: [الكامل]

يا أيها الملِك الذي عمَّ الورى ... ما في الكِرام له نَظيرٌ يُنظرُ
لو كان مثلَك آخر في عصرنا ... ما كان في الدنيا فقيرٌ مُعسرُ

اذ يمكن أن يقال ايضاً في هذين البيتين: [مجزوء الكامل]

يـــا ايهـــا المـــلك الذي مـــا في الكـــرام له نـــظير
لو كـــان مـــثلَك آخـــرٌ مـــا كـــان في الدنـــيا فـــقيرٌ

٨ـ لزوم ما لا يلزم

لزومُ ما لا يلزمُ: هو أن يجيء قبل حرف الرَّويِّ، أو ما في معناه من الفاصلة، بما ليس بلازم في التّقفية، ويُلتزم في بيتين أو أكثر من النظم أو في فاصلتين أو أكثر من النثر نحو قوله تعالى: ﴿فأمَّا اليتيم فلا تقْهر وأمَّا السَّائل فلا تنهرْ﴾ [الضحى: ٩، ١٠].

وكقول الطُّغْرائي في أول لاميته المشهورة: [البسيط]

أصـالةُ الرَّأيِ صـانتْني عـن الخَـطَلِ وحِلية الفضلِ زانـتني لدى العَـطَلِ

وكقوله: [الكامل]

يـا مُحـرقاً بـالنَّار وَجْـهَ محِـبِّه مَـهلاً فـإنَّ مَـدامِـعي تُـطفيهِ
أحرق بها جَسدي وكلّ جـوارحـي واحـرصْ عـلى قـلبي فـإنّك فـيه

وقد يُلْتَزَمُ أكثر من حرف، مثل قوله: [السريع]

كُـل واشرب النـاس عـلى خِـبْرة فـهم يمـرُّونَ ولا يـعذبون
ولا تُـصدِّقهم إذا حَـدَّثوا فـإنّهم مـن عـهدهم يكـذبون

٩ـ رد العجز على الصدر(١)

ردُّ العجزُ على الصّدر: في النّثر هو أن يُجعلَ أحدُ اللّفظين، المكررين، أو المتجانسين، أو الملحقين بهما بأن جمعهما اشتقاق أو شبهُهُ في أول الفقرة، ثم تعاد في آخرها، مثل قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] ونحو قوله سبحانه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبكمْ إنهُ كانَ غَفاراً﴾ [نوح: ١٠]. وقولك: «سائلُ» اللّئيم يَرجعُ ودَمعه «سائل». فَسَائل الأول: من

---

١. وقد يسمّى بـ«التصدير»

السؤال؛ وسائل الثاني من السَّيلان.

واللذان يجمعهما شبه اشتقاق، نحو قوله عزوجل: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨].

ب ـ رَدّ العجز على الصدر: في النظم هو أن يكون أحدهما في آخر البيت، والآخر يكون. إما في صدر المصراع الأول، أو في حشوه، أو في آخره[1]. وإمّا في صدر المصراع الثاني.

نحو قوله: [الطويل]

سريعٌ إلى ابن العَمّ يَلطمُ وجهه ... وليس إلى دَاعِي النَّدَى بسريعِ

وقوله: [الوافر]

تمتع من شَميم عرَار نَجدٍ ... فما بعدَ العَشِيَّة من عَرار

ونحو: [الطويل]

ومنا لامرىء طول الخلود وإنما ... يخلده طول الثناء فيخلد

١٠ ـ ما لا يستحيل بالانعكاس

ما لا يستحيل بالانعكاس: هو كون اللّفظ يُقرأُ طَرْداً وعكساً نحو: كن كما أمكنكَ، كقوله تعالى: ﴿وربَّك فكبِّر﴾ [المدثر: ٣]. وكقوله: [الوافر]

مَوَدَّتُه تدوم لكلِّ هَوْلٍ ... وهل كلُّ مَوَدَّتُه تَدُوم

١١ ـ المواربة

المواربة: هي أن يجعل المتكلم كلامه بحيث يمكنه أن يُغيِّر معناه بتحريف، أو تصحيف. أو غيرهما، لِيَسْلم من المؤاخذة كقول أبي نواس: [المتقارب]

لقد ضاع شِعْري على بابكم ... كما ضاع عِقْدٌ على خالصه

---

١. كقوله: [الكامل]

ومن كان بالبيض الكواعب مغرما ... فما زلت بالبيض القواضب مغرما

فلما أنكر عليه الرشيد ذلك، قال أبو نواس: لم أقل إلا:

لقد ضاءَ شِعْري على بابكم ... كما ضاء عقدٌ على خالصه

١٢ ـ ائتلاف اللفظ مع اللفظ

ائتلاف اللفظ مع اللفظ: هو كون ألفاظ العبارة من وادٍ واحد في الغرابة والتأمل، مثل قوله سبحانه: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٥].

لما أتى بالتاء التي هي أغربُ حروف القسم، أتى بتَفتأ التي هيَ أغربُ أفعال الاستمرار.

١٣ ـ التسميط

التسميط: هو أن يجعل الشاعر بَيتَه على أربعة أقسام:

ثلاثة منها على سَجع واحدٍ، بخلاف قافية البيت كقول جنوب الهُذَلِّية: [المتقارب]

وحَربٍ وَرَدْتَ وثغرٍ سَدَدْتَ ... وعِلْجٍ شَدَدت عليه الحِبَالا

وقوله: [البسيط]

في ثَغره لَعَسٌ في خَدّه قَبَسٌ ... في قَدّه مَيَسٌ في جسمه تَرفُ

١٤ ـ الانسجام أو السهولة

الانسجام أو السهولة: هو سلامة الألفاظ، وسهولة المعاني مع جزالتها وتناسُبها مثل قول الشاعر: [المنسرح]

ما وهبَ الله لا مرىءٍ هِبةً ... أفضلَ مِن عقله ومن أدبهْ

هما كمالُ الفَتى فإن فُقدا ... ففقده للحياة أليقُ بهْ

١٥ ـ الاكتفاء

الاكتفاء: هو أن يَحذفَ الشاعر من البيت شيئاً، يستغني عن ذكره، بدلالة العقل علية، مثل قول الشاعر: [المتقارب]

فإنَّ المنيَّة مَنْ يَخْشَها ... فسوفَ تُصَادمه أينما

أي أينما تَوجَّه[1].

١٦ ـ التطريز

التطريز: هو أن يكون صدر النثر أو الشِّعر مُشتملاً على ثلاثة أسماء مختلفة المعاني ويكون العجزُ صفة متكررة بلفظ واحد كقول القائل: [الوافر]

وتَسْقيني وتَشربُ من رحيقٍ ... خَليقٍ أن يُلَقَّبَ بالخلوقِ

كأنَّ الكأس في يَدِهَا وفيها ... عَقيق في عقيق في عقيقِ

---

١. وكقوله: [الرجز]

ما للنوى ذنب ومن أهوى معي ... إن غاب عن إنسان عيني فهو في

وكقوله: [المجتث]

يا لائمي في هواها ... أفرطت في اللوم جهلا

ما يعلم الشوق إلا ... ولا الصبابة إلا

وكقوله: [البسيط]

ضلوا عن الماء لما أن سروا سحراً ... قومي فظلوا حيارى يلهثون ظما

والله أكرمني بالماء بعدهمُ ... فقلت يا ليت قومي يعلمون بما

وكقوله: [الكامل]

الدمع قاضٍ بافتضاحي في هوى ... طبي يغار الغصن منه إذا مشى

وغدا بموجدي شاهد ووشى بما ... أخفي فيالله من قاض وشا

وكقوله: [الكامل]

لا أنتهي أنتهي لا أرعوي ... ما دمت في قيد الحياة ولا إذا

نموذج

بين ما في الأبيات الآتية من المحسّنات اللفظة:

١ ـ عضّنا الدّهر بنابه ليت ما حلّ بنابه[١]

[مجزوء الرمل]

٢ ـ إلى حَتفي سعى قدمي أرَى قدمي أراق دمي[٢]

٣ ـ لئن أخطأتُ في مديحـ ـك ما أخطأتَ في منعِي[٣]

لقد أنزلتُ حاجاتي بواد غير ذي زرع

[مجزوء الوافر]

---

١. فيه جناس تام: بين «بنابه» الأولى، أحد أنياب الأسنان «وبنابه» الثانية المركبة من «بنا» و«به».

٢. فيه جناس تام: بين أرى قدمي، أى أنظر قدمي وأراق دمي أي صب وأهدر دمي أي قتلني بلا دية.

٣. في الشطر الأخير من البيت الثاني، اقتباس من الآية الكريمة ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم﴾.

خاتمة

في السرقات الشعرية وما يتبعها

السَّرِقَةُ: هي أن يَأخُذَ الشَّخْصُ كلامَ الغير، ويَنسبه لنفسه.

وهي ثلاثة أنواع: نَسْخٌ، ومَسخٌ وسَلْخٌ.

أ ـ **النَّسخ**: ويُسَمَّى انْتِحَالاً أيضاً: هو أن يأخذ السَّارق اللفظ والمعنى معاً، بلا تغيير ولا تبديل، أو بتبديل الألفاظ كلّها، أو بعضها بمُرادفها، وهذا مذموم، كما فعل عبدالله بن الزبير بقول مُعَنْ بن أوس[1]: [الطويل]

إذا أنْتَ لم تُـنصف أخـاك وَجَـدْتَهُ ... على طَرَف الهِـجْرَان إن كـان يـعقل

ويركبُ حدّ السَّيف مـن أن تُـضِيمَه ... إذا لم يكن عن شَفره السَّيف مَزحـل

وأمَّا تبديل الالفاظ بمُرادفها، كما فُعِل بقول الحُطَيْئَة: [البسيط]

دَع المكـــارم لا تَـــرْحل لبُـــغيتها ... واقعد فـإنك أنت الطّـاعم الكـاسي

فقال الآخر: [البسيط]

ذَرِ المآثـــر لا تـــذهب لمـطلبها ... واجلس فـإنك أنْتَ الآكـل اللاّبس

وقريب منه: تبدّل الألفاظ بضدّها، مع رعاية النّظم والترتيب، كما فُعِل بقول حَسَّان: [الكامل]

بِـيض الوجـوه كـريمةٌ أحسـابُهم ... شمُّ الأنـوف مـن الطِّـرَازِ الأوَّلِ

فقال غيره: [الكامل]

سُـود الوجـوه لئـيمةٌ أحسـابُهم ... فُطس الأنوف مـن الطِّـرَاز الآخـر

ب ـ **والمَسْخ**: أو الإغارة: هو أن يأخذ بعض اللّفظ، أو يُغَيِّر بعض النّظم، فإن امـتاز الثاني بحسن السبك فممدوح، نحو قول الآخر: [البسيط]

مـن راقب النـاس لم يـظفرِ بحـاجته ... وفـازَ بـالطيِّبات الفـاتك اللـهج

---

١ . الزبير بفتح فكسر في هذا، ويوجد اسم آخر بضم ففتح، ومعن بضم وفتح ومعن بن زائدة بفتح فسكون.

مع قول غيره: [البسيط]

مـــن راقبَ النـــاس مـــات همًّـــا وفـــــازَ باللذَّة الجـــــور

فإن الثاني أعذب وأخصر.

وإن امتاز الأول فقط فالثاني مذموم. وإن تساويا فالثاني لا يذمّ، ولا يمدح، والفضل للسابق.

ج - والسَّلخُ: ويُسَمَّى إلماماً: وهو أن يأخذ السَّارق المعنى وحده، فإن امتاز الثاني فهو أبلغ، نحو قول الشاعر: [الطويل]

هو الصنع أن يعمل فخير وإن يرث فللرّيثُ في بعض المواضع أنفع

مع قول غيره: [الخفيف]

ومـــن الخـــير بُـــطء سَـــيبك عنّي أسرع السُّـــحب في المسير الجهام

وإن امتاز الأول؛ فالثاني مذموم، وإن تماثلا فهو أبعد عن الذم، كقوله: [الوافر]

ولم يك أكـــثر الفـــتيان مـــالاً ولكـــن كـــان أرحـــبهم ذراعـــا

مع قول الآخر: [المتقارب]

وليس بأوسمـــــهم في الغـــنى ولكـــــن مـــعروفه أوســـع

ويتّصل بالسرقات الشعرية؛ ثمانية أمور: الاقتباس، والتضمين، والعَقد، والحَلّ والتّلميح، والابتداء، والتخلّص، والانتهاء.

١ - الاقتباس: هو أن يُضمّن المتكلم منثوره، أو منظومه، شيئاً من القرآن، أو الحديث، على وجه لا يشعر بأنه منهما؛ فمثاله من النثر. فلم يكن إلاّ كلمح البصر، أو هو أقرب، حتى أنشد فأغرب. ونحو قول الحريري: أنا أُنبّئكم بتأويله، وأميّز صحيح القول من عليله. وكقول عبد المؤمن الأصفهاني: لاتَغُرَّنّكَ من الظّلمةِ كثيرة الجيوش والأنصار،

﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم:٤٢] ومثاله من الشعر قوله[1]: [المتقارب]

وثغر تنضّد من لُؤلُؤ ... بألباب أهل الهوى يَلعبُ
إذا ما ادلهمّتْ خطوب الهوى ... يكاد سَنَا بِرقِه يَذهبُ

وكقول الشاعر الآخر: [السريع]

إن كنت أزمعت على هجرنا ... من غير ما جُرم فصبرٌ جميل
وإن تبدّلتِ بنا غيرنا ... فحسبنا الله ونعم الوكيل

وكقول القائل الآخر: [الخفيف]

لا تكن ظالماً ولا ترضَ بالظلم ... وأنكِرْ بكل ما يُشتَطاع
يوم يأتي الحساب ما لِظَلوم ... من حميم ولا شفيع يُطاع

وكقول بعضهم: [الكامل]

إن كانت العشاق من أشواقهم ... جعلو النّسيم إلى الحبيب رسولا
فأنا الذي أتلو لهم يا ليتني ... كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

وكقول الشاعر: [الكامل]

رحلوا فلَسْتُ مُسائلاً عن دارهم ... «أنا باخِعٌ نَفسي على آثارهم»

وكقول الآخر: [الوافر]

ولاح بحكتي نور الهدى ... فيليال للظلالة مُدْلهمّه
يريد الجاهلون ليطفئوه ... ويَأبى الله إلا أنْ يَتِمّهْ

---

١. ولا بأس بتغيير يسير في اللفظ المقتبس للوزن أو غيره، نحو: [البسيط]

قد كان ما خفت أن يكونا ... إنا إلى الله راجعونا

وفي القرآن ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ ويكون الاقتباس مذموماً في الهزل كقوله: [السريع]

أوحى إلى عشاقه طرفه ... هيهات هيهات لما توعدون
وردف ينطق من خلفه ... لمثل هذا فليعمل العاملون

ومثاله من الحديث في النثر قول الحريري: شاهت الوجوه، وقبح اللكع ومن يرجوه، وكقول الحريري أيضاً: وكتمان الفقر زهادة، وانتظار الفرج بالصبر عبادة.

ومثاله من الحديث في الشعر قول الشاعر: [مجزوء الرمل]

قـــــالَ لِي: إنّ رَقـــــيبي ســـــيىء الخُـــلق فـــدارهْ
قـــلت: دعـــني وجـــهك «الـ ـــجنة حُـــفَّت بـــالمكارِهْ»

وكقول الشاعر: [الطويل]

فلو كـانت الأخـلاق تُحْوَى وراثـة ولو كـــانت الآراء لا تـــتشعّبُ
لأصبح كل الناس قد ضمَّهم هـوى كـما أن كـل النـاس قـد ضـمَّم أبُ
ولكـــنها الأقـــدار «كـــلٌّ مُـــيَسَّرٌ لمـــا هـــو مخـــلوق له» ومُـــقَرَّبُ

وكقول القائل: [الرمل]

لاتُـــعَادِ النَّـــاس في أوطـــانهم قـــلما يـــرعى غـــريبُ الوطـــن
وإذا مـــا شِـــئتَ عـــيشاً بـــينهم خـــالِق النـــاس بخُـــلقٍ حَسَـــن[1]

---

١. وينقسم الاقتباس: إلى ضربين.

الأول: ضرب منه لا ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلي إلى معنى آخر، كما تقدم.

الثاني: ما ينقل إلى معنى آخر، كقول ابن الرومي: [الهزج]

لئن أخـــطأت في مـــديحـ ـــك مـــا أخـــطأت في منعي
قـــد أنـــزلت حـــاجاتي بـــــوادغـــير ذي زرع

فقد كنى بلفظ «واد» عن رجل لا يرجى نفعه، ولا خير فيه، وهو في الآية الكريمة: بمعنى «واد» لا ماء ولا نبات.

وقد أجازوا تغيير اللفظ المقتبس بزيادة فيه أو نقص أو تقديم أو تأخير، كماسبق. واعلم أن الاقتباس ثلاثة أقسام.

١ ـ مقبول: وهو ما كان في الخطب والمواعظ.

٢ ـ ومباح: وهو مايكون في الغزل والرسائل والقصص.

٣ ـ ومردود: وهو ماكان في الهزل، كما تقدم ذكره.

٢ ـ والتّضمين: هو أن يضمن الشاعر كلامه شيئاً من مشهور شعر الغير مع التنبيه عليه[١] إن لم يكن مشهوراً لدى نقاد الشعر، وذوي اللسن، وبذلك يَزْدَادُ شعرهُ حُسْناً، كقول الصاحب بن عبَّاد: [البسيط]

أشكـــو إليك زمـــاناً ظـل يـعركني ... عرك الأديم، ومن يعدو على الزمـن
وصـــاحباً كـنت مـغبوطاً بـصحبته ... دهـــراً فـغادرني فـرداً بـلا سكـن
وبـــاع صـــفو وداد كـــنت أقـصره ... عـــليه مجـتهداً في السر والعـلن
كأنـــه كـــان مـــطوياً عـــلى إحَـنٍ ... ولم يكـن في قـديم الدهـر أنشـدني
«إن الكـرام إذا مـا أيـــروا ذكـروا ... من كان يألفـهم في المـنزل الخشـن»

---

١. أما تضمينه بلا تنبيه عليه لشهرته: فكقوله: [البسيط]

أولى البريـــة طـــراً أن تـواســيه ... عند السرور الذي واساك في الحـزن
«إن الكـرام إذا مـا أيـــروا ذكـروا ... مـن كـا يألفهم في المـنزل الخشـن»

وكقوله: [الكامل]

قد قلت لما اطـلعت وجـناته ... حول الشقيق الغض روضـة آس
أعذاره الساري العجول ترمقا ... ما في وقوفك ساعة من بـاس

فالمصراع الأخير، مطلع قصيدة مشهورة لأبي تمام: [الكامل]

ما في وقوفك ساعة من بـاس ... تقضي حقوق الأربع الأدراس

وأحسن التضمين: أن يزيد المضمن في كلامه نكتة لا توجد في الأصل كالتورية والتشبيه، كـما في قـول ابن أبي الأصبع: مضمناً [الطويل]

إذا الوهم أبدى لي لما هـا وثـغرها ... «تذكرت ما بين العذيب وبـارق»
ويـــذكرني مـن قـدها ومـدامـعي ... «مجرى عوالينا ومجرى السـوابـق»

فالمصراعان الأخيران مطلع قصيدة لأبي الطيب المتنبي:

تذكرت ما بين العديب وبارق ... مجرى عوالينا ومجرى السوابق

يريد المتنبي: أنهم كانوا نزولاً بين هذين الموضعين، يجرون الرماح عند مطاردة الفرسان، ويسابقون على الخيل، أما الشاعر الآخر: فأراد بالعذيب تصغير العذب وعنى به شفة الحبيبة، وأراد ببارق ثغرها الشبيه بالبرق، وبما بينهما ريقاً، وهذه تورية بديعة نادرة في بابها، وشبه تبختر قدها بتمايل الرماح، وتتابع دموعه بجريان الخيل السوابق.

وكقوله : [التقارب]

إذا ضاق صدري وخفت العدا تمثلت بيتاً بحالي يليق
فبالله أبلغ ما أرتجي وبالله أدفع ما لا أطيق

وكقول الحريرى: يحكي ما قاله الغلام الذي عرضه أبو زيد للبيع: [الوافر]

على أني سأنشد عند بيعي: أضاعوني وأي فتى أضاعوا[1]

فالمصراع الأخير للعرجي وهو محبوس وأصله: [الوافر]

أضاعوني وأيّ أضاعوا ليوم كريهةٍ وسداد ثغر
وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أسنتها بنحري

٣ ـ والعقد: هو نظم النثر مطلقاً لا على وجه الاقتباس، ومن شروطه أن يؤخذ المنثور بجملة لفظه، أو بمعظمه، فيزيد الناظم فيه وينقص، ليدخل في وزن الشعر.

فعقد القرآن الكريم، كقوله: [الوافر]

أنسلني بالذي استقرضت خطا وأشهد مشعراً قد شاهدوه
فإن الله خلاّق البرايا عنت لجلال هيبة الوجوه
يقول: «إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه»

وكقوله: [البسيط]

واستعمل الحلم واحفظ قول بارئنا سبحانه خلق الإنسان من عَجل

---

١. ولا بأس من التغيير اليسير. كقوله: [الوافر]

أقول لمعشر غلطوا وغضوا من الشيخ الرشيد وأنكروه
هوابن جلا وطلاع الثنايا متى يضع العمامة تعرفوه

وكقوله: [السريع]

طول حياة ما لها طائل تغص عندي كل ما يشتهى
اصبحت مثل الطفل في ضعفه تشابه المبدأ والمنتهى
فلم تلم سمعي إذا خانني إن الثمانين وبلغتها

وعقد الحديث الشريف كقوله: [البسيط]

إن القلوبَ لأجنادٌ مجندةٌ ... بالأذن من ربها تهوى وتأتلفُ

فما تعارف منها فهو مؤتلفٌ ... وما تناكر منها فهو مختلف

٣ ـ والحل: هو نثر النظم وإنما يقبل إذا كان جيد السبك، حسن الموقع كقوله: [الطويل]

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدق ما يعتاده من توهُّم

٥ ـ والتلميح: هو الإشارة إلى قصة معلومة، أو شعر مشهور أو مثل سائر، من غير ذكره، فالأول: وهو الإشارة إلى قصة معلومة نحو: [المتقارب]

يا بدر أهلك جاروا ... وعلموك التجري

وقبحوا لك وصلي ... وحسنوا لك هجري

فليفعلوا ما أرادوا ... فإنهم أهل بدر

وكقوله تعالى: ﴿هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل﴾ [يوسف: ٦٤] أشار يعقوب في كلام هنا لأولاده، بالنسبة إلى خيانتهم السابقة في أمر أخيهم يوسف، ونحو قول الشاعر: [الطويل]

فوالله ما أدري أأحلام نائم ... ألمت بنا أم كان في الركب يوشع[1]

والثاني: وهو الإشارة إلى شعر مشهور، نحو قول الشاعر: [الطويل]

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظي ... أرق وأحفى منك في ساعة الكرب

إشارة إلى قول الآخر: [البسيط]

المستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

والثالث: وهو الإشارة إلى مثل سائر من غير ذكره، نحو قول الشاعر: [البسيط]

من غاب عنكم نسيتموه ... وقلبه عندكم رهينه

أظنكم في الوفاء ممن ... شحبته شحبة السفينه

---

١ . إشارة إلى استيقاف (يوشع) الشمس. يروى أنه عليه السلام: قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغرب قبل أن يفرغ من قتالهم، ويدخل يوم السبت، فلا يحل له قتالهم فيه، فدعا الله فأوقف له الشمس، حتى فرغ من قتالهم.

٦ - وحسن الابتداء: أو براعة المطلع: هو أن يجعل أول الكلام رقيقاً سهلاً، واضح المعاني، مستقلاً عما بعده؛ مناسباً للمقام؛ بحيث يجذب السامع إلى الإصغاء بكليته؛ لأنه أول ما يقرع السمع؛ وبه يعرف مما عنده.

قال ابن رشيق: إن حسن الافتتاح داعية الانشراح؛ ومطية النجاح، وذلك مثل قول الشاعر: [البسيط]

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم ... وزال عنك إلى أعدائك السقم

وتزداد براعة المطلع حسناً، إذا دلت على المقصود بإشارة لطيفة.

وتسمى براعة استهلال[1] وهي أن يأتي الناظم، أو الناثر: في ابتداء كلامه بما يدل على مقصوده منه، بالإشارة لا بالتصريح.

قول أبي محمد الخازن مهنئاً الصاحب بن عبا بمولود: [البسيط]

بشرى فقد أنجز الاقبال ما وعدا ... وكوكب المجد في أفق العلا صعدا

وقول غيره، في التهنئة ببناء قصر: [الكامل]

قصر عليه تحية وسلام ... خلعت على جمالها الأيام

وقول المرحوم احمد شوقي بك في الرثاء [الكامل]

أجل وإن طال الزمان موافي ... أخلى يديك من الخليل الوافي

وقول آخر في الاعتذر: [الوافر]

لنار الهم في قلبي لهيب ... فعفواً أيها الملك المهيب

وقد جاء في الأخبار أن الشعر قفل، وأوله مفتاحه.

---

١. وبراعة الطلب، هي أن يشر الطالب إلى ما فيه نفسه، دون أن يصرح بالطلب، نحو ﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي﴾ إشارة إلى طلب النجاة لابنه. وكقوله: [الطويل]

وفي النفس حاجات وفيك فطانة ... سكوتي بيان عندها وخطاب

٧ ـ **والتخلص**: هو الخروج والانتقال مما ابتدىء به الكلام إلى الغرض المقصود، برابطة تجمل المعاني آخذاً بعضها برقاب بعض، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من نسيب، إلى مدح، أو غيره، لشدة الالتئام والانسجام. ومنه قول الشاعر: [الكامل]

وإذا جلست إلى المداد وشربها ... فاجعلْ حديثك كله في الكأس
وإذا نزعت عن الغواية فليكن ... (لله) ذاك النزع لا للناس
وإذا أردت مديح قوم لم تلم ... في مدحهم فامدح بني العباس

وقوله: [الكامل]

دعت النوى بفراقهم فتشتتوا ... وقضى الزمان ببينهم فتبددوا

وقد ينتقل مما افتتح به الكلام إلى الغرض المقصود مباشرة، بدون رابطة بينهما، ويسمى ذلك اقتضاباً كقول أبي تمام: [الخفيف]

لو رأى الله أن في الشيب خيراً ... جاورته الأبرار في الخلد شيبا
كل يوم تبدي صروف الليالي ... خلقاً من أبي سعيد غريبا

٨ ـ **وحسن الانتهاء**: ويقال له حسن الختام هو أن يجعل المتكلم آخر كلامه، عذب اللفظ، حسن السبك؛ صحيح المعنى. مشعراً بالتمام حتى تتحقق براعة المقطع بحسن الختام. إذ هو آخر ما يبقى منه في الأسماع وربما حفظ من بين سائر الكلام لقرب العهد به.

يعني: أن يكون آخر الكلام مستعذباً حسناً، لتبقى لذته في الأسماع مؤذناً بالانتهاء بحيث لا يبقى تشوقاً ألى ما وراءه كقول أبي نواس: [الطويل]

وإني جدير إذ بلغتك بالمنى ... وأنت بما أملت فيك جدير
فإن تولني منك الجميل فأهله ... وإلا فإني عاذر وشكور

وقول غيره: [الطويل]

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله ... وهذا دعاء للبرية شامل

وقال ابن حجة: [الطويل]

عليك سلام نشره كلما بدي ... به يتغالى الطيب والمسك يختم

وقال غيره: [البسيط]

ما أسأل الله إلا أن يدوم لنا ... لا أن تزيد معاليه فقد كملت

* * *

والحمد لله الذي وفّق عبده المفتاق الى رحمته تعالى **السيد حميد الجزايري** لتصحيح هذا الكتاب القيّم. وقد تمّ في شهر رجب المرجّب عام ١٤٢٣ (هـ.ق). ونسأل الله تعالى أن يمنّ علينا بصيانة الحوزات العلمية في جميع انحاء العالم. ونسأله التعجيل في ظهور الامام الحجّة صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطيّبين الطّاهرين المعصومين.